موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

الأسرة المسلمة

الدكتور محمد راتب النابلسي



www.nabulsi.com info@nabulsi.com

مقدمة عن الكتاب

الحقيقة التي لا ريب فيها أن المسلّمات نبدأ بها دائماً، الأسـرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع، فإذا تماسكت تماسك المجتمع، وإذا تفتتْ تفتتَ المجتمع.

و الأسرة في الإسلام لها مكانتها، فهذه الأسرة المكونة من رجل وزوجة تقوم على المحبة والمودة، فالزواج في الإسلام سكن للنفس، وراحة للقلب، واستقرار للضمير، وتعايش بين الرجل والمرأة على المودة، والرحمة، والانسجام، والتعاون، والتناصح، والتسامح.

يتألف الكتاب من 343 صفحة ويتكون من المحاضرات التي ألقاها فضيلة الدكتور في فترات زمنية مختلفة عن الأسرة، ويتضمن ما يــلي: يبدأ الكتاب بفصل تمهيدي عن الطفولة و الأسرة، ثم ينتقل الكتـاب لتعريـف علاقة الإنسان بأسرته،وفي الفصل الثاني يتناول الكتاب أسـس بناء الأسرة ، ثم يتحدث الكتاب عن الإرث و الأسـرة ، أما الفصل الرابع فيتناول حياة الأسرة في بلاد الغرب ،وفي الفصل الخامس يتناول حقوق الزوجة على الزوج ، ثم حقوق الزوج على الزوجة في الفصل السادس،وحقوق الآباء في الفصل السابع ، وتتضمن الخاتمة أهم التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة.

الفريق الفني

لموسوعة النابلسي للعلوم الاسلامية

في 2018/02/16

مقدمة : الطفولة و الأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله نحمده، ونستعين به ونسترشده، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر. وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر. اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرِنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممـن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الله تعالى هو الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها :



نحن أمة شرفنا الله بالإسلام، وكرمنا به، وأعزنا به، ولهذه الأمة كتاب هو وحي السماء إلى الأرض، هو كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكما تعلمون فضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه. في هذا الكتاب توجيهات وقائية حكيمة لكل ما يؤذي الأسرة ويقوض دعائمها، وفي هذا الكتاب أدوية علاجية فعالة لكل أمراض الأسرة، وإذا صحّ أن يكون الإنسان – كما يقول بعض العلماء – أعقد آلة في الكون، فإنه يصح أيضاً أن تكون هذه التوجيهات القرآنية، وتلك الأدوية التي هي في القرآن الكريم تعليمات الصانع لهذه الآلة، وكما تعلمون بالبديهة أن الجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها، لأنها الجهة الخبيرة، قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر : 14]

وما من إنسان عنده آلة بالغة التعقيد، حاسوب أصابه خلل، وإلى جانبه جار طيب جداً، يبيع الخضراوات، لا يمكن أن يدفع إليه هذا الكومبيوتر، مستحيل، يبحث عن الخبير الذي يعلم دقائق هذا الجهاز، إنك لا تسلم آلة إلا غير الخبير، أفتسلم أسرتك وأولادك إلى غير الخبير؟

تعريف الحق :

شيء آخر ؛ الناس يبحثون عن الحق، ما الحق؟.. قال بعض العلماء: الحق لابس خلق السموات والأرض:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾

[سورة الأحقاف : 3]

أي لابس الحق خلق السموات والأرض، ما الحق؟ نكشفه من كتاب الله:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾

[سورة الأحقاف : 3]



ما خلقناهما إلا بالحق.. أما الباطل فهو الشيء الزائل، والحق نقيض الباطل، إذاً الحق هو الشيء الثابت، الدائم، المستمر، والجدار الذي تبنيه من دون أسس علمية لا يستمر، يقع، أما إذا بنيت الجدار وفق أسس علمية بشاقول، وبمواد أساسية، وبأساس جيد، فهذا الجدار لا يتقوض، بني ليبقى، لأنه وفق الحق، فكل شيء بني وفق الحق يستمر، وكل شيء بني خلاف الحق ينهار.

التعريف الثاني للحق:

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾

[سورة الأحقاف : 3]

الحق نقيض اللعب.. أيحسب الإنسان أن يترك سدى..

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾

[سورة المؤمنون: 115-116]

فالحق هو الشيء الهادف، لا الشيء العابث، هذا الحق الذي يبحث عنه الناس جميعاً، يقول لك: الحقيقة، الحق.. الحق: هو ما نقل عن الله عز وجل، هو القرآن، قطعي الثبوت، والسنة الصحيحة وفق التفسير الأصولي، هذا هو الحق، والعقل الصريح ليس العقل التبريري، والفطرة السليمة، ليست الفطرة المشوهة، والواقع الموضوعي، ليس الواقع غير الموضوعي المزور، فالحق تتقاطع فيه خطوط النقل الصحيح، مع التأويل الصحيح، وخطوط العقل الصريح، وخطوط الفطرة السليمة، وخطوط الواقع الموضوعي؛ لأن النقل كلامه، ولأن الكون خلقه، ولأن العقل مقياس أودعه فينا من عنده، ولأن الفطرة جبلة جبلنا عليها. لابد من هذا التطابق، وهذا الحق هذا مقياسه.

الأطفال هم الجيل الصاعد الذي تعلق عليه الأمة آمالها :

الآن نعود إلى الأطفال.. الأطفال – أيها الأخوة – غراس الحياة، قطوف الأمل، قرة عين الإنسان، زهور الأمة المتألقة، والمتفتحة، هم الجيل الصاعد الذي تعلق عليه الأمة أملين كبيرين، هما أخص واجبات الحفاظ على مكاسب الأمة في شتى الميادين، وتحقيق مكاسب جديدة، كي تحقق الأمة الرسالة التي شرفها الله بها، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

[سورة البقرة : 143]

ولكن هذه الواجبات الملقاة على عاتق الجيل الصاعد لن تتحقق إلا إذا بذلت الأمة لأبنائها كل عناية واهتمام، وكل غال ورخيص، وكل نفس ونفيس، وقد وجه الإسلام عنايته إلى تربية الأطفال حتى يسعد بهم المجتمع، ويسعدوا هم بالمجتمع، ولكن الشيء الذي يحير ويلفت النظر إعجاباً، هو أن الإسلام لم يأمر بالعناية بالطفل من يوم مولده بل رعاه فكرةً، واحتضنه غيباً، وخطط لمستقبله، ولم يزل أمنية هائمة في ضمير الغيب، لأن الأسرة في الإسلام لها خطورتها ومكانتها، لهذا لابد للإسلام من أن يصحح أول لبنة من لبناته ألا وهي الطفل.

أيها الأخوة: سئل عملاق الإسلام سيدنا عمر رضي الله عنه: ما حق الولد على أبيه ؟.. فأجاب إجابةً رائعة، قال: أن يحسن انتقاء أمه، هذا أول واجب على الآباء تجاه الأبناء، أول حق للأبناء على الآباء أن يحسن اختيار أمه، وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه القرآن، كيف لا والطفل هو العنصر الأول في بناء الأسرة، وهو الذي يسعد أهله ويشقيهم، يسعدون باستقامته، وسلامته، وسعادته، وتوفيقه، ويشقون بانحرافه، وإخفاقه،

وانحرافه، وشذوذه، وكنت أقول دائماً أيها الأخوة: لو أن الوالد وصل إلى أعلى مركز اجتماعي، أعلى مركز إداري، أعلى حجم اقتصادي، أعلى مكانة علمية، ولم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس .

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾

[سورة طه : 117]

بحسب قواعد اللغة المفروض أن تكون الكلمة فتشقيا، أما الآية ليست كذلك:

﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾

[سورة طه : 117]

لماذا ؟ قال: لأن شقاء الزوج شقاء حكمي للزوجة، والبلاغة في الإيجاز، يقاس على هذه الآية: إذا شقي الابن شقي الأب حكماً، فالذي يعتني بأولاده يبحث عن راحته، وعن سلامته، وعن سعادته.

الأطفال هم المودة و الرحمة :

أيها الأخوة الكرام: الأطفال بادئ ذي بدء هم المودة بين الزوجين، كما أن الله خلق السموات والأرض، لتكون هذه السموات والأرض آية دالة على عظمته:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم: 21]

وكما أن الله خلق الشمس والقمر ليكونا آيتين على عظمته:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾

[سورة الروم: 23]

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

[سورة فصلت : 37]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم: 21]


الأطفال هم المودة والرحمة بين الزوجين

بادئ ذي بدء المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل، أما معنى الرحمة فقد تنقطع المصلحة بين الزوجين، قد يفتقر الزوج، قد يصاب بمرض عضال، قد تمرض الزوجة، إن توقفت المصلحة بينهما تلك التي هي سبب المودة حلّت الرحمة مكان المودة، فهذه الأسرة أسست لتبقى، إما بحكم المودة، وإما بحكم الرحمة، أو بكليهما، ولكن بعض المفسرين جزاه الله خيراً لفت النظر إلى أن قوله تعالى: وجعل بينكم مودة ورحمة، الأطفال، هم الذين يزيدون المودة بين الزوجين، إذاً الأطفال هم المودة والرحمة، الأطفال يقوون العلاقة الحميمة بين الأبوين، ويجعلون هذه العلاقة أكثر أمناً واستقراراً، والأطفال هم البشرى، قال تعالى:

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّاً﴾

[سورة مريم:7]

والأطفال هم قرة العين.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

[سورة الفرقان: 74]

والأطفال هم زينة الحياة الدنيا:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾

[سورة الكهف: 46]

وأما في السنة القولية مما ورد في الأدب المفرد للبخاري:

((أن أول من يمسك بحلق الجنة أنا، فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي، قلت: من هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم))

[الأدب المفرد للبخاري]

الحكم الشرعي من حق الزوجة التي مات عنها زوجها أن تتزوج ولا شيء عليها إطلاقاً، هذا موقف شخصي، لكنها تُكافأ مكافأة كبيرة إن لم تفعل، نريد من هذا الحديث أن نعرف كم هي عظيمة عند الله تربية الأولاد، هذه التي تنازع النبي الكريم دخول الجنة لأنها ربت أولادها، وقدمت للمجتمع عناصر سليمة.

رحمة الله و رسوله بالصغار :

ومن زاوية أخرى كم تحتاج تربية الأولاد إلى تضحيات جسام؟ إلى بذل الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، وفي الحديث:

((الأطفال دعاميص الجنة))

[مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ]

والدعاميص نوع من الفراشات الجميلة، هم أحباب الله، وقرة أعين الآباء، وفي حديث آخر تعرفونه جميعاً:

((لولا أطفال رضع، وشيوخ ركع، وبهائم رتع، لصب عليكم العذاب صباً))

[مسند أبي يعلى الموصلي، وسنن البيهقي الكبرى، والطبراني في المعجم الأوسط عن أبي هريرة]

فكأن الصغار يدرؤون عن آبائهم العذاب الذي يستحقونه. وقد أمرنا أن نأخذ أقوال النبي لأنه المعصوم، ولأنه المشرع، وقد أمرنا أن نتأسى به، بأفعاله، لأنه المعصوم، ولأنه المشرع، ولأن السنة في تعريفها الدقيق: ما أثر عن النبي من قول أو عمل أو إقرار أو صفة فماذا عن سنته العملية؟

((صعد المنبر ذات يوم يخطب الناس، ورأى الحسن والحسين يجريان ويتعثران، فقطع خطبته، ونزل فاستقبل الطفلين وحملهما على ذراعيه، ثم صعد المنبر وقال: صَدَقَ اللَّهُ (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ) فَنَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا))

[الترمذي عن عبد الله بن بريدة]

وكان يصلي بأصحابه ذات يوم فأقبل الحسن والحسين فركبا ظهره، وهو ساجد فأطال السجود ثم أطال السجود، ولم يرض أن يعجّل بنزولهما حتى نزلا، وحين سلم سأله أصحابه: لقد أطلت السجود يا رسول الله فقال:

((...وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ))

[النسائي وأحمد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ عَنْ أَبِيهِ]

من شدة رحمته بالصغار أنه كان يعجل صلاته إذا سمع بكاء طفل وكأن هذا الطفل ينادي أمه ببكائه، كان يصلي بأصحابه ذات يوم صلاة الفجر، ومن سنته الشريفة أنه كان يطيل القراءة في صلاة الفجر، ذكر بعض شارحي الحديث أنه قرأ الإخلاص، فعجب أصحابه من هذه السرعة الشديدة في أداء صلاة الفجر، فقال:

((إني لأقوم إلى الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه))

[البخاري عن أبي قتادة]

هذه رحمته بالصغار، وكان يمرُّ ذات صباح على بيت فاطمة فبلغ مسمعه بكاء الحسين فشق عليه ذلك فقال لفاطمة بعد أن انتهرها:

((أو ما علمت أن بكاءه يؤذيني))

الابتعاد عن خطبة المرأة السيئة صوناً للأسرة :

أيها الأخوة: صوناً للأسرة من أن تتصدع وتنهار فيدفع الصغار باهظ الأثمان حذر النبي حينما يخطب الإنسان المرأة السيئة:

((تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

وفي بعض الروايات من تزوج المرأة لمالها أفقره الله، ومن تزوجها لحسبها زاده الله دناءة، ومن تزوجها لدينها أكرمه الله.

ضرورة تساهل أولياء الفتيات مع الشباب أثناء الخطبة :

وهناك توجيه آخر من النبي عليه الصلاة والسلام إلى أولياء الفتيات:

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

[انفرد به الترمذي عن أبي حاتم المزني]

والذي أقوله – أيها الأخوة – إما أن نتساهل مع خاطبي فتياتنا وإما أن يحل السفاح محل النكاح، ماذا قال سيدنا شعيب لسيدنا موسى خاطب ابنته قال:

((وما أريد أن أشق عليك))

إذا تساهلنا حفظنا مجتمعنا، حفظنا أعراضنا، حفظنا مستقبلنا.

نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن القرابة القريبة :

أيها الأخوة الكرام: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القرابة القريبة، ليكون النسل قوياً ففي الحديث الموقوف على سيدنا عمر:" اغتربوا لا تضووا " لأن هذا الضعف يتكرس، إذا كانت القرابة شديدة، ولأن الطفل أيها الأخوة يحمل عناصر الأبوة والعمومة وخصائص الخؤولة فلابد للإسلام من أن يحفظ نقاء الطفل

ووراثته، ليخرج للناس لا تشوبه شائبة، ولا يشينه ما يشين، أو يحط من قدره سلوك، أو يلحق به سوءات الآباء والأجداد، فمن التوجيهات: تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس .

يجب أن تفتخر بآبائك وأجدادك، لا افتخار الجاهلية، ولكن افتخار الطهر والعفاف والتربية.

العدل بين الأولاد :

وحفاظاً على التفاف الأولاد حول آبائهم، وعلى حسن العلاقة فيما بينهم، أمر الإسلام الآباء بالعدل بين الأولاد والتسوية بينهم في العطية، وقصة الصحابي الجليل النعمان بن البشير الذي أراد أن يشهد النبي عليه الصلاة والسلام على نحلة نحلها ابنه، من دون إخوته، فقال له عليه الصلاة والسلام: أشهد غيري فإني لا أشهد على جور.


أمر الإسلام بالعدل بين الأبناء والتسوية بينهم في العطاء

ونظر النبي عليه الصلاة والسلام إلى رجل له ولدان فقبل أحدهما وترك الآخر، فقال له: مهلاً، هلا ساويت بينهما؟ اعدلوا بين أولادكم ولو في القبل .

وبما أن الأنثى مساوية للذكر في التكليف والتشريف والمسؤولية، وبما أن الله كرمه كما كرمها، لذلك لا يقر الإسلام أن يُنظر إلى الأنثى نظرةً دون الذكر، وكل من ينظر هذه النظرة فهو جاهلي بعيد عن روح الإسلام، وكنت أقول – أيها الأخوة – والله قلامة ظفر فتاة مؤمنة طيبة طاهرة، تحسن تبعل زوجها وأولادها، خير من ألف رجل شارد عن الله عز وجل.

تخصيص الإناث ببعض الآيات في القرآن الكريم :

أيها الأخوة: أي أمر في القرآن الكريم موجه للذكور يعني الذكور والإناث من باب التغليب، وفضلاً عن ذلك، خص الله الإناث ببعض الآيات، قال:

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾

[سورة آل عمران : 195]

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾

[سورة الأحزاب : 35]

عند الله سواء. يقول عليه الصلاة والسلام: " نعم الولد البناء". وفي حديث آخر وحينما بُشر النبي عليه الصلاة والسلام بفاطمة رضي الله عنها قال: "ريحانة أشمها وعلى الله رزقها " وقال أيضاً: " من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان كحامل صدقة إلى قوم محاويج وليبدأ بالإناث قبل الذكور ".

واستثنى الفقهاء من التماثيل اللعب الصغيرة، التي يفرح بها الصغار.

تأثير البيئة في عقيدة الطفل و مبادئه :

ومن الثابت أن للبيئة التي ينشأ فيها الطفل أثراً فعالاً في عقيدته ومبادئه، وفي طباعه وأخلاقه، ويتأثر الطفل أول ما يتأثر بالأبوين اللذين يتخذهما مثلاً أعلى في سلوكه، لذلك وجب على الوالدين ألا يظهرا أمام طفلهما إلا بالمظهر الحسن والخلق القويم، وأن يضربا أمامه أكرم الأمثلة في الأقوال والأفعال..

أمرأة قالت لابنها في حضرة النبي عليه الصلاة والسلام: تعال هاك – لأعطيك– فقال عليه الصلاة والسلام: ماذا أردت أن تعطيه؟ قالت تمرة، فقال لها عليه الصلاة والسلام: " أو إن لم تفعلي ذلك لعدت عليك كذبة" .

وقد وجه الإسلام إلى الوالدين إرشادات سامية إذ أمر الوالدين بالعناية بهم العناية الكاملة، أحبوا الصبيان، وارحموهم، فإذا وعدتموهم فوفوا لهم، فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم .

تأديب الرجل ابنه و لزومه دائماً :

وجزء أساسي جداً في تربية الأولاد هو أن يلزم الوالدان أولادهم وأن يكون أولادهم معهم في أكثر الأوقات، وهذا يساعد على غرس القيم والعادات الصحيحة، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((الزموا أولادكم))

[ابن ماجة عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ]


ترك الأولاد دون متابعة يدفعهم إلى رفقاء السوء

أي لا تتركوهم هملاً دون رعاية، أو لا تتركوهم للشاردين والتائهين ورفقاء السوء، الزموا أولادكم، وحينما يؤدب الرجل ولده فإنما يدفع إلى المجتمع لبنة صالحة، وعنصراً خيراً، لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ أَوْ أَحَدُكُمْ وَلَدَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ كُلَّ يَوْمٍ بِنِصْفِ صَاعٍ))

[أحمد عن جابر بن سمرة]

له أجر كبير، وكأن النبي عليه الصلاة والسلام حثنا على تربية الأولاد بما في هذا العمل من أجر عظيم، وعلى كل فكل أمر قطعي الدلالة في السنة النبوية الصحيحة يقتضي الوجوب، قال عليه الصلاة والسلام:

((أَكْرِمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ))

[ابن ماجة عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ]

الآخرون أنت لهم، وغيرك لهم، أما أولادك فمن لهم غيرك ؟ وكفى بالمرء أثماً أن يضيع من يقوت، هو يطعمه لكن ضيعه أهمل دينه وأخلاقه.

أسس التّربية الاستقلاليّة :

في الإسلام توجيهات رائعة، في علم النفس التربوي، وعلم الاجتماع، وعلم التربية، حينما يصل الإنسان إلى ما قاله النبي نثني عليه، نثني على العلم، هناك مسلمون يقعون في تناقض عجيب، إذا رؤوا شيئاً في الإسلام يتوافق مع العلم يثنون على الإسلام وكأن العلم هو الأصل، لا، الأصل هو الدين، الأصل هو وحي السماء إذا رأيت في بعض العلوم ما يطابق القرآن والسنة، نقول: هذا العلم صحيح لأنه طابق القرآن والسنة. التربية الحديثة تعنى بالتربية الاستقلالية، التربية الاستقلالية تقوم على احترام الطفل، تقوم على احترام شخصية الطفل، تقوم على منحه بعض الثقة، تقوم على مشاركة الصغير في إبداء الرأي مهما يكن رأيه ضعيفاً، تقوم على أخذ رأي الصغير في حلّ بعض المشكلات وإن بدا حله غير واقعي، تقوم على توضيح ما في الرأي من خطأ أو ضعف ثم عرض الرأي الصحيح عليه، هذه أسس التربية الاستقلالية، هذه الطريقة تصوغ شخصية الطفل صياغة سليمة وتوجهه الوجهة الصحيحة. هناك آباء لا يسمحون لأولادهم أن يفعلوا شيئاً، هناك أمهات لا يسمحن لبناتهن أن يفعلن شيئاً، ينشأ هذا الطفل اتكالي، ضعيف الشخصية، لا يواجه الأمور، لا يحل مشكلة، اتكالي، أما الأب الذي يزج ابنه في الحياة مع المراقبة، الذي يعتني به، يمنحه

بعض الثقة، يستشيره، يسأله، يأخذ برأيه، فينمي شخصيته، ويكسبه قدرةً على مواجهة مشكلات الحياة. ورد في الأثر :

((لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً ثم اجعل حبله على غاربه))

[ورد في الأثر]

اجعله صديقك بعد الواحد والعشرين، أما ما ورد في السنة من التربية الاستقلالية التي أرادها النبي صلى الله عليه وسلم والتي علم الناشئة من الصحابة عليها، وعودهم على إبداء آرائهم ما حدث لعبد الله بن عمر، عندما سأل النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه:

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا))

[متفق عليه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ]

اسأل.. أحياناً مدرس يسأل سؤالاً صعباً لا يجيب الطالب فيتهمه بالغباء، كلمة اجلس يا غبي، هذه الكلمة تحطمه لخمسين عاماً. الطالب الضعيف اسأله سؤالاً سهلاً، وارفع له معنوياته، اسأله سؤالاً مقبولاً، يستطيع أن يجيب عليه، ثم شجعه وأثن عليه، تعطيه ثقة بنفسه، فقال عمر:

((.....لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا))

العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة :

ثم إن العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة والمجتمع الذي ينشئ أفراده على الوعي والمعرفة، وعلى الهدى والبصيرة، والثقافة والعلم، هو المجتمع الحق الذي ينهض به أفراده وينهض هو بأفراده، من أجل ذلك دعا الإسلام إلى العلم الذي يحقق الفائدة للمجتمع، وللفرد، والسلامة للعالم، قال تعالى:

﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن : 1-4]

أيعقل أن يعلم الله الإنسان القرآن قبل أن يخلق؟ قال علماء التفسير: ليس ترتيب هذه الكلمات ترتيباً زمنياً بل هو ترتيب رتبي، بمعنى أنه لا معنى لوجود الإنسان من دون منهج يسير عليه.

قبول الآباء التطور و المتغيرات المتعلقة بالدنيا فقط :

شيء آخر لفت النبي عليه الصلاة والسلام إليه نظر الآباء، قال:" علموا أولادكم فإنهم مخلوقون لزمن غير زمنكم"، يجب أن يقبل الأب التطور، هناك ثوابت بالإنسان، و هناك متغيرات، فالثوابت فوق المكان والزمان، ما غطتها النصوص قطعية الدلالة، أما المتغيرات فلا يتأثر الدين بها، لا تقترب من الدين، متعلقة بالدنيا، فالأب الناضج لابد من أن يقبل المتغيرات : " علموا أولادكم فإنهم مخلوقون لزمن غير زمنكم" .

أنت نشأت بالخمسينات، ابنك الآن بالتسعينات، هناك تطور غريب بأنماط الحياة، وأنماط الدخل والعمل والسلوك. ينبغي أن نعلمهم ما ينبغي أن يُعلم من الدين بالضرورة، وأن هذا العلم فرض عين، أما بقية العلوم فهي فرض كفاية، إذا قام بها البعض سقطت عن الآخرين.

أيها الأخوة الكرام حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي بالحق ولا يُقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغفرك ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك. اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا. اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، ودنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين. اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك. اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين. اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، وآمنا في أوطاننا، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً، وسائر بلاد المسلمين. اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك، ومن الفقر إلا إليك، ومن الذل إلا لك، نعوذ بك من عضال الداء، ومن شماتة الأعداء، ومن السلب بعد العطاء. اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين. اللهم ما رزقتنا مما نحب فاجعله عوناً لنا فيما تحب، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب.

اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام، وأعز المسلمين، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول : علاقة الإنسان بأسرته

الدرس (1-4) : الأسرة في القرآن الكريم

الدرس (2-4) : توجيهات القرآن الكريم للزوجين

الدرس (3-4) : معالجة الشقاق الزوجي

الدرس (4-4) : حل المشاكل الأسرية

الدرس (1-4) : الأسرة في القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامج الإسلام منهج حياة .

وأرحب بضيفنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي . حفظه الله . الداعية الإسلامي.

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور ، لعل الأسرة تكون من أهم المحطات في الحياة ، التي بنجاحها تثمر نجاح المجتمع ، وبفشلها تورث المجتمع طامة كبرى ، في القرآن الكريم وصف الله سبحانه وتعالى الأسرة بأنها آية :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ﴾

(سورة الروم الآية : 21)

لماذا هذا التوصيف وما الذي يستفاد منه ؟.

النجاح لا يكون نجاحاً إلا إذا كان نجاحاً شمولياً :

الدكتور راتب :



أستاذ جميل ، بادئ ذي بدء نحن في هذا البرنامج اخترنا محطات خمس ، المحطة الأولى علاقة الإنسان بربه ، وما وسائل تمتين هذه العلاقة ؟

والمحطة الثانية علاقته بأسرته وأولاده ، وهي محطة مهمة جداً .

والمحطة الثالثة علاقته بمن حوله من أصدقاء ، من جيران ، من أقارب ، من زملاء ، من الناس عامة .

والمحطة الرابعة علاقته بعمله الذي يرتزق منه .

والمحطة الخامسة علاقته بصحته .

وننطلق في هذا البرنامج إن شاء الله من حقيقة أساسية وهي أن النجاح لا يكون نجاحاً إلا إذا كان نجاحاً شمولياً ، أما النجاح في حقل واحد من هذه الحقول ، أو في إحدى هذه المحطات لا يعد نجاحاً .

فبعد أن أمضينا حلقات عدة في الحديث عن علاقة الإنسان بربه ، اليوم ننتقل إلى علاقته بأهله ، بزوجته وأولاده .

الكون بكل عظمته اللامتناهية آية دالة على عظمة الله :

الحقيقة الدقيقة أن الله عزّ وجل حينما قال :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ ﴾

الآية العلامة الدالة على عظمة الله ، كما أن الكون بسماواته وأرضه من آيات الله على عظمته.

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة الشورى الآية : 29)

وهو الكون .

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

(سورة فصلت الآية : 37)



الآن لا بد من تعليق ، أن العطف في اللغة يقتضي التقارب ، أنت لا تقول: اشترت بيتاً وملعقة ، ينبغي أن تقول : اشتريت بيتاً ومركبة ، بيتاً وأرضاً ، مزرعة ومركبة، لابد في العطف من التناسق والتقارب ، فإذا قال الله عز وجل :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ ﴾

الدالة على عظمته الكون بأكمله ،

﴿ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ﴾

من آياته الشمس والقمر ، الآن ندقق ،

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

العطف :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم الآية : 21)

كما أن الكون بكل عظمته اللامتناهية يعد آية دالة على عظمة الله ، كذلك نظام الزوجية ، وما ركب الله الذكر والأنثى من خصائص متكاملة وليست متشابهة .

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران الآية : 36)

متكاملة .

التصميم الإلهي الرائع للذكر والأنثى :

كيف أن هذا التصميم الرائع الإلهي للذكر والأنثى ، فالذكر له خصائص جسمية ، ونفسية ، واجتماعية ، وفكرية ، وقيادية ، والأنثى لها خصائص رائعة جداً جسمية ، ونفسية، واجتماعية ، وقيادية ، هذه الخصائص تؤكد قوله تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ﴾

إنهما متكاملان وليسا متشابهين ، فروق كبيرة جداً ، لأن صفات المرأة التي تتميز بها كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها ، وصفات الرجل التي يتميز بها كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به .

فمن آيات الله الدالة على عظمته ، وعلى حكمته ، وعلى علمه ، وعلى قدرته الذكر والأنثى

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

كما أن الكون من آياته ، كما أن الشمس من آياته ، والقمر من آياته ، كما أن النجوم من آياته ،

﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

هذه الآية التي هي أصل في الزواج كلمات دقيقة تعد مراكز ثقل في الآية ،

﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف ، مكلفة كما هو مكلف ، مشرفة كما هو مشرف ، مسؤولة كما هو مسؤول .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

مكلفة بأركان الإسلام ، مكلفة بأركان الإيمان ، مكلفة برعاية الزوج والأولاد ، مسؤولة عن كل ذلك ، كذلك الزوج .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

إنها ترقى كما ترقى ، وتسمو كما يسمو ، وتصيب كما تصيب ، وتخطئ كما تخطئ ، وتحب كما تحب ، وتكره كما تكره

﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

من جبلتكم ، من خصائصكم ، ولكن بخصائص تتميز بها عنك أيها الرجل كي تميل إليها ، وتتميز بخصائصك عنها كي تميل إليك .

المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عزّ وجل :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

ما السكنى ؟ الرجل له خصائص ، إنه يكمل نقصه الانفعالي والعاطفي بزوجته ، والزوجة لها خصائص لكنها تكمل نقصها القيادي بزوجها ، إذاً يسكن إليها ، وتسكن إليه ، يميل إليها ، وتميل إليه ، يحبها وتحبه، هذه من تصميم الخالق العظيم .



﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

الدالة على عظمته ،

﴿ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ ﴾

أي المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل ، هكذا أراد الله .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

ولكن في هذه الآية ملمح دقيق جداً ، فالزوج حينما يرى زوجته ملء عينه ، ملء سمعه ، ملء بصره ، جمالاً ، وكمالاً ، ورقةً ، ووفاء ، وطاعة يحبها ، والحب حالة داخلية ، شعور داخلي يعبر عنه بالمودة ، فابتسامته مودة ، وإحساسه حب ، هديته لها مودة ، عطفه عليها مودة ، معاونتها مودة .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾

والزوجة حينما ترى زوجها ملء سمعها وبصرها ، شاب رائع ، كريم ، ذو مبادئ ، يحبها ، يدافع عنها ، يحميها ، تحبه ، تحبه حباً جماً ، فهو ملء سمعها وبصرها ، لذلك تميل إليه وتسكن إليه ، وتكمل نقصها القيادي به .

إذاً هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾

أعظم ما في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين:

لكن الملمح الرائعة في كلمة

﴿ وَرَحْمَةً ﴾

أحياناً يفتقر الزوج ، أحياناً تمرض الزوجة ، هذه المؤسسة أقدس مؤسسة في حياة البشر ، دعمتها شرائع السماء ، هذه المؤسسة إذاً وجدت لتبقى ، فلذلك ينبغي أن تبقى بالمودة فإن لم تكن بالرحمة ، كم من رجل افتقر فعملت زوجته عملاً شاقاً لإطعامه ، وكم من زوجة مرضت فاعتنى بها زوجها حتى آخر لحظة ، هذا من عظمة الإسلام ، أعظم ما في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين ، يتقرب إلى الله بخدمتها ، وتتقرب إلى الله بخدمته ، ويخاف الله أن يظلمها ، وتخاف الله أن تظلمه ، الكلمة الدقيقة الجامعة المانعة أن الله بين الزوجين .

هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً ﴾

الأستاذ جميل :

إذاً فضيلة الدكتور ليس من الضروري أن يكون الحب من البداية حتى النهاية في هذه المؤسسة ، لأن الشائع بين الناس أن الحب متى غادر الأسرة فهي أسرة فاشلة .

الدكتور راتب :

ما كل علاقة تبنى على الحب أصلاً ، تبنى على المصلحة أحياناً .

الأستاذ جميل :

سبحان الله ! دكتور ما التوجيهات القرآنية التي تحافظ على المثالية الأسرية ولاسيما عندما يكون العهد بين زوجين ؟

التوجيهات القرآنية التي تحافظ على المثالية الأسرية :

الدكتور راتب :

الحقيقة أنا أنطلق من حديث رائع :

((ما تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[أحمد عن ابن عمر]

أنا أنصح الزوج والزوجة أن يستقيما على أمر الله ، لقاءهما حتمي ، المحبة تتنامى ما دام في طاعة الله ، فإذا عصى أحدهما ربه فهناك مشكلة ، فلذلك قال تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء الآية : 19)

ومن أجمل ما قاله العلماء : " ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها بل أن تتحمل الأذى منها ".

فلذلك عندما يستقيم الزوج على أمر الله ، وتستقيم هي على أمر الله ، يكون الحب والمودة التي هي من خلق الله عز وجل بينهما ، هذه الحقيقة ، لكن إذا بني الزواج على طاعة الله تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، أما إذا بني على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بينهما .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، من أجمل الكلمات أن الله سبحانه وتعالى بين الزوجين ، جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم .

شكراً لكم مشاهدينا نراكم بخير إن شاء الله .

السلام عليكم ورحمة الله .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : توجيهات القرآن الكريم للزوجين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات يسرني أن أطل عليكم من جديد في برنامج : " الإسلام منهج حياة " .

كما يسرني أن أرحب بضيف البرنامج فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، الداعية الإسلامي حفظه الله ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

تحدثنا في حلقة سابقة عن آية من آيات الله ، وعن نموذج لعلاقة ناجحة بين الزوج وأهل بيته ، ما هي التوجيهات القرآنية للزوجين حتى يكون كل واحد منهما كما يريد الله عز وجل ؟.

التوجيهات القرآنية للزوجين حتى يكون كل واحد منهما كما يريد الله عز وجل :

الدكتور راتب :

من هذه التوجيهات :

1 . عدم إخراج الزوجة من البيت حينما ينشب خلاف بين الزوج و زوجته :

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

(سورة الطلاق الآية : 1)


عند الخلاف بين الزوجين لا يجب أن تخرج المرأة من بيتها

حينما ينشب خلاف بين الزوجين ، ويطرد الزوج زوجته إلى بيت أهلها ، أصغر قضية بينهما قد تتفاقم إلى أن تنتهي إلى الطلاق ، بسبب تغذية أخرى من أطراف آخرين ، أما حينما تبقى في بيتها أكبر مشكلة تتقلص حتى تنتهي بعد أيام .

فلذلك هذا توجيه إلهي عظيم ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

ليس للزوج أن يخرج امرأته من بيتها ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

نُسب البيت إليها ، وإن كانت الملكية للزوج ، لكن نسبت هذه المؤسسة للزوجة ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

الإشارة تعني أن الزوج يؤكد ذاته خارج البيت ، في عمله ، في دراسته ، في إنجازاته الكبيرة ، أما الزوجة تؤكد ذاتها في هذا البيت الذي هو مملكتها .

فلذلك عزي في القرآن الكريم نسبة البيت إلى الزوجة ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ ﴾

وأصغر قضية بين الزوجين إن أخرجها زوجها من بيتها إلى بيت أهلها ، أو إن هي خرجت من بيتها إلى بيت أهلها ، هذه القضية الصغيرة بسبب تغذيات عديدة من أقاربها ، ممن حولها ، هذه التغذية تنتهي بالطلاق ، أما حينما تبقى في بيت الزوجية أكبر مشكلة بين الزوجين تتقلص ، تصغر إلى أن تتلاشى بعد أيام ، فهذا توجيه قرآني كبير جداً ،

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

2 . الائتمار بينهما بالمعروف :

توجيه آخر :

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

(سورة الطلاق الآية : 6)

تأمرها وتأمرك ، وتنصحها وتنصحك ، هي شريكة حياتك ، الآية الدقيقة جداً :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(سورة البقرة الآية : 228)



مثلاً ربان الطائرة ، قائد الطائرة طيار ، ومساعده طيار أيضاً ، بإمكانه أن يقلع بها وأن يهبط بها، ولكن الكلمة الفصل بالأزمات الخطيرة للطيار ، ففرق الطيار على مساعده فقط درجة واحدة .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

بين لواء ولواء أركان حرب ، لا بين مجند ولواء، الفرق ينبغي أن يكون صغيراً جداً .

فلذلك هذه الآية توجه الأزواج إلى عدم إخراج زوجاتهم ، وتوجه الزوجات إلى عدم خروجهن من بيت الزوجية ، من أجل أن تتقلص الأمور ، إنسان بساعة غضب ، انزعج، لكن بعد أيام يرى ميزات زوجته ، هو بحاجة إليها ، وهي في بيته تتزين له ، لذلك ممكن أن تتلاشى هذه المشكلة بعد أيام ، هذه واحدة .

التوجيه الآخر :

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

تنصحها ، وتنصحك ، تشير عليها وتشير عليك ، تأمرها وتأمرك ،

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ ﴾

قرآن كريم ، والائتمار فعل مشاركة .

ينبغي على الزوج أن يعطي زوجته حقها كما ينبغي على الزوجة أن تعطي زوجها حقه :

لكن هذا الذي يتوهم أنه فوق سبع سماوات وزوجته في الأراضين هذا زوج جاهل لا يعرف قيمة الزوجية ، درجة واحدة ،

﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ ﴾

كما أنك تريد أن تتزين لك ينبغي أن تتزين لها ، كما تريد أن تحترم أهلك ينبغي أن تحترم أهلها ، وإلا صار الزوج عنصرياً ، العنصرية صفة في الإنسان خسيسة ، ما هي ؟ أن تتوهم أن على غيرك ما ليس عليك ، وأن لك ما ليس لغيرك ، هذه عنصرية ، قد تبدأ بعلاقة ما بين الزوجين وقد تنتهي بحق الفيتو في مجلس الأمن ، حينما تتوهم دولة أن لها ما ليس لغيرها ، وأن على غيرها ما ليس عليها ، هذه عنصرية ، وما دام هناك عنصرية في الحياة فهناك مشكلات لا تنتهي .

فلذلك بين الزوجين ينبغي أن يعطيها حقها كما ينبغي أن تعطيه حقه .

الأستاذ جميل :

دكتور ما هو الدور الذي يؤديه كل من هذين الزوجين ، وبالتالي ما هي مهامه المنوطة به ؟.

الدور الذي يؤديه كل من الزوجين و المهام المنوطة بهما :

الدكتور راتب :

والله هذا الدور وضحته امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، جاءت إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقالت :

" يا رسول الله ، إن زوجي تزوجني وأنا شابة ، ذات أهل ، ومال ، وجمال ، فلما كبر سني ، ونثر بطني ، وذهب مالي ، وتفرق أهلي ، قال : أنت عليّ كظهر أمي ، ولي منه أولاد ، إن تركتهم إليه ضاعوا ، وإن ضممتهم لي جاعوا ، أي أنا أربيهم وهو ينفق عليهم " .



فالمرأة دورها الأول التربية ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام في بعض الأحاديث :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا امرأة تنازعني ، تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت : من هذه يا جبريل ؟))

[ورد في الأثر]

الحديث طويل ، هي امرأة ربت أولادها ، تربية الأولاد أعظم عمل عند الله لأن الأطفال أحباب الله ، ولأن الأم إذا ربت أولادها إلى المجتمع عناصر جيدة ، صادقة ، أمينة ، متقنة ، تحمل همّ الأمة ، عناصر خيرة ، معطاءة .

لذلك أعظم عمل تقوم به المرأة دون استثناء تربية الأولاد ، وقد أكرم الله الزوجين بهذه الآية :

﴿ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾

(سورة الطور الآية : 21)

قالت : يا رسول الله إن ضممتهم إلي جاعوا ، إن تركتهم إليه ضاعوا ، هو ينفق عليهم ، وأنا أربيهم ، هذه الأدوار المتكاملة بين الزوجين .

حقيقة الزواج أن كل طرف له وظائف وله مهمات وله محاسبة عن أعماله :

لذلك حقيقة الزواج أن كل طرف له وظائف ، وله مهمات ، وله محاسبة عن أعماله ، من هنا قال عليه الصلاة والسلام :

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله . يعدل الجهاد في سبيل الله .))

[عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

والجهاد كما تعلمون ذروة سنام الإسلام .

وقد رد في الأثر أن :

((أكرموا النساء ، فوالله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

الأستاذ جميل :

دكتور ، هذه منهجة للأسرة المسلمة على دين الله في حياتها كلها ، ونحن حديثنا كله في هذا البرنامج عن أن الإسلام منهج لحياة كريمة .

تكريم الإسلام للمرأة :

الدكتور راتب :

يمكن أن أضيف إضافة ، الحقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة المكرمة دعته سادتها وكبراؤها ليبيت عندهم ، ماذا قال ؟ قال : "انصبوا لي خيمة عند قبر خديجة " .



وركز لواء النصر أمام قبرها ، ليعلم العالم كله أن هذه المرأة التي في القبر شريكته في النصر، هل هناك من تقدير وتوقير ووفاء كهذا الموقف من رسول الله ؟ هكذا المرأة في الإسلام هي مكرمة ، لكن سوء فهم بعض المسلمين وسوء تصرفاتهم أحياناً سببت مشكلات اجتماعية ، لذلك هناك من اتهم الإسلام ، والإسلام بريء من هذه التصرفات ، هذه واحدة .

هناك شيء آخر ، كما قلت قبل قليل إذا توهم الزوج أن له ما ليس لزوجته ، وأن عليها ما ليس عليه ، هنا تبدأ العلاقة بالسوء بينهما ، فنحن نحافظ على علاقة طيبة ، نامية ، إيجابية بين الزوجين ، لا تكون إلا بطاعة الله أولاً ، وبالحياة المشتركة ثانياً ، وكلما تقدم فهم الإنسان وارتقى في سلم الإيمان ، ونضج عقله ، يعامل زوجته كشريكة حياة ليس غير ، لا يعاملها أقل منه .

الأستاذ جميل :

ذكرتم فضيلة الدكتور عن العنصرية ، العنصرية بين الزوجين ، نريد منكم توضيح حول هذه العنصرية .

العنصرية بين الزوجين :

هناك بعض الأمثلة ، مثلاً : لو أنه نقد أمها نقداً لاذعاً فإذا أرادت أن تنتقد أمه نقداً أقل منه أقام الدنيا ولم يقعدها ، هذه عنصرية ، كما أنها أمك هي أمها ، حينما يكلفها بشيء فوق طاقتها هذه عنصرية ، أما إذا طالبته بشيء ينفجر عليها ، حينما يعامل الناس برقة ولطف فإذا دخل إلى البيت عاملها بقسوة هذه ازدواجية في الشخصية .



فلذلك النبي الكريم قال :

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

ماذا أراد النبي الكريم ؟ أراد أن الإنسان خارج البيت يتأنق ، ويتلطف ، ويعتذر، ويبتسم ، ويصافح ، وينحني ، هذا جزء من عمله ، جزء من أنه أراد كسب شعبية بين الناس، لكنه إذا دخل إلى بيته هو طليق لا أحد يحاسبه ، فكمال الإنسان يظهر في بيته ، أخلاقه الحقيقية تظهر في بيته ، فالإنسان إذا دخل إلى البيت كما كان عليه الصلاة والسلام واحداً من أفراد البيت ، كان بساماً ، ضحاكاً ، كان يقول عن النساء :

((إنهن المؤنسات الغاليات))

[الحاكم والطبراني عن عقبة بن عامر بسند ضعيف]

فأنا أجتهد اجتهاداً خاصاً وأرى أن قيمة الزوج بعلاقته بأهله قبل كل شيء ، وتأتي علاقته مع الآخرين في الدرجة الثانية .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم ، شكراً لكم مشاهدينا على حسن المتابعة نترككم بأمان الله ، ونلقاكم في حلقة أخرى .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : معالجة الشقاق الزوجي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أرحب بكم في حلقة جديدة في برنامج : " الإسلام منهج حياة " .

كما يسرني أن أرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي ، أهلاً بكم فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .

الأستاذ جميل :

ما زلنا نتناول حديث الأسرة ودورها الريادي ، إلا أن في هذه الحلقة نود معالجة إشكالية الشقاق الزوجي ، متى يحصل الشقاق والجفاء بين الزوجين ؟.

الأصل في العلاقة الزوجية المودة والرحمة :

الدكتور راتب :



الأصل في الزواج المودة والرحمة ، وإن صحّ التعبير هذا في أصل التصميم .

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم الآية :21)

إذا كان هناك عداوة ، وبغضاء ، وشقاق إن صحّ التعبير هذه حالة مرضية ، ينبغي أن تعالج ، وأنا لا أرضى لأخ كريم بينه وبين أهله شيء من الشقاق أن يبقي هذا دون أن يعالجه ، وقد قال الله عز وجل :

﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾

(سورة الأنبياء الآية : 90)

فما دام هناك عودة إلى الله ، ما دام هناك استلهام لحل هذه المشكلة ، المشكلة تحل ، فالأصل في العلاقة الزوجية المودة والرحمة ، وإلا هناك حالة مرضية ينبغي أن تعالج .

أسباب الشقاق الزوجي في العالم الإسلامي :

1 . الجهل و التقصير :

ولكن عندما كانت بيوتات المسلمين فيها معاناة كثيرة ، وفيها أحياناً شقاق بين الزوجين ، فهذه ظاهرة سببها الجهل ، والجهل أعدى أعداء الإنسان ، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، الجهل شيء مخيف ، كل مشكلات الإنسان تأتي من الجهل لأن الإنسان جبل على حبّ وجوده ، وعلى حبّ سلامة وجوده ، وكمال وجوده ، وعلى استمرار وجوده ، لماذا يشقى ؟ من الجهل ، بل إن أزمة أهل النار في النار من الجهل .

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

(سورة الملك)



فحينما يجهل الزوج حقوق الزوجة ، وحينما تجهل الزوجة حقوق زوجها ، وحينما يجهل الزوج واجباته تجاه زوجته ، وحينما تجهل الزوجة واجباتها تجاه زوجها ، وحينما يجهلان معاً طبيعة العلاقة بينهما ، يكون هذا البيت شقياً ، والشقاق الزوجي مشكلة متفاقمة في العالم الإسلامي بسبب الجهل ، وبسبب التقصير .

فذلك حينما يتحرك الإنسان إلى حقوقه وإلى واجباته قد تقل هذه المشكلة في حدها الأدنى .

بلغني في ماليزيا ارتفعت نسب الطلاق ، فأسسوا مدرسة لا بدّ من أن ينجح فيها أحد الخاطبين ، مدرسة للذكور وأخرى للإناث ، ولا يعقد عقد في ماليزيا إلا إذا توافر في الزوجين القادمين النجاح بهذه الدورة ، بلغني بعد حين أن نسب الطلاق تدنت إلى العشر .

أكبر مشكلة هو الجهل ، مرة ثانية ، يفعل الجاهل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به ، إذاً يعد الجهل أحد أسباب الشقاق الزوجي ، علاجه بالعلم .

الأستاذ جميل :

أي هو المتهم الأول ، الجهل هو المتهم الأول .

2 . ضعف الإرادة :

الدكتور راتب :

السبب الثاني هو ضعف الإرادة ، قد يعلم الزوج حقوق زوجته ، ويعلم واجباته ، لكن لضعف إرادته يقصر في أداء الواجبات ، ويبالغ في مطالبته بالحقوق ، فهذا فرع منه جهل ، ثم عدم القدرة على تطبيق ما يعلم الإنسان .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هنالك مخالفات ، هنالك معاصٍ ، لا يقبل بها في شرع الله عز وجل ، أي المعصية تورث شقاقاً بين الزوجين .

المعصية تورث شقاقاً بين الزوجين وغضّ البصر يعد أكبر أسباب الوفاق بين الزوجين :

الدكتور راتب :



والله لأن في القرآن الكريم ، وهو الكتاب الأول في حياة المسلمين ، وهو وحي السماء آية دقيقة عن غض البصر .

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ﴾

(سورة النور الآية : 30)

أنا أتصور أن الزوج إذا أطلق بصره في النساء الأخريات ، ما الذي يحصل ؟ يأخذ من هذه

طولها ، ومن هذه لونها ، ومن هذه شعرها ، فيشكل في ذهنه نموذجاً غير موجود إطلاقاً ، فإذا وازن زوجته مع هذا النموذج المتخيل لا يحبها عندئذٍ ، فإطلاق البصر له منعكس بين الزوجين ، ولهذا جاء في القرآن الكريم هذه الآية ،

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

فغض البصر أنا في تصوري ، ولأنه آية قرآنية ، ولأنه توجيه واضح وضوح الشمس ، يسهم غضّ البصر في حسن العلاقة بين الزوجين ، عندئذٍ يخلق الله وداً من فعله جلّ جلاله بين الزوجين .

فغض البصر يعد أكبر أسباب الوفاق بين الزوجين ، ينبغي هو أن يقصر طرفة على زوجته ، وهذا ورد في كتاب الإنسان ذلك المجهول لـ((ألكسي كاريل)) ، أنه أفضل نظام للزواج أن يقصر الرجل طرفه على زوجته ، مع أن الإنسان اهتدى إلى هذه الحقيقة بفكره وذكائه ، هي في كتاب الله .

الأستاذ جميل :

سبحان الله ! دكتور هنالك أمور في الشقاق الزوجي هذا عدم إطلاق البصر وغض النظر ،

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

في ما بين الإنسان وبين نفسه يتعبد الله بها ، هنالك أمور بين الزوجين ، أخطاء بين الزوجين .

سوء التصرف من ضعف الاتصال بالله عز وجل :

الدكتور راتب :

أحياناً هناك سوء تصرف ، أنا أؤمن ، حينما قال الله عز وجل :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

(سورة العنكبوت الآية : 45)

قال بعض العلماء : ذكر الله لك أيها المصلي وأنت في الصلاة أكبر من ذكرك له، إنك إن ذكرته أديت واجب العبودية ، لكنه إذا ذكرك منحك الحكمة .

﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾

(سورة البقرة الآية : 269)

أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة الخامسة ، ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، فأحياناً هناك سوء تصرف ، موقف أحمق ، موقف غبي ، موقف أرعن، موقف قاس جداً ، هذا جاء من سوء التصرف ، وسوء التصرف من ضعف الاتصال بالله عز وجل ، فحينما قال الله عز وجل :

﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

لأن ذكر الله لك أيها المؤمن وأنت تصلي أكبر من ذكرك له ، إنه إن ذكرك منحك الحكمة ، منحك الأمن ، منحك السعادة ، منحك السكينة ، منحك التوفيق ، فالتوفيق في الزواج مكافأة إلهية على طاعة الزوجين .

الأستاذ جميل :

دكتور أحياناً يكون هنالك فارق بين الزوجين ، قد يكون الزوج غنياً ، أو الزوجة غنية ، الزوج جميلاً ، أو الزوجة جميلة .

مراعاة الكفاءة بين الزوجين والابتعاد عن التعالي :

الدكتور راتب :

هنا المشكلة التعالي ، أحياناً تتعالى المرأة التي يعد أهلها أغنياء على زوجها من أسرة فقيرة ، من هنا اجتهد الفقهاء في أن تكون الكفاءة بين الزوجين ، الكفاءة : التقارب في المستوى الاجتماعي ، والاقتصادي ، والثقافي ، والعلمي ، فكلما كان المستويان متقاربين كان الزواج موفقاً أكثر ، وفي كتب الفقه بحث قائم بذاته اسمه الكفاءة الزوجية ، فلو أن غنية تزوجت بفقير وتعالت عليه لا يحتملها ، ولو أن مثقفاً بثقافة عالية تزوج بامرأة جاهلة لا يحتملها .



فكلما كانت الفروق كبيرة بين الزوجين طبعاً ثقافياً ، أو دينياً ، أو أخلاقياً ، أو اجتماعياً ، أو اقتصادياً ، كان هناك سبب لبعض المشكلات ، لكن لو فرضنا كان أغنى من زوجته لكنه مؤمن ، إذاً هو متواضع . لذلك قال العلماء : " طالب العلم كفء لأية زوجة " لأنه مؤمن ، منضبط ، متواضع ، لكن بشكل أو بآخر التعالي ، تعالي الزوج

على زوجته ، أو على أهل زوجته ، أو تعالي الزوجة على زوجها ، أو على أهل زوجها أحد أسباب الشقاق الزوجي .

الأستاذ جميل :

هي من الأدبيات فضيلة الدكتور ، هذه الكفاءة بين الزوجين هي من الأدبيات ؟.

الدكتور راتب :

والله من الموضوعات التي يجب أن تراعى قبل عقد القران الكفاءة بين الزوجين أما العلماء حينما قالوا : طالب العلم كفء لأية زوجة ، لأنه انضبط بمنهج الله عز وجل .

الأستاذ جميل :

يحصل خلاف أحياناً بين الزوجين في من الذي يبت بأمر معين ؟

عدم وجود قيادة في البيت يسبب متاعب كثيرة للزوجين :

الدكتور راتب :

بيت بلا قيادة مشكلة كبيرة جداً ، هناك بيوت كثيرة بلا قيادة ، لا يوجد قائد واضح ، لا يوجد قائد معه صلاحية ، بينما أي مؤسسة ، أي طائرة فيها طيار ومعاون ، إذا تصورنا الطيار هو الزوج ، والمعاون هي الزوجة ، الزوجة على مستوى عال جداً لكن له درجة القيادة ، في الأزمات الرأي لواحد ، فقال تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

(سورة النساء الآية : 34)

هناك قيادة ، الرجل لأهليته ، ولما أنفق من ماله ، وبعلمه ، ينبغي أن يكون هو القائد إلا في الحالات النادرة، أما في الأصل يأخذ بيدها ، وتأخذ بيده ، وينصحها وتنصحه.

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

(سورة الطلاق الآية : 6)

لكن في حالات نادرة ينبغي أن يكون القرار لواحد عند الطوارئ ، هذا الذي أتمناه أن يكون واضحاً .

فلذلك عدم وجود قيادة في البيت هذا يسبب متاعب كثيرة للزوجين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : حل المشاكل الأسرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

المفترض في الأسرة أن تكون عش سكن ، ومنبع المودة والرحمة ، إلا أن الأعم الأغلب غير ذلك ، فالخلافات منتشرة وهي على أشدها ، ونسب الطلاق في تزايد ينذر بالخطر ، ما هو المنهج الإسلامي في حل هذه المشكلات الأسرية ؟.

من بنود الوفاق بين الزوجين :

1 . البعد عن التقليد الأعمى :

الدكتور راتب :

المنهج الإسلامي واسع جداً في هذا الموضوع ، ولكن من بنود الوفاق بين الزوجين البعد عن التقليد الأعمى، هناك أُسر ذات دخل معتدل ، هناك أُسر ذات دخل كبير ، فلو أن الأُسر التي دخلها معتدل تطلعت إلى أُسرة دخلها كبير ، وطلبت الزوجة من زوجها طلبات فوق طاقته بغية التقليد الأعمى ، بغية المنافسة في بعض مظاهر الحياة ، فهذا خطأ كبير ، فالتقليد الأعمى قد ذكره النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال :



((يا عائشة إياكِ ومجالسة الأغنياء))

[الترمذي عن عائشة]

المقصود هنا الأغنياء غير المؤمنين ، الغني المؤمن تشتهي الغنى من تواضعه ، ومن سخائه ، أما إنسان بعيد عن الله وهو يتمتع بأموال كبيرة جداً ، هذا يستعلي على من حوله ، فالاستعلاء يظهر أثره جلياً في النساء ، فلذلك التقليد الأعمى أحد أكبر الشقاق الزوجي.

ويقال : من دخل على الأغنياء . طبعاً غير المؤمنين . خرج من عندهم وهو على الله ساخط ، ويقال : لا تصاحب من لا يرى لك من الفضل مثلما ترى له .

فلمجرد أن أقلد الغني في إنفاقه ، في بذخه ، في مصروفه ، في أثاث بيته، والزوج دخله محدود ، زوج رائع، مؤمن ، مستقيم ، بيته كأنه عش ، بيته قطعة من الجنة ، أما حينما تريد الزوجة أن تقلد أُسرة غنية مترفة ، وتضغط على زوجها ينشأ الشقاق الزوجي بينهما .

الأستاذ جميل :

غياب الرجل عن البيت هل يعتبر سبباً من أسباب الشقاق ؟ إن كان الجواب نعم فماذا يفعل الزوج ؟ هل يقعد في البيت ؟.

2 . أن يكون لك وقت معقول وكافٍ للجلوس مع الزوجة :

الدكتور راتب :

لا ، لكن لا بد أن يخص بيته بوقت ، أما حينما أغيب عن البيت ساعات طويلة جداً ، أخرج قبل الفجر ، أو بعد الشمس وأعود بعد منتصف البيت هذه الزوجة من لها ؟ هي تزوجت كي تأنس بك أيها الزوج ، فإذا غبت عنها طويلاً فلابد من وجبة أو وجبتين تأكلها مع زوجتك ، لابد من وقت تجلس معها ، تأنس بك ، وتأنس بها ، فالعمل الذي يأخذ كل وقتك هو خسارة كبيرة .

الحقيقة الإنسان ما لم يكن عنده وقت فراغ يمليه بحسب رغبته ، ما لم يكن لديك وقت فراغ تعيش به مع زوجتك ، تزور بعض أصدقائك ، تحضر درس علم ، فالإنسان الذي لا يملك وقت فراغ إطلاقاً عمله مهما كان دخله كبيراً يعد خسارة كبيرة ، لأنه أفقد الأب أبوته ، و أفقد حقيقة الزواج .

أنا أقول : ينبغي أن يكون لك وقت معقول وكافٍ للجلوس مع الزوجة ، إن في الصباح ، أو في الظهيرة مع الطعام ، أو في المساء ، أما انشغال إلى درجة مذهلة ، وإهمال الزوجة ، أحد أكبر مشكلات الخيانة الزوجية، تتأتى من غياب مديد جداً عن البيت .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هل للزوج أن ينظر إلى مال زوجته ؟ أو أن مالها لها ؟.

3 . عدم طمع الزوج بمال زوجته أو العكس :

الدكتور راتب :

أحياناً ترث الزوجة مبلغاً كبيراً عن أهلها ، فيطمع الزوج به ، ويضايقها كي تعطيه من هذا المال ، هذا الطمع من الزوج بمال زوجته ، أو طمع الزوجة بمال زوجها ، أو محاولة أخذ قسط كبير من المال بأسماء متعددة .



هذا التصرف أحد أسباب الشقاق الزوجي حينما يطمع الزوج بمال زوجته ، أو حينما تطمع الزوجة بمال زوجها ، أو حينما يطمعان بشيء ليس لهما ، هذا من شأنه أن يسبب ضعفاً في العلاقة الزوجية .

الأستاذ جميل :

إذاً لا يطمع بمالها ، ولا تطمع بماله ، وهذا يقودنا إذاً إلى الإنفاق ، إنفاق الرجل على أهل بيته .

ينبغي على الزوج أن ينفق على أهله لكن بالمقياس الشرعي :

الدكتور راتب :



من واجباته ، ينبغي أن ينفق على أهله لكن بالمقياس الشرعي ، أن يطعمهم مما يأكل ، أن يلبسهم مما يلبس.

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

(سورة البقرة الآية : 286)

الصحابية الجليلة كانت تقول لزوجها :" نحن بك، إن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا ، نطلب الحلال ، لا نطلب غير ذلك، اتقِ الله بنا ".

ورد في بعض الآثار أن : " أعظم النساء بركة أقلهن مهراً ، أعظم النساء بركة أقلهن مؤونة " ، فالزوجة الطاهرة هي الزوجة التي لا ترهق زوجها ولا تكلفه ما لا يطيق .

هناك صحابي طالبته زوجته بأشياء كثيرة ، فقال : " اعلمي أيتها المرأة أن في الجنة من الحور العين ما لا لو أطلت إحداهن على الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر ، فلأن أضحي بك من أجلهن ، أهون من أن أضحي بهن من أجلك ".

الأستاذ جميل :

دكتور سوء الظن ، وحسن الظن أيهما المحكم في العلاقة الزوجية ؟.

سوء الظن عصمة والحزم سوء الظن :

الدكتور راتب :

الحقيقة سوء الظن كما ورد أنه عصمة .

((احترسوا من الناس بسوء الظن))

[أخرجه الطبراني عن أنس بن مالك]

والحزم سوء الظن ، لذلك قال تعالى :

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

(سورة الحجرات الآية : 12)



ما كل الظن إثم إلا إذا كان هناك دليل ، دخلت إلى البيت ، الزوجة تتكلم في الهاتف، حينما رأتك وضعت السماعة ، هناك مشكلة ، معنى ذلك أنها تكلم إنساناً ينبغي ألا أعلم من هو ، إذا كان هناك بوادر ، إذا كان هناك مؤشرات ، إذا كان هناك أسباب فسوء الظن عصمة، والحزم سوء الظن .

((احترسوا من الناس بسوء الظن))

أما من دون أي دليل فسوء الظن إثم كبير ،

﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

لا يوجد أي دليل ، هناك سوء ظن يعد مرضاً نفسياً ، تسيء الظن بزوجها ، زوجها طالب علم ، إنسان منضبط ، له أخلاق عالية ، عفيف ، ومع ذلك تسيء الظن به ، هذه حالة مرضية ، أو أن الزوجة طاهرة ، عفيفة ، مؤمنة ، رائعة ، لا تفكر أن يكون لها علاقة مع رجل آخر يسيء الظن بها ، فسوء الظن من دون دليل ذنب كبير ، وإثم كبير ، أما بدليل فهو حزم ، و كياسة ، وحسن إدارة .

الأستاذ جميل :

هل يمكن أن يكون فضيلة الدكتور الأولاد سبباً من أسباب الخلاف ؟.

الإيمان يدعو الإنسان إلى العدل و حسن التصرف :

الدكتور راتب :

والله ! حينما تنحاز المرأة إلى أحد الأولاد ، وتؤثره على غيره ، أو حينما تنحاز المرأة لأولاد زوجها وتؤثرهم على أولاد ضرتها أحياناً ، عندئذٍ تنشأ المشكلة ، العدل أصل في العلاقات .



أنا أذكر أن بعض النساء تسقي أولادها حليباً كامل الدسم ، أما أولاد زوجها تعطي نصف الكأس حليباً ، ونصفه ماء ، هذا الانحياز يسبب علاقات سيئة جداً ، والأصل أستاذ جميل هو الإيمان ، فالإيمان يدعوك إلى العدل و إلى حسن التصرف.

فحينما تكون هناك مؤاثرة ، أحياناً زوجة حديثة تطالب أن يكتب بيتاً لأولادها ، بينما لا يكتب بيوتاً لزوجته السابقة ، هذا انحياز ، والعدل في العلاقات الزوجية أصل لذلك :

((يا رسول الله ، إني أريد أن أنحل ابني هذا حديقة ، وأريدك أن تشهد على ذلك ، فقال له صلوات الله وسلامه عليه : (أكل أولادك أعطيت ؟). أي أعطيت بقية أولادك أو أعطيت هذا فقط ؟ . قال : لا , فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اذهب فإني لا أشهد على جور))

[مسلم عن النعمان بن بشير]

الأستاذ جميل :

صلى الله عليه وسلم ، دكتور ما رأيكم في تداخل القريب أو الغريب في العلاقات السرية حتى لو كان أباً أو أماً ؟.

المشكلات بين الأزواج تنشأ غالباً من تدخل طرف آخر :

الدكتور راتب :

والله أنا في حكم عملي في الدعوة هناك مشكلات كثيرة جداً ، سببها تدخل الآباء والأمهات في الشؤون الخاصة بين الزوجين ، الأب العاقل ، والأم العاقلة ، هذا الزوج ، أو هذا الابن اختار هذه الزوجة تحبها وتحبه ، متفاهمان معاً ، لماذا أتدخل في شؤونهما الخاصة ؟ هذه سيطرة لا مبرر لها ، فكلما كان الأب مترفعاً والأم كذلك عن التدخل في تفاصيل حياة أولادهما فالعلاقة تبدو أفضل بكثير .



فلذلك أحياناً الزواج ينجح بعيداً عن الأهل ، أحياناً الإنسان يتزوج ويسافر ، يقيم مع زوجته سنوات في مكان بعيد عن الأقارب ، تجد العلاقة طيبة ، وهناك مودة ، و محبة و تفاهم ، فإذا عادا إلى بلديهما ، تدخل الأم، تدخل الأب ، تدخل أم الزوجة ، هكذا .

الأستاذ جميل :

خروج المرأة من بيتها ما الذي يحكمه ؟.

البيان يطرد الشيطان :

الدكتور راتب :

النبي عليه الصلاة والسلام كان مع زوجته صفية ، مرّ صحابيان ، قال : " على رسليكما هذه زوجتي صفية، قالوا : يا رسول الله ! قال : لئلا يدخل الشيطان بينكما ".

فالبيان يطرد الشيطان ، فحينما تخرج من دون إذن زوجها ، وحينما تستقبل رجلاً من أقاربها من دون علم زوجها ، هذا يسبب سوء ظن .

الأستاذ جميل :

دكتور ، هذا يقودنا إلى خلو الزوجة بأحد الأقارب ، أو الزوج بأحد الأقارب وهي مسألة الحمو .

نهي النبي الكريم عن الخلوة المحرمة لأنها تثير الشك :



الدكتور راتب :

والله :

((ما خلا رجل بامرأة إلا دخل الشيطان بينهما))

[أخرجه الطبراني عن أبي أمامة الباهلي]

هذا منهج ، وتقريباً معظم المشكلات الكبيرة في الزواج ، والتي أدت إلى الطلاق بخلوة غير مشروعة ، الخلوة تثير الشك ، فلذلك النبي الكريم نهى عن الخلوة ، بل قال :

((ما خلا ـ ما قال عاصٍ ، ما قال فاسق ـ قال : ما خلا رجل ـ أي رجل ـ بامرأة ـ أي امرأة ـ إلا دخل الشيطان بينهما))

وأكثر الأعمال القبيحة المنحرفة تبدأ بالخلوة ، فلذلك المرأة المؤمنة لا تسمح بغياب زوجها أن يكون هناك رجل ليس من الممكن إلا أن يكون أحد أقاربها الأرحام ، كأخيها وأبيها ، ... إلخ .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثاني : أسس بناء الأسرة

الدرس (7−1) : قدسية عقد الزواج

الدرس (7−2) : دعائم تماسك الأسرة

الدرس (7−3) : كيفية العناية بالأسرة

الدرس (7−4) : وسائل تماسك الأسرة

الدرس (7−5) : منهاج الأسرة الناجحة

الدرس (7−6) : المودة والرحمة بين الزوجين

الدرس (7−7) : الأمانة الزوجية

الدرس (1-7) : قدسية عقد الزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

عقد الزواج هو أقدس عقد على الإطلاق :

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الثالث من دروس سورة النساء، ومع الآية الرابعة، وهي قوله تعالى:

﴿ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾

أيها الأخوة الكرام، إن أقدس عقد على وجه الأرض عقد الزواج، لأن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الذكر والأنثى جعل العلاقة بينهما من خلال الزواج فقط، وليس ثمة علاقة أخرى، علاقة الذكر بالأنثى علاقة زواج، لا علاقة صداقة، ولا علاقة مخادعة، ولا علاقة عشق، ولا علاقة تسلية، هناك عشرات العلاقات الآن في جاهلية القرن العشرين علاقات بين الذكر والأنثى لا على أساس الزواج، على أساس التسلية أحياناً، أو على أساس الحب، على أساسٍ ما أنزل الله بها من سلطان، لأن القناة الوحيدة النظيفة في العلاقة بين الجنسين هي الزواج، إذاً عقد الزواج هو أقدس عقد على الإطلاق.

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾

[سورة النساء: 21]



ما يتاح للزوج ليرى من زوجته لا يتاح لأقرب الناس إليها، أبيها، وأخيها، ولا ابنها، ولا أي إنسان آخر يتاح له من امرأة ما يتاح للزوج من زوجته، بل إن بعض العلماء، وهذا رأي الجمهور أن الزواج إن لم يكن على التأبيد فهو زنى، لأن الزواج المؤقت فيه غش للمرأة، يمكن أن تطلق لأسباب يقبلها الله منك، لكن

حينما تعقد العقد، وفي نيتك أن يكون الطلاق بعد حين هذا خداع، وهذا غش للمرأة، لكن حالة العالم اليوم لا تصدق، أحد الإحصاءات في أمريكا أن تسعين بالمئة من حالات الزواج من غير عقد، ولا اتفاق، ولا ورق، ولا تسجيل، إنما هي مساكنة تستغل كزوجة، وتلفظ في أية لحظة، وتركل بالقدم في أي ثانية، فوضى، لذلك الانهيار في المجتمعات الغربية ليس له حدود، لكننا ولله الحمد مع بقية الدين التي أنعم الله بها علينا، مع بقية الوفاء، بقية الحياء، ينعم العالم الإسلامي بأسر متماسكة في الأعم الأغلب، وكلما قلد الغرب انحلت هذه الأواصر.

يقاس تماسك المجتمع وقوته بتماسك أسره :

حدثني أخ قاضٍ شرعي أن نسب الطلاق في بلاد المسلمين تقل عن خمسة عشرة بالألف، بينما في بعض البلاد تزيد عن خمسة وستين في المئة، نسب الخيانة الزوجية في بعض البلاد تزيد عن سبعين في المئة من حالات الزواج، فالمجتمع يقاس تماسكه وقوته بتماسك أسره، يعني شاءت حكمة الله أن يكون هذا المجتمع، هذا الصرح الكبير مؤلف من خلايا، الأسرة هي الخلية لذلك أي نظام يرعى الأسرة، ويقويها، ويدعمها ويزيل العقبات أمام إنشائها هو نظام يسهم في تقوية المجتمع، وأي نظام يسهم في تحلل الأسرة، وفي تفككها، وفي انحرافها هو نظام يهدم المجتمع، وكأنني سمعت أن أقوى رئيس في العالم قال: هناك خمسة أخطار تهدد أمريكا، قبل سنوات؛ أنا تصورتُ الصين أكبر تجمع بشري في الأرض، تصورت الاتحاد الأوربي، إنه تفكك الأسرة، إن أكبر خطر يهدد أمريكا تفكك الأسرة، لذلك لا زلنا بخير، لا زالت أسرنا بخير هذه بقية الدين، بقية، لأن هذه الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع، تماماً كالحجر في حائط كبير، فكلما تضعضعت أحجار الأساس انهار البناء، لذلك أيها الأخوة، وأنا أقول لكم بكل وضوح: إن العالم الغربي يسعى لا إلى أن ينتصر علينا عسكرياً، هذه قد تتم له أحياناً، ولكن يسعى إلى أن ينتصر علينا ثقافياً، بمعنى أن يهدم قواعد الأسرة المبنية على الشرع، لعلي ذكرت هذا من قبل، لكن لا بأس أن أعيده عليكم.


الأسرة عماد المجتمع

سفير أقوى بلد في العالم من تقاليد تعيينه كسفير أن يقام حفل في وزارة الخارجية، يحضره وزير الخارجية، ويعطيه أوراق اعتماده التي سوف يقدمها إلى رئيس البلد الذي يذهب إليه، هذا السفير معين في بوخارست في

رومانيا، ومن تقاليد هذا البلد أن كل احتفال لا بد أن تكون الزوجة مع زوجها إلى جانبه، لتشهد أيامه العظيمة، هذا السفير وفي وزارة الخارجية، وفي وجود وزير الخارجية يأتي إلى الحفل مع شريكه الجنسي، ليس مع امرأته، لكن مع شريك جنسي، فحينما يصل المجتمع إلى هذا المستوى فاقرأ على الحضارة السلام، هي قوية جداً، لكنها في ميزان القيم في الوحل والحضيض، وحينما قال الله عز وجل:

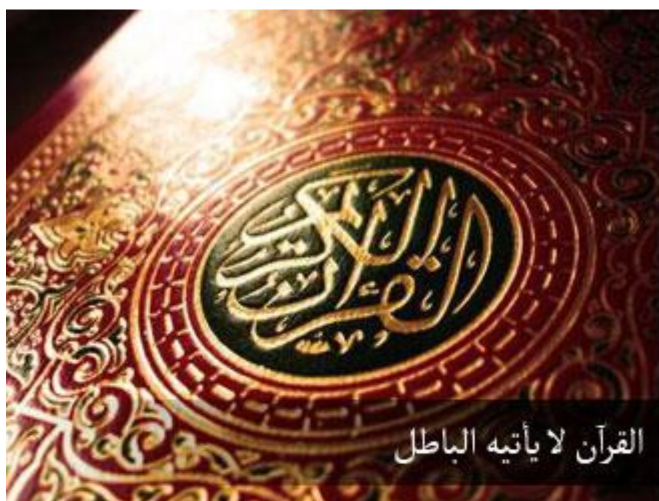
﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾

[سورة البقرة: 256]

أي أنه لن تؤمن بالله قبل أن تكفر بالكفر، وما دامت جهة قوية طاغية في موضع احترام من قبل المسلمين فالطريق إلى الله ليست سالكة.

أي انحراف عن وحي السماء له آثار خطيرة لا يعلمها إلا الله :

لذلك أيها الأخوة، قواعد الزواج التي جاء بها الشرع مهمة جداً، وكما قلت قبل قليل العالم الغربي بدأ يحارب المسلمين لا بالأسلحة الفتاكة، بل بأن يفرض على المسلمين أنظمةً في الأحوال الشخصية، كأن يقول، وهذا الكلام أنا عندي موثق، هذا الكلام هو توصيات مؤتمري السكان اللذين عقد أحدهما في القاهرة والثاني في بكين، والقرارات والتوصيات ارتقت إلى مستوى الإلزام، وأي بلد لا ينفذ هذه التوصيات تنتظره عقوبات قاسية جداً، أن يكون الزواج شيئاً، والعلاقة الجنسية شيئاً، والإنجاب شيئاً آخر، تزوج امرأةً، ولك علاقة مع امرأة، وتنجب من امرأة، وأن تكون الزوجة في حل من أن تساكن زوجها، أو أن تنصاع لأمره، لها أن تسافر متى شاءت من دون إذنه، ولها أن تعمل أي عمل من دون إذنه، وأن يسمح بالإجهاض الآمن كما يقولون، وأن يمنع الزواج قبل سن الثلاثين، وأن يسمح لمن دون هذا السن بعلاقات تحت سمع الآباء وبصرهم، والحديث طويل حول هذا، ونحن بخير والحمد لله، رفضت هذه التوصيات جملةً وتفصيلاً، لأنها تتناقض مع أصل ديننا، فنحن معنا وحي السماء، نحن معنا تشريع خالق الأرض والسماء



نحن معنا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأي انحراف عن وحي السماء فهناك آثار خطيرة لا يعلمها إلا الله، في بلد كالصين منع الإنسان من إنجاب أكثر من ولد واحد، بقانون فيما أظن مطبق قبل سنوات ليس أكثر، ما هي نتائج هذا القانون، أن كل أسرة

تنجب بنتاً تخنق إلى أن يأتيها الذكر فتسجله، قرأت خبراً موثقاً أن خمسين مليون شاب لا يجدون فتيات يتزوجونهن، لذلك نشأت هناك عصابات لخطف الفتيات في سن الزواج، لما حددنا إنجاب طفل واحد لهذه الأسرة اختل توازن المجتمع.

لذلك أيها الأخوة، حينما أمرنا الزوج أن يدفع لزوجته نصف ممتلكاته تهرب معظم الأزواج من تسجيل عقود القران، مساكنة فقط، ليس معها وثيقة إطلاقاً، والشيء العجيب أن أي تغيير بمنهج الله نحصد سلبيات لا تعقل.

ذكر لي أخ كريم من شمالي إفريقيا: صدر قرار بتقليد الغرب بمنح المرأة نصف أملاك زوجها عند الطلاق، قال لي أخ كريم: إن سوق الزواج قد بار، فصار والد الفتاة يقدم لخاطب ابنته وصل أمانة بمبلغ فلكي، إن طالبناك بنصف أملاك طالبنا بهذا السند، حتى يستمر الزواج.

إن كنت حريصاً على سلامتك وسعادتك فينبغي أن تأتمر بأمر الخبير :

يا أيها الأخوة، هذه الأنظمة، أو هذه الأحكام الشرعية التي جاء بها القرآن، وبيّنها النبي العدنان ليست من صنع بشر، إنها من عند خالق البشر، من عند الخبير، قال تعالى:

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

[سورة فاطر: 14]

هو الخبير، وأنت حينما تمتلك آلةً بالغة التعقيد، غالية الثمن، عظيمة النفع، وتصاب بخلل، ماذا تفعل؟ لك جار يبيع الخضراوات، وهو طيب جداً هل تدفع إليه هذه الآلة؟ طيبة نفسه شيء، وخبرته شيء آخر، لا تدفعها إلا إلى وكالة البيع، حيث الخبراء من قبل الشركات المصنعة، إذاً إن كنت حريصاً على سلامتك وعلى سعادتك فينبغي أن تأتمر بأمر الخبير، فالله هو الخبير، وهو الصانع الحكيم، والجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها، هذه مقدمة.

نحن معنا تعليمات الخالق، تعليمات الصانع، معنا تعليمات الخبير، والخبير ينبغي أن يطاع، ولأن الله كان من الممكن أن يأتي بالناس جميعاً إلى الدنيا دفعة واحدة، وأن يأخذهم منها دفعة واحدة، إذاً ليس ثمة يتم، ولكن شاءت حكمة الله أن نأتيها تباعاً، وأن نغادرها تباعاً، ما دام الأمر هكذا إذاً من الممكن أن يغادر الأب الدنيا وأولاده صغار.

عناية الأبناء بالآباء تكليف وليس بطبعٍ بينما عناية الآباء بالأبناء طبع :


الأب أكبر داعم للطفل

إذاً هناك مشكلة أن أكبر داعم للطفل هو الأب، والعرب إن أرادت أن تسب إنساناً تقول له: لا أبا لك، أكبر داعم للطفل هو الأب، لأن الله أودع فيه حب أولاده والرغبة في تربيتهم وتنشئتهم، لذلك هذا طبع لا تكليف، وهل يعقل أن يصدر مرسوم تشريعي يلزم الناس أن يتناولوا الطعام؟ مستحيل، لأن تناول الطعام طبع، لذلك أوصى الله عز وجل الأولاد بالآباء، لأن عناية الأبناء بالآباء تكليف، وليس بطبعٍ، بينما عناية الآباء بالأبناء طبع، فحينما يحرص الأب على إطعام ابنه، وعلى كسائه، وعلى نومه نوماً مريحاً، أنا لا أقول ليس له أجر ، أقول أجره ضعيف جداً، لأن هذا من طبعه، هذه رحمة ليست كسبية، إنما هي وهبية، متى يؤجر؟ إذا حرص على دين ابنه، إذا حرص على أخلاقه، إذا حرص على أن يدخل الجنة، إذا كان سبباً في دخول الجنة، أقول لكم هذه الحقيقة أيها الأخوة لو أن أباً عارض ابنه في سعيه لطلب الله عز وجل، لو أن أباً لم يرضَ لابنه أن يكون متديناً، ثم صار ابنه من كبار علماء الدنيا فلا أجر له، لأن هذا الأب ما أراد لهذا الابن أن يكون كذلك، فإن كان كذلك فليس له أجر ، إنما الأعمال بالنيات، فالأب الذي يتمنى أن يكون ابنه صالحاً مؤمناً ولياً لله عز وجل، وكان ابنه كذلك فله أجر كبير ، فإذاً لأن الناس يأتون إلى الدنيا تباعاً، ويغادرونها تباعاً نشأت حالة الموت، ومع الموت اليتم، ومع اليتم الترمل، هذه ظاهرة في العالم كله، كتشريع لهذه الظاهرة يقول الله عز وجل:

﴿ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

طبعاً في الدرس الماضي قال الله عز وجل:

﴿ وَآَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾

[سورة النساء: 2]

الآن كتشريع آخر متعلق بالزواج عقد الزواج أقدس عقد على الإطلاق، وأن الله سبحانه وتعالى أوجب للمرأة مهراً، وهذا المهر نحله اللهُ المرأةَ، هذا الحق نحلة من الله، لذلك أمر الأزواج أن يؤتوا نساءهم صدقاتهن، يقول الله عز وجل:

﴿ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

الصدقات هي المهور، وأي عقد زواج ليس فيه مهر هو عقد فاسد، لكن العقد الفاسد شيء والعقد الباطل شيء أخر.

العقد الباطل والعقد الفاسد :

العقد الباطل لا يصحح، بينما العقد الفاسد يصحح، يصحح بمهر المثل:

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ﴾

[سورة القصص: 27]

هذا الإيجاب:

﴿ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ﴾

[سورة القصص: 27]

المهر:

﴿ ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴾

[سورة القصص: 27]

هذا الموقف الكامل من أولياء الفتيات، فسيدنا موسى رد عليه فقال:

﴿ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴾

[سورة القصص: 27]

قبلت:

﴿ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾

[سورة القصص: 28]

إذاً لا بد من إيجاب وقبول ومهر وشاهدين، هذا هو عقد الزواج.

ضرورة المهر لأن الله فرضه وأمر به :

من أحد شروط الزواج تسمية المهر،

﴿ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

الذي يحصل أنك إذا تزوجت امرأة من دون مهر، أو بمهر رمزي جداً كدرهم فضة تصبح الزوجة هينة على زوجها، لأتفه سبب يطلقها، أما إذا كان ثمة مهر معقول، فالمهر يجعله يفكر في قضية الطلاق، المهر يجعله يحسب حسابه، ويراجع نفسه، هناك مبلغ مئتا ألف مثلاً ينبغي أن تدفع، أنا لست مع مغالاة المهور، لأن أعظم النساء بركةً أقلهن مهراً، ولست مع إلغاء المهور، إلغاء المهور تطرف، ومهور بالملايين المملينة أيضاً تطرف، لكن مع المهر المعتدل، مع المهر الذي تقره العادات الإسلامية، فالمهر ضروري، ولأن الله فرضه، ولأن الله أمر به ولأن الله أمر الأزواج أن يقدموه لزوجاتهم:

﴿ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

أي؛ عطاء من الله، وقال بعض المفسرين: نحلة أي أن تدفع مهرها إليها عن طيب نفس دون أن تفكر في استرداده.

أذكر قصةً لعلها مناسبة في هذا المقام، خطب شاب فتاةً أعجبه حسنها، ولم يعجبه دينها، متمسكة، فلما انتقلت إلى بيته كانت عقبةً أمام رغباته ونزواته، لم تقبل أن تكون مع أصدقاءه، ولا أن تسهر معهم، ولا أن تجلس بينهم، هو يفكر بخلاف ذلك، يريدها زوجةً عصريةً، متفلتة، أعجبه حسنها، ولم يعجبه دينها، ومهرها كبير جداً، فخططت له أمه أن يضايقها مضايقةً لا تحتمل حتى تجود له بمهرها، والذي توقعت حصل، فضايقها، وضربها، وأهانها، وغاب عنها كثيراً، وجعلها تجوع وتعرى، إلى أن طلبت منه المخالعة دون أن تأخذ منه شيئاً، وكل هذا بتخطيط الأم، وكان الأب يستنكر ذلك، حدثني أخ كريم عن هذه القصة، لأنه يعرف الأطراف كلها، عندئذٍ خلعها ولم يعطها شيئاً، ثم تزوج فتاةً كما يتمنى، وصارت معظم نوادره بين أصدقائه كلما نجا من مشكلة يقول: نجونا من هذه المشكلة كما نجونا من مهر فلانة، وفي مرة كان يركب مركبته من مكان إلى مكان، ولحكمة بالغة ركبت زوجته إلى جنبه، وأمه خلفه، وأباه خلف زوجته، وكلما مشى بين مركبتين يحذره أبوه أن يبطئ من سرعته يقول له: نجونا كما نجونا من مهر فلانة، وفي مكان ما قرب دمشق لم ينج فدخل بين مركبتين فشق نصفين، وأمه كذلك، ونجت الزوجة والأب الذي كان ينكر عليه فعله، هذا الذي يستهين بحقوق المرأة يجب أن يعلم أن الله كبير وأنه سينتقم، يقول الله عز وجل:



﴿ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

لذلك ورد في بعض الأحاديث أنه:

((أيما رجل تزوج امرأة على صداق ولا يريد أن يعطيها فهو زان))

[البيهقي عن أبي هريرة]

نحلة؛ منحة من الله، إذاً أنت كمؤمن ينبغي أن تنفذ، ونحلةً؛ أن تطيب نفسك بدفع هذا المهر، خرج من نفسك، ونحلةً؛ ألاّ تنوي استرداده، فأناس كثيرون إذا فرض عليهم مهر كبير، يقول لك: اكتب، عندي الحل، الحل يضايقها، يهددها بالطلاق، إلا أن تتنازل له عن مهرها، فلذلك نحلةً؛ أن تعطيه إياها طيبة نفسك، أن تعطيه إياها دون أن تنوي استرداده، أن تعطيه إياها، لأن الله في عليائه فرضه لها، وأنت بهذا تذعن لأمر الله عز وجل.

المرأة تمتلك مهرها ولها أن تتصرف به إلا في حالات نادرة طبعاً :

لماذا قال الله قبل قليل:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾

يعني عندك يتيمة، وأنت وليها، وأمرها بيدك، وأنت وكيلها، لماذا أرشدك الله إلى عدم الزواج منها، بل أن تتزوج ما طاب لك من النساء، لئلا تظلمها في مهرها، هي لن تطالبك، تستحي منك، أنت ولي نعمتها، فإذا خفت ألا تقسط في اليتامى فانكح غير اليتامى لذلك:

﴿ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾

لكن هؤلاء النساء حينما يكرمها الله بزوج وفي، بزوج مؤمن، بزوج كريم يرعاها، ويحترم مشاعرها، ويحترم إنسانيتها، ويؤدي لها حقوقها، ويعطيها ما تستحق هي تحبه حباً جماً، فإن كان في ضائقة مالية، وقدمت له بعض مهرها قال:

﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾

إذا قالت لك زوجتك: خذ هذه الأساور، وبعها، وانتفع بثمنها، وهي صادقة ومحبة، وأنت كل حياتها، وأنت كل أملها في الحياة، فلا مانع أبداً، لكن أن تكرهها إذا ورثت، إذا لم تعطني أطلقك، لا، هذا إكراه، بالمناسبة من عظمة هذا الشرع أن المرأة تمتلك مهرها، ولها أن تتصرف به، وهي صاحبة القرار فيه، إلا في حالات نادرة طبعاً، لو أنها أرادت أن تتجر به ببضاعة محرمة فلك أن تمنعها، أو بطريقة محرمة، أن تهرب مثلاً، لك أن تمنعها، لأن هذا قد يصيبها بالأذى، أنت العاقل، أنت صاحب الرؤية، نساء كثيرات يتجرن بمادة

محرمة أحياناً، هي بعيدة عن جو الأسواق، يقول لك: الربح عالٍ، لكن هذا فندق، خمس نجوم، فيه موبقات، وخمر، فلك أن تمنعها إذا أساءت التصرف بمالها، أما إن لم تسئ التصرف بمالها فهي حرة في أن تدير أموالها، وهذا الحق لم تكن تحظى به امرأة في العالم القديم، الإسلام وحده هو الذي أعطاها ذلك الحق، بل إن المرأة في بعض البلدان القديمة كانت تنتقل إرثاً من الأب إلى ابنه، كأنها قطعة أثاث، ولا شك أن النبي عليه الصلاة والسلام لعظم هذا العقد بين الزوجين لم يشأ أن يضع مكانته النبوية في شأن شخصي، فحينما كرهت امرأة زوجها، وطلبت من رسول الله أن يخالعها زوجها، فقال لها عليه الصلاة والسلام: لو تراجعيه، هي فقيهة، فقالت: أفتأمرني؟ قال: لا، إنما أنا شفيع، فأبت، قالت: إني أكره الكفر بعد الإيمان، لا تحبه، قال له النبي عليه الصلاة والسلام: طلقها تطليقة، وردي له الحديقة، هذه مخالعة:

﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾

أحد أكبر أنواع العبادات أن تكسب المال الحلال لتصون به عرضك وتتقرب به إلى ربك :

بعض الأقوال لسيدنا عمر: إن المرأة قد يضغط عليها زوجها، وقد يستعطفها، وقد يستميلها، فتعطيه بعض مالها إن صحت من غيبوبتها، وإن خطأت نفسها فلها أن تسترد ما أعطت لزوجها، هذا رأي سيدنا عمر رضي الله عنه، كل هذا من أجل أن تكون المرأة في أعلى درجة من التكريم، ومن الحرية، ومن الكرامة من دون أن تستخدم هذا استخداماً لا يرضي الله عز وجل، ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾



بصراحة تقوم حياتك على المال الذي بين يديك، بهذا المال تزوجت، بهذا المال اشتريت بيت، بهذا المال أنفقت على أهلك ثمن الطعام والشراب، بهذا المال كسوت أولادك، بهذا المال استرضيت زوجتك، بهذا المال عالجت أولادك المرضى عند الطبيب، بهذا المال أدخلتهم المدارس وتعلموا، بهذا المال أنفقت منه على الفقراء والمساكين فارتقيت عند الله، فالمال قوام الحياة، وهذا الذي يزهد بالمال زهداً أبله غبياً، ثم يحتاج الناس يضع نفسه في مكان ذليل، يعني أنا أدعو الله عز وجل لي ولكم الدعاء المشهور: اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسأل شر

خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت يا رب من فوقهم ولي العطاء، وبيدك وحدك خزائن الأرض والسماء، وبصراحة الآن أعداء المسلمين أحد أكبر خططهم أن يفقروا المسلمين بعبارة جديدة؛ تجفيف منابع الجمعيات الخيرية، أحد أكبر خططهم إفقار المسلمين، وأنا أقول وأحد أكبر أنواع العبادات اليوم أن تكسب المال الحلال لتصون به عرضك، ولتتقرب به إلى ربك، والله ما رأيت كلمة لصحابي جامعةً مانعةً كهذه الكلمة، قال: حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي، حبذا المال، أطعم أولادي، أكسوهم، أسكن بيتاً صحياً، أقدم لهم الطعام والشراب، أعالجهم إذا مرضوا، حبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي، إذاً الذي يتقن عمله، ويلزم عمله، ويبدع في عمله، لتكون يده هي العليا هو في أعلى درجات العبادة، بل إن من العبادة أن تكسب رزقك بيدك، ما دامت حرفتك مشروعة في الأصل، وسلكت بها الطرق المشروعة، وابتغيت منها كفاية نفسك وأهلك، ونفع المسلمين، ولن تشغلك عن واجب ديني، ولا عن طاعة انقلبت هذه الحرفة إلى عبادة، لأنك بهذه الحرفة تصون عرضك وتتقرب إلى ربك.

ربع دين المرأة طاعتها لزوجها :

أيها الأخوة، عظمة الزواج الإسلامي أن الزواج الإسلامي يكون الله بين الزوجين، فكل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر، وكل طرف يتقرب إلى الله لخدمة الطرف الآخر، لذلك حينما قال الله عز وجل:



﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم: 32]

السماوات والأرض تعبير قرآني، أو مصطلح الكون، والكون ما سوى الله، الكون كله دليل على عظمة الله.

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت: 37]

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم: 21]

المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل، لذلك حينما سئل النبي عليه الصلاة والسلام: من أعظم الرجال حقاً على المرأة؟ قال زوجها، يعني أن أول رجل في عالم المرأة هو زوجها، هو الأصل، وكم من امرأة مسلمة تهتم بغير زوجها أضعافاً مضاعفة عما تهتم بزوجها، أحيانا تغيب شهراً، تقول لك: عند ابني،

وزوجك؟ كبر، فهذه المرأة التي لا تهتم بزوجها، ولا تطيع الله عز وجل، بل إن ربع دين المرأة طاعتها لزوجها:

((المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت))

[ابن زنجوية و الديلمي عن أنس]

((لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه))

[البزار والحاكم وصححه عن ابن عمرو]

بل:

((ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم؛ رجل كانت تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها..))

[الحاكم عن أبي موسى]

لأن مئات وألوف النساء يتمنين زوجاً، وهذه لها زوج، ولها بيت، ولها أولاد، تأكل وتشرب وتتنعم، وتسيء معاملته.

ليست البطولة أن تتزوج بل البطولة أن تبقى متزوجاً :

أيها الأخوة، أي زوج يسيء إلى زوجته إنما هو يكفر نعمة الزواج، وأية امرأة تسيء إلى زوجها إنما هي تكفر نعمة الزواج:

((لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه))

[البزار والحاكم وصححه عن ابن عمرو]

((أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة))

[أبو داود والترمذي عن ثوبان]

طلقني تقول له، لماذا؟ لأسباب تافهة، ثم إنه أيضاً لأسباب تافهة يطلقها، لأسباب مضحكة، فقلت لأحد هؤلاء: أنت حينما تطلق زوجتك لأسباب تافهة ينبغي أن تتسكع على أبواب العلماء ممن يفتي لك أن تعود إليك، تشك في علمه، والذي يقسو عليك في الفتوى لا تحتمله، فأنت بين منتقد ومتألم، وأنت تتسكع على أبواب العلماء لأنك ارتكبت أحموقة، وطلقت زوجتك لأسباب تافهة، الإنسان العاقل هذه زوجته جملةً وتفصيلاً مقبولة، يعاتبها، يهجرها، ليبتعد عن الطلاق، لذلك قال بن عباس: أيرتكب أحدكم أحموقته، ثم يقول: يا ابن عباس يا ابن عباس، والله ما رأيت سؤالاً يتردد في المساجد أكثر من سؤال الطلاق، تجد الشاب زوجته ممتازة لسبب تافه يطلقها، أو يحلف عليها بالطلاق، والذي لا أصدقه أن معظم الزوجات لأن

زوجها حلف عليها ألا تذهب إلى بيت فلان فليس في حياتها شيء أهم من أن تزورهم، كي تكسر يمين زوجها، إنه حمق ما بعده حمق من الزوجة، فيا أيها الأخوة هذا الزواج أقدس عقد، ليست البطولة أن تتزوج بل أن تبقى متزوجاً، والبطولة أيتها المرأة لا أن تتزوجي أن تكوني تحت رجل صالح، وإلا تطلقين، إذاً:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾

لكن أروع ما في الآية:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

المودة؛ قالوا: إنها سلوك يعبر به عن الحب، لأنك تحب زوجتك فتبتسم في وجهها، ولأنها تحبك تسعى لمرضاتك، فإذا انقطعت هذه المنفعة أصاحبها مرض عضال معنى ذلك أنه صار لزاماً أن تطلقها، لا، قال:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾

فإن لم يكن عامل المودة قائماً، هناك عامل الرحمة، فكم من امرأة تعمل في البيوت لتطعم زوجها المشلول؟! فلذلك لما قلت لكم: نسب الطلاق في العالم الإسلامي خمسة عشر بالألف نسبة مثالية، لكن مع الأسف أصبحت الآن خمسة عشر بالمئة، وهذه الظاهرة جاءت مع انتشار الصحون، فلذلك أرجو الله سبحانه وتعالى أن يكون كل منا سعيداً في بيته، وأن يفعل مع امرأته الأسباب التي تدعوها إلى محبته وطاعته، وأن تفعل المرأة مع زوجها الأسباب التي تدعوه إلى محبتها وخدمتها:

﴿وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾

من الطرف، قال بعض العلماء: اطلب من زوجتك درهماً من مهرها واشتر به عسلاً، واجعله يذوب بماء السماء، واشربه، لأن الله قال:

﴿فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً﴾

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكاً ﴾

[سورة ق: 9]

وهذا من باب الطرفة درهم من مهر الزوجة يشترى به عسل يذاب في ماء السماء ويشرب، ففيه الشفاء إن شاء الله.

أسئلة تتعلق بموضوع الزواج :

سؤال: يقول أخ أنه: من كان تحته امرأة سيئة ولم يطلقها فإنه لم يقبل له دعاء.

جواب: هذا حديث صحيح للنبي الكريم، تبالغ في الإساءة، تتحدى زوجها، تشتمه، تضربه أحياناً، وليس لها أحد غيره، طيب هذه هل نبقى معها أذلة؟ لا، يجب أن تؤدَّب، يجب أن تبقى بلا زوج، أن تكون مطلقة، أن تقبع خادمة عند أخيها، طبعاً عندها زوج، عندها بيت، وعندها أولاد، حينما تفعل هذا فإنما هي تكفر نعمة الزواج، ليس فيها رحمة، ساذجة، إذاً ثمة إساءة بالغة، وعصيان، وتحدٍّ، وكبر، ضغط غير معقول، لماذا نسكت عن الخطأ؟ هذا حديث صحيح.

جواب: والله لا بد أن يكون النص موثقاً، من كان تحته امرأة سيئة فلم يطلقها فإنه لا يقبل له دعاء، أو كما قال.

هناك فهم آخر، أن زوجي لا يطلقني، يخاف مثلاً، هذا الفهم لا ينبغي أن يكون موجوداً، ثمة خطأ يستلزم الطلاق، ليس ثمة خطأ ثمة طمأنينة وأمن.

سؤال: ابن المبارك كانت تحته زوجة سيئة، وكان يصبر عليها، كيف نوفق بين توجيه النبي وبين فعل ابن المبارك؟

جواب: سهل جداً، إن غلب على ظنك أن صبرك عليها يصلحها فينبغي أن تصبر عليها، وإن رأت صبرك عليها ضعفاً وخوفاً وخضوعاً وذلاً فلا ينبغي أن تصبر عليها، وقال النبي الكريم:

((علقوا السوط حيث يراه أهل البيت فإنه أدب لهم))

[عبد الرزاق والطبراني والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس]

يعني أنت معك سلاح، لا تلغِ السلاح، اتركه معك، لكن أنا لا أقر الحمقى كلما قامت يده عن رجله حلف عليها بالطلاق الثلاث، وكلما أحل لك شيخ يحرمك عشرة، لا هذا عمل أحمق، مع امرأة مؤمنة طاهرة عفيفة طائعة، والله حينما تطلقها فكأن عرش الرحمن اهتز، طبعاً أنا لا أتكلم من فراغ، أنا حينما أتكلم بحدة عندي آلاف الحالات، والله في الأسبوع الواحد تأتيني عدة مشكلات، امرأة شاردة متفلتة تحتقر زوجها، تسارع إلى ضربه أحياناً، تسب أمه وأباه، ولا تقبل بشيء، وتحمله على كسب المال الحرام، هذه امرأة لا ينبغي أن نسكت عن خطأها، أنا أقول عن تلك الحالات الخاصة، لا تقل: الشيخ أفتى بالطلاق، وغداً يلصقون لي مشكلة.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-7) : دعائم تماسك الأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

تماسك الأسرة يتناسب مع الإيمان :


تماسك أفراد الأسرة يتناسب طردا مع الإيمان

أيها الأخوة, تماسك أفراد الأسرة, يتناسب طرباً مع الإيمان, فكلما ازداد الإيمان, تماسكت الأسرة في .....

وقد ورد في الصحاح, أحاديث كثيرة تشير إلى هذه الظاهرة, التفكك دليل ضعف الإيمان, التماسك دليل قوة الإيمان, وكلما اشتد حبك للأولاد, كلما كان الإيمان أكثر, وكلما قلت المحبة, وكان كل إنسان يتحرك وفق مصالحه, ضعف الإيمان.

مفهوم الرحمة :

يقول عليه الصلاة والسلام, فيما يرويه الإمام البخاري عن أبي هريرة, قال:

((قبَّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي, وعنده الأقرع بن حابس التميمي, فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد, ما قبلت منهم أحداً, فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم قال: من لا يَرحم لا يُرحم))


الطفل بحاجة لحنان أبويه

الطفل بحاجة إلى حنان أمه وأبيه, أشد من حاجته إلى حليب أمه, الطفل حينما يأوي إلى البيت, يرى فيه العطف, والحنان, والمحبة, وتوفر حاجاته, التصق بالبيت, أما إذا رأى فيه القسوة والإهمال, التصق بأصدقائه, وشرب منهم, وانحرف أحياناً.

فالبيت يجب أن يكون جنة يا أخوان, ليس بالمعنى المادي, قد يكون صغيراً, قد يكون .... فقط جنة بالمعنى .... بالمعنى الاجتماعي. فالنبي الكريم كان يقبل الحسن بن علي, عنده الأقرع بن الحابس التميمي, قال الأقرع:

((إن لي عشرة من الولد, ما قبلت منهم أحداً, فنظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: من لا يَرحم لا يُرحم))

والحديث الصحيح القدسي:

((إذا أردتم رحمتي, فارحموا خلقي))

وأول ناس برحمتك أولادك, يعني: المؤمن يعيش لأولاده, يعيش لهم.

يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى:

((زعمت المرأة الصالحة خولة بن الحكيم, قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم, وهو محتضن أحد ابني ابنته, وهو يقول: إنكم لتبخلون وتجبلون))

[أخرجه الترمذي في سننه]

الإنسان: قبل أن يأتي بأولاد, يعني: إنفاقه عشوائي, ويقتحم الأخطاء أحياناً, أما حينما يكون له أولاد يعيش لهم, يضبط إنفاقه, ربما ضبط مواقفه, ضبط الإنفاق, وضبط الواقف, دليل عنده أولاد, ويسعى على مصالحهم.

فقال عليه الصلاة والسلام:

((إنكم لتبخلون, وتجبنون, وتجهلون))

[أخرجه الترمذي في سننه]

الإنسان أحياناً: يغفل مجلس علم, أحياناً: من أجل عمله, من أجل تجارته, من أجل تربية أولاده, فلذلك النبي عليه الصلاة والسلام: علمنا كيف نحرص على أولادنا؟ وكيف نمحضهم حبنا ورحمتنا؟.

سيدنا الصديق, دخل على ابنته عائشة, وقد أصابتها حمى, فرأت أباها, فقبل خدها, وقال:

((كيف أنت يا بنية؟))



أنا أؤكد مرة ثانية, كلما ازداد الإيمان, ازدادت هذه المشاعر, وتلك العواطف, وأصبح البيت جنة.

كل أب بإمكانه يجعل بيته جنة؛ بعطفه, بحنانه, بدعابته لأولاده, بالعناية الفائقة بهم, بطعامهم, بشرابهم, بلباسهم, بتدفئتهم, بدراستهم, يجب أن يعيش الأب لأولاده, لأن أولاده زاده إلى الله عز وجل.

الأبوة المثالية كافية لدخول الجنة. النبي عليه الصلاة والسلام وسع الدائرة, قال:

((نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً, فانطلق إنسان إلى غيضة, فأخرج منها بيض حمرة, -حمرة أحد أنواع الطيور, أخذ بيض حمرة-, فجاءت الحمرة ترف على رأس رسول الله, ورؤوس أصحابه, فقال عليه الصلاة والسلام: أيكم فجع هذه بأولادها؟ فقال رجل من القوم: أنا أصبت لها بيضة, فقال عليه الصلاة والسلام: اردده رحمة لها))

يعني: لم يرض أن تفجع طير ببيضها.

((اردده رحمة لها))

يمكن أن أقول: أن نسبة الرحمة في قلبك, كنسبة اتصالك لله عز وجل, بقدر اتصالك بالله عز وجل, تزداد الرحمة في قلبك.



((ومن لا يرحم لا يُرحم, وإذا أردتم رحمتي فارحموا خلقي))

لم يقل: ارحموا الناس خلقي, هذه الحمرة الطائر, ولها بيض, فلما فجعت ببيضها, رفرفت فوق رأس رسول الله, وفوق رؤوس أصحابه.

فقال عليه الصلاة والسلام:

((أيكم فجع هذه بأولادها؟ قال: أنا, قال: اردده رحمة لها))

لأن الأسرة أساس المجتمع, فإذا تماسكت.

يعني: في أسرة دخلها قليل, لكن الحب فيما بينها كثير, العبرة بهذا الحب بالمودة, يمكن تأكل الأسرة أخشن طعام, أرخص طعام, أصغر بيت, أخشن أثاث, لكن في محبة, في رحمة, يعني: ما في أجمل من أسرة متماسكة, ما في أجمل من أسرة, حينما يتقدم الأب والأم في السن, الأولاد يحفون بهما بشكل غريب.

مر عليه الصلاة والسلام في نفر من أصحابه –يمشون–, وصبي في الطريق, فلما رأت أمه القوم, خشيت على ولدها أن يضرب, فأقبلت تسعى, وتقول:

((ابني ابني, وسعد, فأخذته, فقال القوم: يا رسول الله! ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار.

–رأوا حرصها, كيف اندفعت إلى وليدها؟ أخذته من الطريق, خوفاً أن يطأه أحد من أصحاب رسول الله, هذا خطأ–.

فقال عليه الصلاة والسلام: لا والله, يلقي بحبيبه في النار, ناية هذه الأم رحمة, رحمة من الله عز وجل))

وفي رواية أخرى: النبي مع أصحابه: رأى أماً تخبز خبزاً, وكلما وضعت رغيفاً في التنور, قبلت ابنها, فقال عليه الصلاة والسلام:

((أتلقي هذه بولدها في النار؟ قالوا: معاذ الله! قال: والذي نفس محمد بيده, لله أرحم بعبده من هذه بولدها))

يقول لك: الله يفعل ما يشاء, يمكن تطيعه كل حياتك, وتفني كل حياتك بطاعته, ويضعك في جهنم, هو حر يفعل ما يشاء, ولكن النبي ما هكذا قال, قال:

((هذه الأم لا تلقي بوليدها إلى النار, ولا الله عز وجل يلقي بحبيبه في النار))

امرأة هي أم حارثة, أتت النبي صلى الله عليه وسلم, وقد هلك حارثة, يوم بدر استشهد, أصابه سهم, فقالت:

((يا رسول الله! قد علمت موقع حارثة من قلبي, فإن كانت الجنة, فلن أبكي عليه, وإلا فسوف ترى ما أصبره ....,

–بالجنة لأسكت, أما إذا كان غير الجنة, أريد أن أقتل نفسي–.

فقال عليه الصلاة والسلام: اهدئي, -أنت جنيت-, أو جنة واحدة!؟ إنما جنان كثيرة, وإنه في الفردوس الأعلى))

جنة, أحد جنان كثيرة, وهو في الفردوس الأعلى, أنا أذكر لكم رحمة الأم بولدها.

تفكك الأسرة يبدأ من قسوة الأم :


بيوت الأمهات القاسيات كالقبر ينفر الأبناء

في أمهات قاسيات جداً, الطفل يلتصق بأصدقائه, يسهرون, تأتي الساعة الثانية, البيت لأنه ممل, البيت مثل قبر؛ لا يوجد مودة, لا يوجد رحمة, لا يوجد أكل يعتنى به, لا يوجد لبس, فكلما جعلت البيت يجذب الابن, تكون أب حكيم, وتكون الأم حكيمة.

يقول عليه الصلاة والسلام:

((ما نحل والد ولده, أفضل من أدب حسن))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

يعني: أكبر عطاء أن تربي ابنك على طاعة الله, وعلى التحلي بالأخلاق الفاضلة.

قال:

((أن رجلاً كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم, ومعه ابن له, فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتحبه؟ قال: نعم يا رسول الله! أحبك الله كما أحبه -يعني: نحبه حباً غير مرفوض-, ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل فلان بن فلان؟ قالوا: يا رسول الله! مات, مات ابنه, فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه: ألا تحب ألا تأتي باباً من أبواب الجنة, إلا وجدته ينتظرك؟ فقال رجل: يا رسول الله! أله خاصة أم لكلنا؟ قال: بل لكلكم))


الطفل الصغير قطعة من الجمال وموته فجيعة لأهله

[أخرجه الإمام أحمد في مسنده]

يعني: إذا شخص له ابن مات صغير, طبعاً: شيء لا يحتمل, الابن لما يكون بأجمل سنين حياته وهو صغير, يعني: قطعة من الجمال, قطعة من الأدب, قطعة من المحبة, من براء, من صفاء, من ذاتية, فالطفل لما يكون صغير, يكون محبوباً جداً عند أهله, فإذا مات في هذا السن, فهذه فجيعة لا تحتمل.

فالنبي أشار إلى أنه من فقد طفلاً صغيراً, أي باب من أبواب الجنة دخله, يرى ابنه ينتظره في الجنة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((إن لله تبارك وتعالى عباد لا يكلمهم يوم القيامة, ولا يزكيهم, ولا ينظر إليهم, قيل له: من هؤلاء يا رسول الله؟ قال: متبَّر من والديه, راغب عنهما))

يعني: الطفل, أو شاب, أو ابن, يعني: انسلخ عن والديه, يقول لك: أب دقة قديمة, أب غير فهيم, يعني: احتقر والده, تبرأ منه أهله, ورجل أنعم عليه قوم, فكفر نعمتهم, وتبرأ منهم.

يعني: إنسان تبرأ من والديه, وإنسان تبرأ من قوم, أنعموا عليه, وأكرموه, فكان لئيماً معهم, مثل هذين الرجلين, الله سبحانه وتعالى يوم القيامة: لا يكلمهم, ولا يزكيهم, ولهم عذاب أليم.

إنسان تبرأ من والديه, الآن: سبب وجود الإنسان: إذا كان الأب منحرف, لا يوجد مانع, أنت اخدمه, أحسن إليه, تلطف معه, عامله بالمواقف.

يقول عليه الصلاة والسلام:


تربية ثلاث بنات تربية صالحة حجاب من النار

((من كان له ثلاث بنات, فصبر عليهن, فأطعمهن, وسقاهن, وكساهن, كن له حجاباً من النار))

والله شيء رائع, في بيت لا يوجد بنات؛ أطعمها, واسقها, واكسها, وربها, ودلها على الله, وزوجها شاباً مؤمناً, وانتهت مهمتك, هذه البنات كن لوالدهن حجاباً من النار.

جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فضمهما إليه, ثم قال:

((إن الولد مبخلة مجبنة))

[أخرجه الحاكم في مستدركه]

النبي صلى الله عليه وسلم .... الكلام.

أيها الأخوة, تجد شخص ينفق كثيراً, يغير وعيه, لما يتزوج, ويأتيه أولاد, اختلف, لم يعد يأكل في المطاعم أبداً, لأنه عنده أولاد في البيت.

فأحياناً: الابن يحمل أباه على الإنفاق الحكيم, وأحياناً: يحمل أباه على الموقف الحكيم, أحياناً في تهورهم.
وكان عليه الصلاة والسلام ......

عن أسامة بن زيد قال:

((كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذني والحسن, ويقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما, اللهم إني أحبهما فأحبهما))

هذه الأحاديث التي قرأتها لكم, يتضح: أن محبة الأب لأولاده, تتناسب مع إيمانه, وأن الرحمة التي في قلبه, تتناسب مع اتصاله بالله عز وجل, والحقيقة الكبيرة: شهادتك الرائعة؛ أولادك شهادتك, شهادتك عند الله, وعند الناس, أولادك؛ تربيتهم, دراستهم, انضباطهم, أخلاقهم, فإذا فعلت هذا, نلت رضاء الله عز وجل.

وهذه الأحاديث كلها في الصحاح, تبين الحب, والرحمة, والاهتمام, والعطف, والشفقة, التي كانت في قلوب أصحاب رسول الله على أولادهم, وكلما الإنسان قسا, وأهمل, وقصر مع أولاده, دليل ضعف إيمانه, وضعف الرحمة في قلبه, والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-7) : كيفية العناية بالأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

إذاعة القرآن الكريم من أبو ظبي تقدم:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾

[سورة الشورى:52-53]

لا يزال التصور الإسلامي يُهدي للإنسانية الرؤية الفكرية في إشكالياتٍ وقضايا تستجد على أجيال البشرية، ومنطق الفكر الإسلامي يمتلك العدل، والعدل قوة يسترسل في حسنه من الباطن إلى الظاهر، لتبقى القيم والمثل مطلباً حقيقياً لبناة الحياة، آفاق فكرية.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حمداً يليق بجلاله وكماله، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه الأبرار الأطهار، ومن تبعهم بإحسان، وسلك طريقهم إلى يوم الدين، ونستفتح بالذي هو خير، ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

يسعدنا سعادة إضافية أن نرحب بضيف هذه الحلقة، فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي الأستاذ المشارك المحاضر في كلية التربية في جامعة دمشق، أهلاً ومرحباً بكم فضيلة الأستاذ.

الدكتور راتب :

بكم يا سيدي.

المذيع :

بارك الله بكم يا سيدي.

أيها المستمعون الأكارم؛ موضوع حلقة اليوم حول الأسرة المسلمة في الإسلام.

الأسرة في الإسلام لها مكانتها، ولها مزيتها، فهذه الأسرة المكونة من رجل وزوجة تقوم على المحبة والمودة، فالزواج في الإسلام سكن للنفس، وراحة للقلب، واستقرار للضمير، وتعايش بين الرجل والمرأة على المودة، والرحمة، والانسجام، والتعاون، والتناصح، والتسامح، وقد صور القرآن الكريم هذه العلاقة الفطرية الأبدية بين الرجل والمرأة تصويراً رقيقاً شائقاً، تشيع فيه أنداء السكينة والأمن والطمأنينة، ويفوح منه عبير المحبة والتفاهم والرحمة، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم :21]

وفي البداية نود أن نتعرف من فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي عن محور ورقة العمل التي ألقيت في مؤتمر الأسرة الخليجية، ولاسيما أنتم مشاركون في هذا المؤتمر.

القرآن الكريم منهج الله و للأسرة فيه توجيهات وقائية وأدوية علاجية :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، أيها الأخ الكريم؛ جزاك الله خيراً.

ورقة العمل التي قدمتها في هذا المؤتمر والتي ألقيتها اليوم في الجلسة الثالثة محورها يقوم على أننا أمة شرفها الله بالإسلام، وأعزَّها به، ولهذه الأمة كتابٌ هو وحي السماء إلى الأرض، هو كلام الله، وفضل كلام الله على كلام خلقه كفضل الله على خلقه، وفيه للأسرة توجيهات وقائية، وأدوية علاجية، وإذا صح أن يكون الإنسان أعقد آلة في الكون، فإنه يصح أيضاً أن تكون هذه التوجيهات القرآنية، وتلك الأدوية تعليمات الصانع لهذه الآلة، من قبل الجهة الصانعة، والجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها، ذلك أن الحق لابس خلق السموات والأرض، خلق السموات والأرض بالحق، والحق من خلال القرآن الكريم نقيض الباطل، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾

[سورة ص: 27]

أي ما خلقناهما إلا بالحق، والباطل هو الشيء الزائل.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾

[سورة الإسراء : 81]



فالحق هو نقيض الزائل، إذاً هو الشيء الثابت، والحق أيضاً في القرآن الكريم نقيض العبث.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾

[سورة الدخان : 38]

إذاً هو الشيء الهادف، فتعريف الحق من خلال القرآن الكريم هو الشيء الثابت والشيء الهادف.

الحق دائرة تتقاطع فيها أربعة خطوط؛ خط النقل الصحيح، القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، لأن القرآن الكريم قطعي الثبوت، بينما السنة ظنية الثبوت، فإذا قلنا النقل الصحيح أي القرآن الكريم وما صح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن تؤَّول هذه النصوص وفق علم الأصول لا تأويلاً مزاجياً، فهذا هو النقل. وأما العقل الصريح فهو العقل البعيد عن التبرير، الإنسان أحياناً يقوده عقله، وفي حالات كثيرة يقود عقله إلى تبرير أخطائه، فإذا قلنا العقل الصريح هو العقل الذي لا تبرير فيه.

فلا بدَّ أن تتقاطع في هذه الدائرة خطوط كثيرة، أولها: خط النقل الصحيح، بما فيه من كتاب و سنة، والخط الثاني هو العقل الصريح الموضوعي البعيد عن التبرير، والخط الثالث هو خط الفطرة، والفطرة جبلة جبلنا عليها، من خلال الفطرة تكشف حقيقة الإنسان، ويكشفُ أخطاءَهُ، والخط الرابع هو خط الواقع الموضوعي، فالقرآن كلامه، والعقل مقياس أودعه الله فينا، والفطرة مقياس عاطفي أودع فينا أيضاً، والكون خلقه، ولابد من أن تتقاطع خطوط النقل، مع خطوط العقل، مع خطوط الفطرة، مع خطوط الواقع، تقاطع هذه الخطوط أي أننا في بؤرة الحق، وفي الحق الصُراح، فالشيء الدقيق الأن هو أن العقل والنقل والفطرة والواقع، مادامت هذه العناصر من مصدر علوي واحد، لا يمكن أن تتعارض، وإذا تعارضت فيتعارض النقل الصحيح مع نظرية لم يَثبِت صحتها، أو يتعارض العلم الدقيق مع نص غير صحيح، أي مع نص صحيح أوّل تأويلاً غير صحيح، أما إذا تحرينا الحقيقة العلمية، وتحرينا صحة النقل فلابد من توافق النقل والعقل، وأكبر العلماء المسلمين ألّف كتاباً حول حتمية توافق النقل مع العقل.

هذا الكلام مهدّت به لأصل إلى أن القرآن والسنة منهج الله، وهو الخبير، قال تعالى:

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾

[سورة فاطر: 14]

موضوع الأسرة أخطر موضوع في الإسلام :

إذا أردنا أن نبحث نجد أن أخطر موضوع في الإسلام موضوع الأسرة، هذا الموضوع يشكل لبنة أساسية في المنهج الإلهي، فهل يعقل أن نبحث هذا الموضوع بعيداً عن الإسلام؟ أو بعيداً عن الكتاب والسنة؟ أو بعيداً عن كلام الخبير الصانع؟ وكما تعلمون يعد الإنسان أعقد آلة في الكون، ولهذه الآلة البالغة التعقيد صانع هو الله عز وجل، وتعليمات الصانع هي التعليمات الوحيدة التي ينبغي أن تتبع، لأن الصانع هو الخبير، لو أن أحدنا اقتنى جهاز كومبيوتر وأصابه خلل، هل يعقل أن يتوجه إلى بائع الخضار - مع أنه يحترمه جداً ويحبه جداً- لإصلاح هذا الجهاز؟ لا يعقل، بل يأخذ الجهاز إلى الجهة الصانعة، إلى فرع الشركة الصانعة في مكان إقامته، فنحن في حياتنا الدنيا نريد الخبرة الدقيقة، نريد الخبرة العميقة، لذلك لماذا من أجل آلة نحرص على سلامتها وحسن مردودها نبحث عن الخبير ومن أجل حياةٍ أبديةٍ لا تنتهي لا نبحث عن الخبير؟ هل يعقل أن نستورد حلولاً من شعوب تائهة شاردة عن الله عز وجل؟ هل يعقل أن نعُدّ الانحراف والتحلل هو الأصل فنأخذ من هذه الشعوب حلاً لمشكلاتنا؟ ليس معقولاً إطلاقاً، بل لابد من أن نعود إلى منهج ربنا، لأنه ما من مشكلة على وجه الأرض إلا بسبب خروج عن منهج الله، وما من خروج عن منهج الله إلا بسبب جهل كبير، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به، ويمكن أن نقول: إن أعدى أعداء الأمة هو الجهل، ومن هذا المنطلق كان انعقاد هذا المؤتمر المبارك، وأنا أشكر القائمين عليه، وأتمنى أن تتكرر هذه المؤتمرات، وأن تعمم في البلاد العربية والإسلامية.

المذيع :

أحسن الله إليك، وبارك الله فيك فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي، ونفهم من كلامك هذا أن الأسرة إذا عادت إلى الله تبارك وتعالى عودة صادقة، وأدركت الدور الذي من أجله خلقها الله تبارك وتعالى تسير في مأمن وفي طريق آمن، لعل سؤالاً نفهمه من خلال الأسرة: لماذا وجّه الإسلام عنايته لتربية الأبناء أو تربية الأطفال؟ الغاية من الزواج كما نفهم المحافظة على النوع الإنساني، وتأجج عاطفة الأبوة والأمومة، ولذلك الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أن يكون التناسل والتكاثر من ذكر وأنثى، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

[سورة الروم: 13]

فما الحكمة من عناية الإسلام بتربية الأبناء والأطفال؟

الإنسان هو المخلوق الأول المكلف و المكرم :

الدكتور راتب :

إن شاء الله سآتي على هذا السؤال اللطيف والدقيق ولكن لابد من تنبيه ، الإنسان هو المخلوق الأول لقوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾

[سورة الأحزاب: 72]

والإنسان هو المخلوق المكرم، لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾

[سورة الإسراء : 70]

والإنسان هو المخلوق المكلف لقوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[سورة الذاريات : 56]

والعبادة في تعريفها الدقيق طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية.

المذيع :

كمال الحب مع كمال الخضوع.

الدكتور راتب :

نعم، أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية، من خلال هذا التعريف يتضح أن في العبادة جانباً معرفياً، وجانباً سلوكياً، وجانباً جمالياً، الجانب السلوكي هو الأصل، ولن يكون إلا بعد المعرفة، والجانب السلوكي هو



الأصل، ومن إفرازاته السعادة الأبدية، السلوك تسبقه معرفة تفضي إلى سعادة أبدية، الإنسان لأنه مخلوق مكرم كلفه الله بحمل الأمانة، ومن أدق تعريفات حمل الأمانة أنها نفسه التي بين جنبيه، لقوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾

[سورة الشمس : 9-10]

فأكبر أمانة تحملها أن تعرِّف نفسك بالله عز وجل – وأنا أخاطب المسلم المؤمن – وأن تحملها على طاعته، وأن تتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة، إن فعل المسلم هكذا حقق الهدف من وجوده، لقوله تعالى:

﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾

[سورة النساء : 147]

الشهوة حيادية :

بقي أن هذا الإنسان أودعت فيه الشهوات، من أجل أن يرقى بها مرتين، مرةً صابراً، ومرةً شاكراً إلى ربّ الأرض والسموات، هذه الشهوات حيادية، يمكن أن تفرغ في قنوات كثيرة، ما من شهوة أودعها الله في الإنسان إلا وجعل لها قناةً نظيفةً تسري خلالها، فنحن مثلاً في علاقة الرجل بالمرأة، المرأة محببةٌ إلى الرجل، قال تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

[سورة آل عمران : 14]

فالشهوة محببةٌ إلى الإنسان، لكنها حيادية، يمكن أن تكون سلماً نرقى به، أو دركات نهوي بها، ولأن الإنسان مخير شهواته وحظوظه كلها حيادية، فعلاقة الرجل بالمرأة بحسب القناة النظيفة التي صممها الله لنا هي قناة الزواج، يمكن أن تُفَرَّغَ هذه الشهوة بقنوات كثيرة، ولكن القناة النظيفة التي صممها ربنا وجعلها منهجاً لنا هي قناة الزواج، فلذلك ينبغي أن تهتم المجتمعات الإسلامية بالزواج أبلغ الاهتمام، وينبغي أن تعنى بالأسرة أبلغ العناية، فما من منهج إصلاحي أو اجتماعي إلا ويقوم على أساس العناية بالأسرة.

المذيع :

هذه الأسرة التي أراد الله لها الوجود في هذا المجتمع لها رسالة، فمعلوم أن للأم رسالة، وللوالد رسالة، والحكمة من هذه الأسرة أو من وجود هذه الأسرة أن تتعايش مع هذه الرسالة، فليس المخلوق مهمته أن يأكل ويشرب ويلهو فقط، إنما هذه الأسرة لها رسالة، ونحن كرمنا الله تبارك وتعالى بهذا الدين الإسلام، الذي أعزّنا

الله تبارك وتعالى به، فهل ورد في القرآن الكريم ما يؤكد هذه الثمرة التي هي من وراء هذا الزواج التي تسمى بالأبناء؟ أي لقد ورد الأطفال في القرآن الكريم، فهل لك أن تذكر لنا ذلك؟

العناية بالأطفال لأنهم غراس الحياة وقطوف الأمل :

الدكتور راتب :

أخي الكريم؛ الأطفال غراس الحياة، وقطوف الأمل، وقرة عين الإنسان، وزهور الأمة المتألقة والمتفتحة، هم الجيل الصاعد الذي تعلق عليه الأمة أملين كبيرين، وهما من أخص واجباتهم الحفاظ على مكاسب الأمة في شتى الميادين، وتحقيق مكاسب جديدة، أي تحقق الأمة العربية والإسلامية الرسالة التي شرفها الله بها، قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾

[سورة البقرة: 143]



ولكن هذه الواجبات التي تلقيها الأمة على عاتق أجيالها، هذه الواجبات لن تتحقق إلا إذا بذلت الأمة لأبنائها كل عناية واهتمام، وكل غالٍ ورخيص، وكل نفسٍ ونفيس، ولعله من هذا المنطلق عقد هذا المؤتمر المبارك، ومن أجل أن تحمل الأمة أبناءها على الحفاظ على مكاسبها والنهوض بها، لا بد من أن تدفع الثمن مقدماً، وهذا الثمن عناية بالغة بالطفولة، وجّه الإسلام عنايته الفائقة إلى تربية الأطفال حتى يسعد بهم المجتمع، ويَسعدوا هم بالمجتمع، ولكن الشيء الذي يلفت النظر والذي لا يصدق من دقته وعمقه هو أن الإسلام لا يعتني بالطفل من يوم مولده فحسب، بل يرعاه فكرة، ويحضنه غيباً، ويخطط لمستقبله مسبقاً، ولم يزل أمنيةً هائمةً في ضمير الغيب، لأن الأسرة في الإسلام لها مكانتها وخطورتها، لهذا لابد للإسلام من أن يصحح أول لبنة من لبناتها وهي الطفل، يحضرني الآن أن امرأةً فرنسيةً تعمل في الفن في المسرح، سئلت مرةً عن شعورها وهي على خشبة المسرح، الشيء الذي لفت نظري أنها تكلمت بلسان الفطرة، قالت: شعور الخزي والعار، وهذا شعور كل أنثى تعرض مفاتنها على الجمهور، إن الحب يجب أن يبقى بين الزوجين وفي غرف مغلقة.

هذه هي الفطرة، فلأن الفطرة تقتضي أن نتزوج، وأن ننجب، وهذه هي القناة النظيفة التي شرعت لنا من خلال علاقتنا بالمرأة، ومن خلال هذه العلاقة يتم إنجاب الأولاد، سيدنا عمر عملاق الإسلام سئل: ما حق الولد على أبيه؟ فأجاب إجابةً مذهلة، قال: أن يحسن انتقاء أمه –وهذا قبل الزواج– وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه القرآن.

كيف لا والطفل هو العنصر الأول في بناء الأسرة، وهو الذي يسعد أهله أو يشقيهم، لو بلغ الإنسان أعلى منصباً في العالم، أو حصّل أكبر ثروة في العالم، أو وصل إلى أعلى درجةٍ علميةٍ في العالم، ولم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس.

المذيع :

لكن هذا يجرنا إلى سؤال كيفية النهوض بالأسرة فكرياً حتى توصل الأبناء إلى فكر صحيح؟

كيفية النهوض بالأسرة فكرياً :

الدكتور راتب :

الحقيقة التي لا ريب فيها أن المسلَّمات نبدأ بها دائماً، الأسرة هي الخلية الأولى في بناء المجتمع، فإذا تماسكت تماسك المجتمع، وإذا تفتتْ تفتتَ المجتمع، أول شيء في هذا الموضوع هو أن بعض المفسرين جزاه الله خيراً أشار إلى حقيقةٍ مذهلة، قال: الأطفال هم المودة والرحمة من خلال قوله تعالى:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم :21]

لابد من وقفةٍ متأنيةٍ حول هذه الآية، يقول الله عز وجل:

﴿وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾

[سورة الروم :22]

ومن آياته الشمس والقمر، ومن آياته الليل والنهار، دققوا.

المذيع :

دلائل قدرته.

الدكتور راتب :

ومن آياته الدالة على عظمته. فكما أن الكون آيةٌ تدل على عظمته، وكما أن الشمس والقمر آيةٌ تدل على عظمته، وكما أن الليل والنهار آيةٌ تدل على عظمته، أيضاً من الآيات أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، السكنى هي أن الرجل يكمل نقصه بزوجته، عنده نقص عاطفي، وعنده تفوق فكري، وأن المرأة تكمل نقصها بزوجها، عندها نقص فكري، وعندها فيضان عاطفي، فجُعِلَ كل من الطرفين سكناً للآخر، من أجل أن يلتقيا، وأن يتحاببا، وأن يتعاونا، لِتسكنوا إليها، لو كانا متماثلين لما سكنا إلى بعضهما، وجعل بينكم مودة ورحمة، الشيء اللطيف في هذه الآية أن المودة شيء والرحمة شيء آخر، المودة هي السلوك النابع من شعور هو الحب، السلوك الابتسامة، الكلمة اللطيفة، الرفق، الهدية، الرحمة...نحن أحياناً لسبب قاهر يفتقر الزوج، أو يمرض، ولسبب آخر تمرض الزوجة، تنقطع المصلحة بينهما، فإذا انقطعت المصلحة بينهما، حلت الرحمة محل المودة، لذلك في الإسلام الزواج يؤسس ليبقى، بينما في العالم الغربي لمجرد أن تنقطع المصلحة بين الزوجين ينقطع هذا الزواج، أروع ما في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين، بمعنى أن كل طرفٍ يخاف الله في الطرف الآخر، ويتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر، فإذا كان الزواجٌ مبنياً على أن يكون الله بينهما، وأن كل طرف يسعى لخدمة الطرف الآخر، تقرباً إلى الله تعالى، ويخشى أن يظلم الطرف الآخر خوفاً من الله، فهذا الزواج وجد ليستمر، لذلك يوجد مئة حالة زواج في أمريكا، خمسة وستون بالمئة تنتهي إلى الطلاق، طبعاً هذا الإحصاء دقيق، إلا أن عند الباحثين الاجتماعيين إحصاء آخر، يأخذون مجموع سكان البلاد، ويأخذون مجموع حالات الطلاق، يقسمون مجموع حالات الطلاق على مجموع السكان، ويضربون بألف، الآن إحصاء آخر أن كل مئة حالة زواج خمسة وستون بالمئة تنتهي إلى الطلاق، في البلاد الإسلامية سابقاً قبل هذا التواصل الثقافي، والتواصل غير المقبول شرعاً أحياناً، كانت نسب الطلاق واحد بالألف، هذه علامة طيبة جداً لأن الحالة البنيوية للأسرة ثابتة ومتينة وأصلها ثابت، لذلك الطفل هو الثمرة التي ينبغي أن تكون، هو المودة والرحمة بين الزوجين.

المذيع :

هل الطفل هو الذي يديم المودة والرحمة بين الزوجين؟

الطفل هو الذي يديم المودة والرحمة بين الزوجين :

الدكتور راتب :



هذا ما قاله بعض المفسرين، الطفل هو الذي يقوي العلاقة بين الزوجين، طبعاً القرآن حمَّال أوجه، فإذا أخذنا معنى الطفولة بالمعنى الثاني، فالطفل هو ثمرة هذه العلاقة، وهو الذي يقويها ويمتنها، وأحد الأخوة الكرام في المؤتمر قال: كلما كثر الأطفال تمتنت علاقة الزوجين، فالزواج الذي ليس فيه أولاد فيه احتمال أن ينتهي إلى الطلاق، طفل واحد غير الطفلين، غير الثلاثة، غير الأربعة. هذا الذي قيل في المؤتمر.

المذيع :

كون الأسرة المسلمة تظل قائمة على الابتكار، والتدبر في كتاب الله تبارك وتعالى، أي إذا كانت الأسرة وفق الضوابط الشرعية، تقوم على أسس سليمة، مما لاشك ينشأ الأبناء على أطر سليمة، وضوابط شرعية، الأم لها دور، والأب له دور، كيف ترتقي الأم بأبنائها؟ لقد سمعنا الشاعر يقول:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

* * *

كيف تعد الأم في العصر الحاضر وهي تواجه التحديات؟ وكيف يعد الأب إعداداً جيداً، حتى يحس بثقل المسؤولية، وحتى يكون على مستوى المسؤولية؟ لأن الأسرة إذا صلحت صلح المجتمع كله، هي نواة أو كما تفضلتم خلية.

دور الأم في الارتقاء بأبنائها :

الدكتور راتب :

الذي أراه أن الزواج إذا بني على منهج الله يقول تعالى:

﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ﴾

[سورة التوبة: 109]

إذا بني الزواج على طاعة الله، ووفق منهج الله، تولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين، ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه، أما إذا بني الزواج على معصية الله، ولو توافرت له كل أسباب النجاح، يتولى الشيطان التفريق بينهما هذه واحدة، أما الشيء الثاني فهو أنه لابد من حسن اختيار الزوجة، لابد من أن تكون من بيت علم، من بيت أخلاق، من بيت قيم، لها تربية عالية، تخشى الله، فيها حياء، تريد زوجاً مؤمناً يحفظ لها دينها، أما هذا التفلت وهذا الانحراف فهذا انعكاسه على الأسرة خطير، أما أولياء الفتيات أحياناً يأتيهم خاطب يرغبون بماله فيضحون بابنتهم، يقول عليه الصلاة والسلام:

((عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ،ثَلاثَ مَرَّاتٍ))

[الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

قيل: زوِّج ابنتك للمؤمن، إن أحبها أكرمها، وإن لم يحبها لم يظلمها.

مرة امرأة متعلمة علماً فقهياً خطبها خاطب، أراد هذا الخاطب أن يمتحنها، قال: إن في خلقي سوءاً فهل تتحملين؟ فقالت له: إن أسوأ خلقاً منك من حاجك إلى سوء الخلق.

المرأة الفقيهة التي تعرف أحكام دينها، هذه المرأة كالمجاهدة في سبيل الله، النبي عليه الصلاة والسلام جاءته امرأة تسأله، قال: " اعْلَمِي أَيَّتُهَا المَرْأَة، وأَعْلِمِي مَنْ دُونَكِ مِنَ النِسَاء، أَنَّ حُسْنَ تَبَعُلِ المَرْأَةِ زَوُجُهَا يَعْدِلُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّه ".

أنا مؤمن بالتربية، لابد من أن نبدأ بتربية الصغار، ذكوراً وإناثاً، فإذا ربينا الفتاة، وغذيناها بالقيم الإسلامية الأصيلة، غذيناها بتاريخ الصحابيات الجليلات، هذه المرأة الصحابية الجليلة التي تقف أمام زوجها وتقول: يا فلان اتق الله نحن بك، إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا، نصبر على الجوع ولا نصبر على الحرام.

كم من امرأة الآن تحمل زوجها على أن يأكل مالاً حراماً؟ كم من امرأة تضغط على زوجها ليكسب كسباً غير مشروع ليحقق لها رغباتها على حساب دَيْنِهِ؟ هذا الشيء ثابت.

إذاً نحن يجب أن نبدأ بتربية الصغار، فإذا ربيناهم تربية إسلامية كانوا كباراً، فحينما تخطب امرأة صالحةً إن نَظَرْتَ إليها سَرَّتكَ، وإن غِبْتَ عنها حفظتك، وتطيعك إن أمرتها، ودود ولود ستِّيرة عزيزة، هذه الصفات التي ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام في المرأة، وهذه لابد من أن تبدأ بسلسلة مبكرة في التربية، فالإنسان

كالوعاء ما يوضع فيه من فوهته العليا تأخذه من صنبوره الأسفل، كوعاء الماء، له فتحة في الأعلى وله صنبور في الأسفل، الذي تضعه في فتحته العليا تأخذه من صنبوره الأسفل، فإذا غذيت الفتيات والشباب تغذيةً غير إسلامية، كالإباحية، والتفلت، والحرية غير المنضبطة، غذيت على طلب الشهوة والإلحاح عليها ولم تعبأ لا بزوج ولا بأولاد، هذه لن تكون امرأة صالحة، الدنيا كلها متاع، وخيرُ متاعها المرأة الصالحة التي إذا– كما قلت قبل قليل– نَظَرْتَ إليها سرَّتْكَ، وإذا غِبْتَ عنها حفظتك، وإذا أمرتها أطاعتك.

المذيع :

لكن كيف نقي الأسرة المسلمة من التحديات في هذا العصر الذي وصل إلى القمر وإلى التقنية الحديثة في المجتمع؟ فأصبح العالم كله متواصلاً أشبه بقرية صغيرة، أو غرفة، فالأسرة المسلمة كيف تقي هذه التحديات التي تواجهها من كل جانب وبما يسمى الغزو الثقافي؟

كيفية حماية الأسرة المسلمة من التحديات التي تواجهها من كل جانب :

الدكتور راتب :



أنا في اعتقادي أن الحرب العسكرية انتهت في العالم، بقيت حرباً اقتصادية، وغزواً ثقافياً، لو تصورنا مدينة تشرب ماءً ملوثاً، والأمراض انتشرت فيها وتفاقمت، القائمون على هذه المدينة أمام خيارين، أن يرسلوا شبابهم ليدرسوا الطب، وأن يأتوا بالمستشفيات والأجهزة الطبية، وأجهزة التحليل والأدوية، أما كان عليهم أن يمنعوا التلوث وهذا شيء سهل جداً، الآن في أميركا يصاب كل عشر ثواني إنسان بالإيدز ، والعدد المتوقع في عام ألفين سبعة وثلاثون مليون مصاب، ما سمعت في تاريخ هذا المرض جهة تقول: أوقفوا هذه الإباحيات، أو هذا الفساد، يبحثون عن مصل مضاد للإيدز ، وينسون أن هذا المرض كما أنه مرض خطير يقف العالم كله أمام معالجته مكتوف اليدين، وينفق آلاف الملايين والمليارات، الوقاية منه سهلة جداً، يكفي أن تستقيم حتى تكون ناجياً من هذا المرض، فتأكيداً لكلامكم جزاكم الله خيراً بدل أن نستقدم النظريات، وأن نعالج بعض الأمراض الاجتماعية، يجب أن نوقف الغزو الثقافي، أن نصون أبناءنا من كل شيء يفسد أخلاقهم، فأنا أرى لابد من أن يوجه الإعلام توجيهاً

سليماً، لابد من أن تضبط المناهج، والأخلاق، وإلا يدفع الآباء ثمناً باهظاً حينما يرون أولادهم قد انحرفوا، هذا الذي نظرتم به حقيقي.

المذيع :

بارك الله فيكم وجزاكم خيراً.

فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي توصلنا إلى أن الأسرة المسلمة هي اللبنة الأولى في المجتمع الإسلامي، نأتي إلى الأطفال في السنة القولية، والأطفال في السنة العملية، هذه الأسرة المسلمة ستنتج بإذن الله تبارك وتعالى فلذات الأكباد، فلو تفضلتم إلقاء الضوء على الأطفال في السنة القولية، والأطفال في السنة العملية.

الأطفال في السنة القولية :

الدكتور راتب :

إن شاء الله، ورد في الأدب المفرد للإمام البخاري حديث يلفت النظر يقول عليه الصلاة والسلام:

((أَوَلُ مَنْ يُمْسِكُ بِحَلَقِ الجَنَةِ أنَا فَإذَا امْرَأَةٌ تُنَازِعَنِي تُرِيْدُ أَنْ تَدْخُلَ الجَنَةَ قَبْلِي قُلْتُ:مَنْ هَذِهِ يَا جِبْرِيل؟ قَالَ: هِيَ امْرَأَةٌ مَاتَ زَوْجُهَا وَلَهَا أَوْلاد فَأَبَتِ الزَوَاجَ مِنْ أَجْلِهِمُ))

[ورد في الأثر]

أنا لا أقول إن الحكم الشرعي يمنع امرأة مات زوجها أن تتزوج، هذا موقف شخصي، يجب أن نفرق دائماً بين الحكم الشرعي الذي يسع الناس جميعاً، وبين الموقف الشخصي الذي يعطي عليه ربه أجراً كبيراً، إلا أنه يؤاخذ الذين لم يفعلوا، فالمرأة حينما تؤثر تربية أولادها على حظوظها من الحياة الدنيا هذه كالمجاهدة في سبيل الله، أريد أن أستنبط من هذا النص شيئين فقط؛ الشيء الأول: كم هو عمل عظيم عند الله أن تربي أولادك، والشيء الثاني: كم يحتاج الأولاد إلى تضحيات جسام؟! إلى أن تبذل لهم الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، على كلّ هذه القصة تشير إلى أن من الأشياء التي يجزي الله عليها أكبر الجزاء أن تربي أولادك، وفي الحديث الصحيح: أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

((عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَمَاتَ ابْنٌ لِي فَوَجَدْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَ مِنْ خَلِيلِكَ شَيْئًا نُطَيِّبُ بِأَنْفُسِنَا عَنْ مَوْتَانَا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ قَالَ: صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الْجَنَّةِ))

[أحمد عن أبي هريرة]

والدعاميص هم الفراشات الجميلة، وهناك قول:

[الأطفال أحباب الله]

ولا ننسى أن القرآن الكريم جعل الأطفال بشرى.

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾

[سورة مريم :7]

وجعل الأطفال قرة عين.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾

[سورة الفرقان: 74]

وجعل الأطفال زينة الحياة الدنيا.

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف: 46]

المذيع :

لكن نود أن نتوقف عند هذا السؤال: هل فعلاً الأطفال يحملون الصفات الوراثية من الأب والأم إذا كانوا وفق أطر سليمة، أي الأم والأب فكرهما مستنير، فهذه الثمرة تحمل هذا الفكر، فإذا نمَّاهُ الإنسان يوماً بعد يوم أنتجنا مجتمعاً نظيفاً قائماً على الفكر المستنير، والفكر الصحيح، والفهم الصحيح؟

أقوى مرحلة في تربية الأولاد أن يكون الأب والأم مثلين كاملين لهما :

الدكتور راتب :

في الحقيقة الطفل في بداياته لابد من المتابعة، ففي البدايات يرى الطفل أمه وأباه مثلين كبيرين.

((عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ قَالَ: دَعَتْنِي أُمِّي يَوْمًا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ: هَا تَعَالَ أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيهِ؟ قَالَتْ: أُعْطِيهِ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا إِنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكِ كِذْبَةٌ))

[سنن أبي داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ]

فيكفي أن يكون الأب والأم مثلين كاملين، هذه أول مرحلة، وأقوى مرحلة في تربية الأولاد، فالأب الذي يقول لابنه: قل لهذا الفلان الذي يطرق الباب ويسأل عني إنني لست في البيت، هذا كذب، المرأة التي تأخذ ابنتها لبيت الجيران وتقول لزوجها حينما يعود: لم أغادر البيت، هذه المرأة السيئة علمت ابنتها الكذب، وهذا الأب الذي يقول لابنه: قل لطارق الباب إني لست هنا، هذا علمه الكذب، يكفي أن تكون مستقيماً.

المذيع :

قالوا: النقش في الصغر كالنقش على الحجر.

الدكتور راتب :

والعلم في الكبر كالكتابة على الماء لا يتأثر. فأولاً لابد من أن يكون الأب والأم مثلين لأولادهما، فكل مولود يولد على الفطرة.

المذيع :

سمعنا من علماء النفس أن الطفل في الصغر ليس عنده القدرة على المحاكاة، ولكن يخزن ما يرى وما يسمع، لكن ليس عنده قدرة على التعبير، ونرى أثر ذلك في المستقبل، ومن هنا كانت التربية الأساسية للأبناء وفق الأسرة المسلمة، وهذا هو السر في قوله عز وجل:

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾

[سورة الإسراء: 24]

الدكتور راتب :

أنا حينما ألمح في بعض البلاد الإسلامية أن يُعَلَّمَ الطلاب في سن مبكرة القرآن الكريم أفرح جداً.

المذيع :

فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي وصل بنا الحديث عند الأطفال في السنة القولية، وبقي الأطفال في السنة العملية، فهل ورد في السنة العملية ما يدل على ذلك؟

فهم النبي للقرآن الكريم يتوضح أكثر ما يتوضح في سلوكه :

الدكتور راتب :

بادئ ذي بدء السنة هي أقوال النبي، وأفعاله، وإقراره، وصفاته، ويرى بعض العلماء أن فهم النبي عليه الصلاة والسلام للقرآن الكريم يتوضح أكثر ما يتوضح في سلوكه، لأن السلوك لا يحتمل تأويلاً، فلذلك ورد في السنة العملية مواقف رائعة جداً للنبي الكريم تتعلق بتربية الأطفال.

مستمع:

السلام عليكم ورحمة الله، عندي سؤال كالآتي: أنا عندي ولد أريد أن أقول لابني ابْعِدْ عن فلان وفلان، فكيف أحمي ابني من حوالي ثلاثين أو خمسين قناة فضائية؟ كيف أحميه في زمن قل فيه الحماية والحصانة؟ كيف أشرح له ما هي رسالة المنزل والمدرسة؟ رسالة أخواننا الوعاظ في المساجد؟ ما هو الوعي الذي أقوله لابني لأحميه من حوالي خمسين أو ستين محطة سواء أنا رضيت أم لم أرض؟ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المذيع :

بارك الله فيكم، وفي الحقيقة سؤال وجيه طيب من أخٍ فاضل يشارك معنا دائماً في هذه اللقاءات الطيبة، وهذه البرامج، كيف يقي ولده من المحطات الفضائية؟ يقول مثلاً: إذا كنت أقول لولدي: ابتعد عن فلان، فهل أقدر أن أقول له: ابتعد عن هذه المحطات وكيف أقيه من هذه المحطات؟

كيفية حماية الأطفال من المحطات الفضائية :

الدكتور راتب :


ترك أفراد الأسرة فريسة للمحطات الفضائية الغربية يدمرهم

قرأت مقالة قبل أيام أعجبتني: أن إنساناً استقبل ضيفاً فوضعه في صدر البيت، وأصغى له إصغاءً بالغاً، وعرض هذا الضيف عليه المناظر الحسنة والقبيحة، تابع الإصغاء والأدب، وبدأ يصغي إليه ساعات وساعات، ثم اكتشف صاحب البيت فجأة أن هذا الضيف ذكي جداً، أقام علاقة حميمة فكرية وعاطفية ومزاجية مع أفراد أسرته واحداً واحداً، ثم اكتشف صاحب البيت فجأة أنه لم يبقَ له من أسرته إلا الجسم، وعليه أن يطعمهم فقط، وعليهم أن يأكلوا بصحبة هذا الضيف، وأن هؤلاء الأطفال عظموا شخصيات بعيدة عن منهجنا.

المذيع :

عفواً سنستقبل هذه المكالمة، ومن ثم نعاود الحديث.

مستمع :

السلام عليكم ورحمة الله، أريد أن أطرح على فضيلة الشيخ سؤالاً وهو يشابه السؤال الذي سأله الأخ من قبل، وهو أنه عنده طفل يخاف عليه ويريد أن يقيه من الخطر الخارجي، وأنا لم يأتني طفل، الآن أنا أريد أن أسمع نصائح لابني الذي لم يأتِ حتى الآن، وإن شاء الله تعالى سوف يرزقني الله إياه.

المذيع :

بارك الله فيك أخي الفاضل، الأخ السائل على أعتاب أن يرزق بمولود.

الدكتور راتب :

صاحب البيت اكتشف فجأة بالنسبة للسؤال الأول أن هذا الضيف الذكي أقام علاقة طيبة مزاجية عاطفية نفسية مع أفراد الأسرة واحداً واحداً، وأن هؤلاء الأفراد بدؤوا يعظمون شخصيات بعيدة عن تاريخنا وقيمنا ومبادئنا، وأن هؤلاء الأفراد تطبعوا بطباع الأنانية، واللامبالاة، والاستهتار بكل شيء مقدس، اكتشف صاحب البيت فجأة أنه ما لم يخرج هذا الضيف الوحش من بيته فلن يقر له قرار، ولن يبقَى له أولاد، الحقيقة القضية كبيرة جداً، فأنا أذكر قديماً كانت حدائق الحيوان الوحوش في أقفاص، والزوار طلقاء، الآن الوحوش طلقاء يقتحمون بيوتنا اقتحاماً، ويعرضون المفاسد التي يندى لها الجبين، ويعلمون أبناءَنا أشياء هم بعيدون عنها، وفي وقت مبكر جداً، فإذا ساحة نفس هؤلاء ليس فيها إلا الجنس، وبين الطفل وبين زواجه سنوات وسنوات، ماذا يفعل بهذه السنوات؟ أنا قلت لكم في بداية هذه الحلقة: لم يعد هناك حروب عسكرية بل حروب اقتصادية وثقافية، فإذا الوحوش طلقاء فماذا عن الزائرين؟ أن يدخلوا في سيارات مصفحة، فما لم يتابع الأب ابنه في الخامسة، ما لم يضبط هذه المحطات، ما لم يبرمجها، أنا كنت في أميركا لفت نظري أن هذه المحطات لا يمكن أن يراها الطفل لوجود رقم سري لكل محطة، فما لم يأخذ الرقم من أبيه لن يستطيع أن يرى المحطة، فلذلك إذا كان الأب هو من يراها فهذه مشكلة، لأن الأب هو القدوة، فهذه المحطات الفضائية مشكلة كبيرة جداً، بل هي مشكلة المشاكل، فهي اقتحمت بيوتنا وجعلتها نواد ليلية، فهي قضية خطيرة، اتسع الخرق على الراقع، خرق كبير، ورقعة صغيرة، أينما وضعتها تفلت الطرف الآخر.

المذيع :

وكما قال العلماء عن هذه الأجهزة وغيرها: سلاح ذو حدين، والخطأ يأتي من الإنسان بنفسه.

الدكتور راتب :

إذاً لابد من تحصين الصغار في وقت مبكر.

المذيع :

والنقطة الثانية أستاذ إذا سمحت أكثر الآباء ينتبهون لتفلت أبنائهم في سن متأخرة وبعد فوات الآوان، الشاب لا يربى، الطفل الصغير يربى.

عذراً نستقبل المكالمة ثم نتابع الحديث.

مستمعة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جزاكم الله خيراً على هذا البرنامج، ولن أطيل عليكم، عندي سؤال لا أدري إن كان من مضمون الحلقة أم لا ولكن أتمنى أن تجيبوني عليه، زوجي يطالب بالإنجاب، وعندي طفلان بنت وولد، وضعنا المالي متوسط، لا أقول معاملته سيئة، لكن عندما ولدت صدفت أن توفي والدي قبل الولادة بأسبوع، ونقلت من بيتي قبل الولادة بيوم، ولم أجد عوناً منه، أو حتى من أهله، فوجدت أن هذه هي أصعب الظروف وأقواها وأكثرها إيلاماً وأنا في غربة، ولم أجد إعانة، فبقيت أنقل بيتي، وأرتب أثاثه وحدي، وهو وأهله ينظرون إليّ بدون أدنى تفاعل، فماذا تقول في هذا يا سيدي؟ فهل هذا الزوج يستحق أن أنجب له أطفالاً؟ ومن يحمل عني أو معي إذا حصل لي مكروه؟ وشكراً.

المذيع :

بارك الله فيكِ، فضيلة الأستاذ محمد راتب النابلسي بالنسبة لسؤال الأخ الثاني الذي سأل، يقول: أنا على أعتاب هذه الثمرات، كيف أقيها أيضاً؟ إذا كان الأخ الأول يقول: كيف أقي ولدي من هذه المحطات؟ وقد قلنا إن هذه الأجهزة سلاح ذو حدين، باستطاعتك أن تفتح على البرنامج الهادف الذي يعود على أسرتك بالنفع، وباستطاعتك أن تغلق هذا الشيء إغلاقاً، كما باستطاعتك أن تنبه أولادك إلى الخطر.

التربية المثلى هي الإقناع لا التلقين :

الدكتور راتب :

أنا سمعت ولا أدري مبلغ هذا من الصحة أن هناك برامج تقنن هذه المحطات، تقنن محطة تلغيها، وبرامج تقنن وقت إرسالها، فإذا استعنا بهذا البرنامج فهو حل جزئي، أما حينما أنا أهتم بابني في وقت مبكر، وآخذه معي إلى المسجد، وأعلمه القرآن، وأغذيه تغذية راقية، ذكرت قبل قليل أن الطفل كوعاء الماء، له فتحة علوية وصنبور سفلي، فإذا غذيته بالقيم والخلق وكنت أنا المثلَ الأعلى له، وكان هذا في وقت مبكر جداً، أي في سن الخامسة و الرابعة، ورد في الأثر: أن لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم اترك حبله على غاربه، فإذا أحسنت تأديبه في السبع السنوات الأولى ثم تربيته ثم مصاحبته ومراقبته قطفت ثماره يانعة.

الآن هذه مشكلة عامة، فالوحوش طليقة، علينا أن نحصن أنفسنا وأولادنا بالعلم والمراقبة والبدائل كالكمبيوتر حيث يوجد فيه برامج رائعة جداً، وألعاب مسلية، أو ألعاب إسلامية، فأنا مؤمن بالبديل، فإذا منعت ابنك عن هذه المحطات الفضائية...

المذيع :

يمكن أن نقول: كل ممنوع مرغوب، ومن ثم علينا بالتحذيرات.

الدكتور راتب :

لابد من إقناعه، علموا ولا تعنفوا، التربية المثلى هي الإقناع لا التلقين، عليّ أن أقنعه، ألم يقل النبي الكريم:

((أَدِّبُوا أَوْلادَكُم عَلَى ثَلاثِ خصال: عَلَى حُبِ نَبِيِّكُمُ، وَحُبِ آلِ بَيْتِهِ، وَتِلاوَةَ الْقُرْآنَ))

[أخرجه الطبراني عن علي]

ما معنى حبّ آل بيته وحب النبي؟ أن أقرئه سيرة النبي، أما حينما أدعه – وأنا مشغول – لهذه المحطات يعظم من؟ يعظم هؤلاء الذين يسقطون في الوحول، يراهم كبراء، أشخاص عظماء، يقتدي بهم، وهذه مشكلة المشاكل، فالطفل يحتاج إلى وقت.

المذيع :

بالنسبة للأخت السائلة رأت السلبية بأم عينها، ترى الزوج سلبياً جداً معها، وأهله كذلك، وهي تقول: زوجي يريد أولاداً وهي لا تملك من أمرها شيئاً، فماذا نقول لهذا الزوج ولغيره؟

الصبر مفتاح الفرج :

الدكتور راتب :

والله أنا أقول لها: اصبري لعلك إن أنجبت منه أولاداً، وهؤلاء الأولاد ثمرة هذا اللقاء، وحينما ينجب الزوج والزوجة أولاداً ينبغي أن يضعوا حظوظهم تحت أقدمهم رعايةً لهؤلاء الأولاد، لعل الله يصلح هذا الزوج، كم من زوج كان سيئاً منحرفاً فظاً غليظاً بخيلاً تبدل تبدلاً جذرياً إذا عرف الله، فلو أن الزوجة حرصت على حض زوجها على الصلاة، وعلى ذكر الله، وتلاوة القرآن، وحضور مجالس العلم، فإذا تفتح قلبه للدين أصبح ملاكاً، وأنا مؤمن أن الإنسان حينما يصطلح مع الله تتبدل شخصيته مئة بالمئة، ويبدل الله سيئاته حسنات، والصبر مطلوب، امرأة فرعون زوجها أكبر كفار الأرض قالت:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة التحريم: 11]

فهل وصل زوج الأخت المستمعة إلى مرتبة فرعون؟ لا، لكنه سيئ نوعاً ما، فلذلك لابد من الصبر، الله عز وجل قال:

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾

[سورة الأنبياء: 90]

ويقاس على ذلك وأصلحنا لها زوجها، ربما صلح الزوج لأن هناك أولاداً، فالولد هو الوحي

الدرس (4-7) : وسائل تماسك الأسرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، بادئ ذي بدء أشكر للقائمة على جائزة القرآن الكريم الدولية هذه الدعوة الكريمة التي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي ، وأسأل الله أن أكون عند حسن ظنكم ، وإن رأيتن في محاضرتي ما كنتن تتوقعن منها فالحمد لله والفضل لله ، وإن لم يكن كذلك فحسبكن الله ونعم والوكيل ، والصابر يؤجر .

الإنسان كائن متحرك :

بادئ ذي بدء الإنسان في هذه الدنيا لا تصح حركته إلا إذا عرف سر وجوده ، هذه الحقيقة الأولى ، الإنسان كائن متحرك ، لماذا هو كائن متحرك ؟ لأن الله أودع فيه حاجات ثلاثة كبرى .



أودع فيه حاجة إلى الطعام والشراب ، إذاً يتحرك ليكسب المال ، وليأكل ، وأودع فيه حاجة إلى الطرف الآخر ليتزوج ، وأودع فيه حاجة لتأكيد الذات حفاظاً على الذكر ، فالطعام والشراب حفاظ على الفرد ، والزواج حفاظ على النوع ، وتأكيد الذات حفاظ على الذكر ، إذاً هو كائن متحرك ولأنه متحرك يصدق أو يكذب ، يحسن أو يسيء ، ويا أيتها الأخوات الفاضلات الكريمات ، البشر على اختلاف مللهم ، ونحلهم ، وانتماءاتهم ، وأعراقهم ، وأنسابهم ، وطوائفهم ، ومذاهبهم ، وتياراتهم ، وألوانهم ، وشرائحهم ، وأطيافهم ، لا يزيدون عند الله على نموذجين ؛ النموذج الأول إنسان عرف الله فانضبط بمنهجه ، وأحسن إلى خلقه ، فسلم وسعد في الدنيا والآخرة ، وإنسان غفل عن الله ، وتفلت من منهجه ، وأساء إلى خلقه ، فشقي وهلك في الدنيا والآخرة ، ولن نجد نموذجاً ثالثاً:

﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى (5)وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6)﴾

(سورة الليل)

الرد الإلهي :

﴿ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ﴾

(سورة الليل الآية : 7)

زواجه موفق ، حياته موفقة ، نفسيته مريحة ، راضٍ عن الله ، يشعر بالأمن ، يشعر بالتفاؤل ، يشعر أنه في جنة ، في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة . والدليل ، قال تعالى :

﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾

(سورة الرحمن)

المرأة في الإسلام مكرمة أعظم تكريم :

أيتها الأخوات الفاضلات ، المرأة في الإسلام مكرمة أعظم تكريم ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((أكرموا النساء ، فو الله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم))

[ورد في الأثر]

وفي زيادة بالحديث : وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً.

ما هو أعلى شيء في الإسلام ؟ الجهاد في الإسلام ذروة سنام الإسلام ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

((اعلمي أيتها المرأة ، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

لذلك علة وجودنا على وجه الأرض أن نعبد الله ، الدليل :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(سورة الذاريات)

العبادة في أدق تعاريفها : طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية . هذا كلام دقيق ، علة وجودنا أن نعبد الله ، لذلك مرة أخت كريمة اتصلت بي في دمشق تشكو لي مشكلة تعاني منها مع زوجها ، قلت هذه الكلمة وهي والله تمشي في دمي : المرأة المؤمنة الطاهرة إذا عرفت ربها هي أكبر من أكبر مشكلة ، أما إذا ما عرفت ربها هي أصغر من أصغر مشكلة ، لذلك مثلاً أيعقل أن يخطب النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فتعتذر ؟ لماذا رشحت ؟ لأن تكون السيدة الأولى في المجتمع ، فاعتذرت ، فلما سألها قالت : يا رسول الله لي خمسة أولاد ، أخاف إن قمت بحقك أن أقصر بحقهم ، وأخاف

إن قمت بحقهم أن أقصر بحقك . فأكبرها النبي صلى الله عليه وسلم أيما إكبار ، هكذا ربا النبي الصحابيات:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت : من هذه يا جبريل ؟ قال : هي امرأة مات زوجها ، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلها))

[الأدب المفرد للبخاري]

ربت أولادها .

أعظم مهمة أنيطت بالمرأة تربية الأولاد :

أعظم مهمة أنيطت بالمرأة تربية الأولاد ، شهاداتها أولادها ، إذا دفعت إلى المجتمع أولاد صالحين صادقين أمناء أعفة يخدمون أمتهم فكل أعمالهم في صحيفتها والدليل :

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

(سورة الطور الآية : 21)



كل أعمال ذريتهم إلى يوم القيامة في صحيفة الأم التي ربت ولدها ، لذلك من جاءته بنت فأحسن تربيتها فأنا كفيله في الجنة ، يعني أي بيت فيه بنت ربيت تربية عالية فالأم والأب إلى الجنة ، لذلك أنا أقول هناك عبادة عامة :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(سورة الذاريات)

العبادة ، فعلة وجودنا العبادة ، العبادة بأوسع معانيها ، قد يتوهم المسلمون أن العبادة كما قلت قبل قليل : طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية .

يوجد في هذا التعريف جانب معرفي ، أي طلب العلم فريضة على كل مسلم ، معنى مسلم هنا يعني على كل شخص مسلم ، عند علماء الأصول المسلم هنا على كل شخص مسلم ذكراً كان أم أنثى ، لذلك المرأة المؤمنة الصادقة حينما تطلب العلم تطلبه أداءً لفريضة فرضها الله عليها ، والآن العلم مبذول والحمد لله ، لذلك المرأة إذا علمنا فتاةً ماذا فعلنا ؟ علمنا أسرة ، أما إذا علمنا شاباً علمنا واحداً .

عبادة الهوية :

أيتها الأخوات الفضليات ، العبادة إذاً : طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبية ، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية . هناك ما يسمى بعبادة الهوية ، أنت من ؟ أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، غير الصلوات الخمس والصيام والحج والزكاة هذه عبادة شعائرية على جميع المسلمين من دون استثناء ، أما العبادة التعاملية هناك عبادة الهوية أنت من ؟ أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت قوي ، صاحب منصب رفيع ، العبادة الأولى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، القوي بجرة قلم يحق حقاً ويبطل باطلاً ، ويقر معروفاً ويزل منكراً ، ويقرب مخلصاً ناصحاً ويبعد فاجراً منافقاً .

أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت قوي العبادة الأولى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، سيدنا عمر جاءه ملك الغساسنة جبلة بن الأيهم مسلماً ، وفي أثناء طواف جبلة حول الكعبة داس بدوي من فزارة طرف ردائه ، فالتفت جبلة نحو البدوي وضربه ضربة هشمت أنفه ، هذا بدوي من عامة الناس بالتعبير المعاصر من سوقتهم ، من دهمائهم ، فما كان من هذا البدوي إلا أن شكا جبلة إلى عمر ، فاستدعى عمر جبلة إلى مجلسه ، ودار بينهما حوار ، صاغه أحد الأدباء المعاصرين في الشام شعراً ؛ قال عمر لجبلة : أصحيح ما ادعى هذا الفزاري الجريح ؟ قال جبلة : لست ممن ينكر شياً ، أنا أدبت الفتى ، أدركت حقي بيدي . فقال عمر : أرضِ الفتى ، لا بد من إرضائه ، مازال ظفرك عالقاً بدمائه أو يهشمن الآن أنفك ، و تنال ما فعلته كفك . قال : كيف ذلك يا أمير ؟ هو سوقة ، وأنا عرش وتاج ؟ كيف ترضى أن يخر النجم أرضاً ؟ فقال عمر : نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها ، أقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً . فقال جبلة : كان وهماً ما جرى في خلدي أنني عندك أقوى وأعز ، أنا مرتد إذا أكرهتني .فقال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز ، عالم نبنيه كل صدع فيه يداوى ، وأعز الناس بالعبد بالصعلوك تساوى .

أنت قوي العبادة الأولى إحقاق الحق ، هذه تمهيد ، لكن أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت عالم عبادتك الأولى تعليم العلم :

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ (39)﴾

(سورة الأحزاب)

عبادة المرأة الأولى رعاية الزوج والأولاد :

الآن محط الشاهد أنت امرأة عبادتك الأولى رعاية الزوج والأولاد :

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[فيض القدير شرح الجامع الصغير]

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله . يعدل الجهاد في سبيل الله .))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]


نظام الإسلام أساسه الأسرة والزوجة هي المربية الأولى

نظام الإسلام أساسه الأسرة ، والمربية الأولى في الأسرة هي الزوجة ، هذه التي سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه التي رآها عمر وهو يركب دابته فنزل عن دابته وتأدب أمامها ، فلما سأله بعضهم : ما هذا ؟ قال :

لقد سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات أفلا أصغي إليها ، قالت : يا رسول الله ! إن زوجي تزوجني وأنا شابة ، ذات أهل ، ومال ، وجمال ، فلما كبرت سني ، ونثر بطني ، وتفرق أهلي ، وذهب مالي ، قال : أنتِ عليّ كظهر أمي ولي منه أولاد ، الآن دققوا : إن تركتهم إليه ضاعوا أنا أربيهم ، وإن ضممتهم إلي جاعوا ، هو يعمل ويكسب رزقاً ليطعمهم ، فبكى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أنزل الله عليه :

﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾

(سورة المجادلة)

إذاً المرأة عبادتها الأولى تربية الأولاد ، هذه شهادة كبرى ، وكل ولد شهادة ، وكل ولد دكتوراه ، فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا ، فإذا بامرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي ، قلت : من هذه يا جبريل ؟ قال : هي امرأة مات زوجها ، وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلها))

[الأدب المفرد للبخاري]

المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف والتشريف والمسؤولية :

إذاً العبادة الأولى رعاية الزوجة والأولاد ، المرأة مساوية للرجل تماماً في التكليف ، وفي التشريف ، وفي المسؤولية ، لذلك قال تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً(35)﴾

(سورة الأحزاب)

وقال :

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾

(سورة آل عمران الآية : 195)

المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل :

أيتها الأخوات الكريمات ، الله عز وجل يقول :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (22)﴾

(سورة الروم)

السماوات والأرض من آياته الدالة على عظمته ، والكون كله سماوات وأرض ، السماوات والأرض مصطلح قرآني نعني به الكون :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (22)﴾

(سورة الروم)

وقال :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (37)﴾

(سورة فصلت)

الآن دقق ، ومن آياته الدالة على عظمته كما أن الكون من آياته ، وكما أن الشمس والقمر من آياته ، وكما أن الليل والنهار من آياته :

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (21)﴾

(سورة الروم)

المودة والرحمة بين الزوجين من خلق الله عز وجل ، وأنا أدعو أخواتي الفضليات أن أي بيت فيه بعض التشويش ، فيه بعض المشاحنة ، بعض الإعراض ، هذه حالة مرضية ينبغي أن تعالج :

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر]

المودة تعبير مادي عن الحب :

أنا حينما أكون مستقيمة على أمر الله ، وحينما يكون الزوج مستقيماً على أمر الله فالود مستمر ومتنامي ، يعني هناك من يتوهم أن هذا الود بين الزوجين لفترة بسيطة ، أنا أذكر في حالة غير صحيحة أن في الخطبة مكالمة بين خطيبين دامت ثلاث عشرة ساعة ، بعد سنتين ما فيه ينطق بكلمة في البيت ، سكت ، ما الذي حدث ؟ هذه حالة مرضية ، النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]

من علامات إيمان المؤمن والمؤمنة أنه يحب زوجته ، وزوجته تحبه :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

ما المودة وما الرحمة ؟ الحقيقة في القرآن الكريم ما في ترادفات ، الاختلاف في المبنى دليل اختلاف في المعنى ، العلماء قالوا : المودة تعبير مادي عن الحب حينما تكون الزوجة ملأ سمع زوجها وبصره ومحققة لطموحه ، وحينما يكون الزوج ملأ سمع زوجته وبصرها ومحققاً لطموحها ينشأ بينهما الحب يعبر عنه بالابتسامة ، كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً ، كان يقول :

((أكرموا النساء ، فو الله ما أكرمهن إلا كريم))

[ورد في الأثر]

كانت إذا دخلت عليه فاطمة وقف لها ، حينما جاءته فاطمة ضمها وشمها وقال : ريحانة أشمها وعلى الله رزقها ، النبي صلى الله عليه وسلم علمنا دروس لا تنتهي ، فلذلك المودة هو التعبير المادي ؛ الابتسامة ، الهدية ، الاعتذار ، لكن لا سمح الله ولا قدر ، لا سمح الله ولا قدر ، لا سمح الله ولا قدر ، المرأة أصيبت بمرض والمرض موجود ، ما الذي يحل محل المودة ؟ الرحمة :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

هذا من خلق الله فأنا أسمع في دمشق بمئات عقود القران ، الذي أجرى العقد يقول : على كتاب الله وسنة رسوله ، يا ترى الزوجان هل عرفا كتاب الله وسنة رسوله ؟ في ماليزيا تجربة رائعة جداً حينما ارتفعت نسب الطلاق ، المسؤولون في ماليزيا أنشؤوا مدرسة ، لا يعقد عقد قران بين خطيبين إلا إذا نجحا في هذه المدرسة، ستة أشهر يتعلمن النساء في المدرسة حقوق الزوج ، واجبات الزوجة ، مسؤولية الزوجة ، الآداب ، تربية الأولاد ، ويتعلم هو حقوق الزوجة ، واجبات الزوج ، مسؤولية الزوج ، العلم أساس .

البيت يجب أن يبنى على العلم:

إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، لذلك البيت يجب أن يبنى على العلم ، المرأة حينما تعرف واجباتها ، والزوج حينما يعرف واجباته ، هذا الركب سار في بر الأمان ، حقق الهدف ، فلذلك ما في مشكلة إلا سببها الجهل ، والدليل أن الإنسان مفطور على حب وجوده ، وعلى حب كمال وجوده ، وعلى حب سلامة وجوده ، وعلى حب استمرار وجوده ، من أين يأتي الشقاء ؟ من الجهل ، فلذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، لكن العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً .



أيتها الأخوات الفاضلات ، أحد أكبر أسباب الشقاق الزوجي ، أنا لا أتكلم من فراغ ، أنا أتكلم من واقع مر يعيشه المسلمون ، في خصومات ، في شحناء ، في بغضاء ، حتى في آية من أروع الآيات قبل أن أتلوها على مسامعكم هذه الآية تنطبق على الزوجين ، وعلى الشريكين ، وعلى الصديقين ، وعلى الأخوين ، وعلى الجارين ، وعلى الزميلين ، وعلى الأسرتين ، وعلى العائلتين ، وعلى القبيلتين ، وعلى العشيرتين ، وعلى الشعبين ، وعلى الأمتين ، وعلى الحضارتين ، في غير ذلك ، الآية :

﴿ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة المائدة الآية : 14)

لذلك :

((مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً (21)﴾

(سورة الروم)

البطولة أن تعبد المرأة ربها فيما أقامها :

الزوجة حينما تتقدم إلى زوجها إلى نصف الطريق ، وهو إذا تقدم إليها إلى نصف الطريق ، كانا مأجورين معاً على انهما توافقا ، ومن الذي يقطف هذه الثمار ؟ الأولاد فلذلك قال تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (228)﴾

(سورة البقرة)

أرأيتم آية أوضح من هذه الآية ،

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾



هي درجة القيادة ، كيف عندنا طيار ومعاونه ، في ربان سفينة ومعاونه ، الطيار ومعاونه بينهما مسافة قليلة جداً ، لكن بالأزمات القرار لواحد ، هذه درجة القيادة ، لذلك أيتها الأخوات المرأة حينما تتعرف إلى ربها ، وتتعرف إلى واجباتها ، تعبد ربها فيما أقامها ، البطولة أن تعبد المرأة ربها فيما أقامها ، أقامها زوجة ، هناك إنسانة تقصر في حق أولادها ، فلذلك تدفع الثمن باهظاً ، الآن أنا أقول لكم كلمة من القلب : لم يبقَ في أيدي المسلمين حقيقة من ورقة رابحة إلا أولادنا ، وأنا أقول : إذا بلغت أعلى منصب في العالم ، وجمعت أكبر ثروة في الأرض ، وتحمل أعلى شهادة في العالم ، ولم يكن الابن كما تتمنى فأنت أشقى الناس ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً(74)﴾

(سورة الفرقان)

أنا أتمنى صلاح البيوت ، القاضي شريح ، هذا قاضي لقيه صديقة الفضيل ، فقال له : يا شريح كيف حالك في بيتك ؟ قال : والله منذ عشرين عاماً لم أجد من يعكر صفائي .

والله أيتها الأخوات أنا أحد أصدقائي توفيت والدته عمرها ثمانون عاماً ، والده تسعون عاماً ، حضرت التعزية، بكى الأب بكاء غير طبيعي ، هل ماتت بالسابعة عشر ؟ بالثمانين ماتت ، فلما انتهت التعزية حاولت أن أخفف عنه ، قال لي : والله يا بني عشت معها خمساً وخمسين سنة ما نمت يوماً وأنا غاضب منها ، هكذا كانت بيوتات المسلمين مودة ومحبة ورحمة ، فالآية التي تنطبق على كل الحالات :

﴿ فَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾

(سورة المائدة الآية : 14)

قصة القاضي شريح مع زوجته :

لذلك قال : والله منذ عشرين عاماً لم أجد من يعكر صفائي . قال : وكيف ذلك يا شريح ؟ قال : خطبت امرأة من أسرة صالحة ، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً ، يقصد صلاحاً في دينها ، وكمالاً في خَلقها ، ما في أروع من امرأة فقيهة ، ما في أروع من امرأة تعرف ربها ، وتعرف واجبها تجاه ربها ، وواجبها تجاه زوجها وأولادها ، في مرة زوج نصح زوجته ، قال لها : إن في خلقي سوءً ، قالت له : إن أسوأ خلقاً منك من حاجك لسوء الخلق .

قال : والله منذ عشرين عاماً لم أجد من يعكر صفائي . قال : وكيف ذلك يا شريح ؟ قال : خطبت امرأة من أسرة صالحة ، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً ، فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة ، فلما سلّمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، وتشكر شكري ، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب دنوت منها ، فقالت لي : على رسلك يا أبا أمية انتظر ، فقامت فخطبت ، قالت : أما بعد ، يا أبا أمية إني امرأة غريبة لا أعرف ما تحب ولا ما تكره ، فقل ما تحب حتى آتيه ، وما تكره حتى أجتنبه ، ويا أبا أمية لقد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك ، وكان لي من رجال قومي من هو كفء لي ، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فاتقِ الله فيّ وامتثل قوله تعالى :

﴿ فإمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

(سورة البقرة الآية : 229)

ألقت أمامه خطبة وقعدت ، هو ليس ينوي أن يخطب ، قال : فألجأتني إلى أن أخطب ، وقفت ، وقال : أما بعد ، فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا ، ما وجدت من حسنة فانشريها ، وما وجدت من سيئة فاستريها .

صحة الأولاد النفسية أساس الوفاق بين الأبوين:

يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

((إني أكره المرأة تخرج من بيتها تشتكي على زوجها))

[ورد في الأثر]

المؤمنة ستيرة والفاسقة فضاحة ، المؤمنة تبقي أي خلاف بينها وبين زوجها فقط، أما غير المؤمنة فضاحة ، لذلك لما الله عز وجل أعطى حلولاً للناشزات :

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

(سورة النساء الآية : 34)


الوفاق بين الزوجين ينعكس إيجابا على صحة الأولاد النفسية

لماذا في المضاجع ؟ لو هجرها إلى غرفة ثانية الأمر كشف أمام الأولاد ، الهجر في غرفة النوم فقط ، من أجل أن يبقى هذا بين الزوجين فقط ، والخطأ أكبر خطأ أن يصل الخلاف إلى الأولاد ، لأن صحة الأولاد النفسية أساس الوفاق بين الأبوين ، قبل فترة لي أخ من أخواننا في المسجد ، قال لي : أنا أتناقش مع زوجتي ارتفع صوتي ، رفعت صوتها ، فبكى الصبي ما تحمل ، الابن الصغير سعادته بالوفاق بين الزوجين ، أنا أقول لأخواتنا الكرام الإنسان حينما يكون عنده أولاده يضع حظوظه من الزواج تحت قدمه من أجل أولاده ، فلذلك المرأة التي تعتني بأولادها لها عند الله مكانة كبيرة ، إن الملائكة في السماء والحيتان في البحار تصلي على معلم الناس الخير ، والابن أغلى شيء في حياة أمه وأبيه ، أنا أقول دائماً : الآخرون أنت لهم وغيرك لهم ، أما أولادك من لهم غيرك ، أنا أتمنى كما عندنا جهاد والجهاد ذروة سنام الإسلام ، في عندنا دعوة إلى الله ، في عندنا إلقاء كلمات ، عقد مؤتمرات ، والمرأة يمكن أن تصل إلى أعلى درجة في الجنة من بيتها ، من رعاية زوجها،

كلما ازداد هذا الفقه في حياتنا كلما أصبحت الأسر متماسكة ، أسر سعيدة ، بيوت المسلمين ليست سعيدة وليست مستقرة بسبب التقصير في أداء العبادات ، الله عز وجل قال :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾

(سورة طه الآية : 132)

من علا صياحه في البيت جرحت عدالته :

بيت تقام فيه الصلوات ، هذه الصلاة تشيع في البيت المودة والمحبة والسكينة ، في عندنا بالفقه حكم لطيف جداً أنه : من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته ، في عندنا بحث اسمه العدالة والضبط ، الضبط صفة عقلية ، والعدالة صفة نفسية .



فالمؤمن يتمتع بالضبط والعدل ، فمن عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أخوته ، وحرمت غيبته ، الآن الفقهاء عددوا ثلاثة وثلاثين حالة لا تسقط العدالة لكنها تجرحها ، أحياناً إبريق يكسر يحطم بمطرقة ، أحياناً يُشْعَر ، في عندنا حالة اسمها جرح العدالة ، من علا صياحه في البيت جرحت عدالته ، وفي موضوعات ثانية قد لا يعني الأخوات الكريمات ولكن نذكرهم ، من أطلق لفرسه العنان جرحت عدالته ، السرعة بالسيارة الزائدة تجرح العدالة ، من تنزه في الطرقات . في طرقات فيها تفلت . جرحت عدالته ، إذا أكل لقمة من حرام جرحت عدالته ، إذا طفف بتمرة بالميزان جرحت عدالته ، إذا قاد برذوناً أي حيواناً مخيفاً ليخيف الصغار ، من أكل في الطريق جرحت عدالته ، من مشى حافياً ، إلى آخره ، في عندنا ثلاثة وثلاثين حالة تجرح العدالة ، لكن أنا ذكرت الحالات من أجل حالة واحدة ، من علا صياحه في البيت جرحت عدالته .

أما بعد ، فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا ، أعطاها قائمتين ، ما وجدت من حسنة فانشريها ، وما وجدت من سيئة فاستريها ، المرأة المؤمنة ستيرة ليست فضاحة . قالت: كيف نزور أهلي وأهلك ؟ في جلسة مفاوضات أول الزواج ، قال : نزورهم غباً مع انقطاع بين الحين والحين لئلا يملونا . وفي الحديث الشريف :

((زر غِبّاً تزدد حبّاً))

[الطبراني عن عبد الله بن عمرو]

قالت : فمن من الجيران تحبّ أن أسمح لهنَّ بدخولِ بيتك ومن تكره ؟ قال : بنو فلان قومٌ صالحون ، وبنو فلان قومٌ غير ذلك ، ما قال لها سيئون ، قال غير ذلك ، قال : ومضى عليَّ عامٌ جئت إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا ، فلمَّا دخلت رحَّبتُ بها أجمل ترحيب قالت لي أمها : يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قلت : والله هي خير زوجة ، قالت : يا أبا أميَّة ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدلَّلة فوق الحدود ، فأدِّب ما شئت أن تؤدِّب ، وهذِّب ما شئت أن تهذِّب ، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة . ومضى علي عشرون عاماً لم أجد ما يعكر صفائي إلا ليلة واحدة كنت فيها أنا الظالم .

نبي هذه الأمة وأكبر داعية في العالم كان زوجاً ناجحاً :

والله يا أخواتي الكريمات ، أحياناً يقول الشخص : لها عندي عشرون سنة ما نمت يوماً مرتاحاً ، هنا بالعكس عشرين سنة ما انزعج منها يوم ، إذا البيت فيه ود ومحبة ، دائماً كلامي دقيق أقوله الحب يصنع بأيدينا ، في مقولة شيطانية أنه بعد سنتين أو ثلاثة حياة روتينية مملة ، هذا كلام الشياطين ، لأن الشيطان له مهمة واحدة أن يفرق بين الزوجين ، أن يكره الزوج بزوجته وأن يكره الزوجة بزوجها ، فالمؤمنة الصادقة تقدم دلائل محبتها لزوجها وتعبر عن ذلك ، في شخص لا ينطق بكلمة في البيت ولا بكلمة لطيفة ، هذا خطأ كبير .

في موضوع اسمه أسباب الشقاق الزوجي ، أحياناً الحديث في البيت يُحدث مودة يستمع الإنسان لزوجته يعمل مودة ، السيدة عائشة سألت سيد الخلق وحبيب الحق ، سألته : كيف حبك لي ؟ قال لها : كعقدة الحبل ، عقدة لا تفك ، تسأله من حين لآخر كيف العقدة ؟ فيقول على حالها . مع أنه كان نبي هذه الأمة وأكبر داعية في العالم كان زوجاً ناجحاً .

مرة وكان يستمع إلى زوجته ، حدثته عن أبي زرع وأم زرع ، وكانا زوجين مثاليين ، لكنها تأسفت أشد الأسف حينما أعلمته في النهاية أنه طلقها ، فكان عليه الصلاة والسلام رفيقاً بها ، فقال لها : أنا لك كأبي زرع لأم زرع ، غير أني لا أطلقك .

أنا الذي أتمناه على كل أخت كريمة أن تراجع حساباتها مع ربها ، يجب أن تكون المودة بينها وبين زوجها في أعلى مستوى ، تصنع هي ذلك بنفسها ويصنع هو ذلك بنفسه ، بالتفاهم والود والمحبة يعيش الإنسان حياة هانئة ، والعمر قصير ، تجدهم يحاربوا بعضهم شهر شهرين ثلاثة ، هذه ليست حياة ، فلذلك هذه زوجة شريح قالت له : إن أسوأ خلقاً منك من حاجك لسوء الخلق . إنسانة فقيهة .

أيتها الأخوات الكريمات ، أنا أجد العبادة الأولى للمرأة الأولى ، تقول لك : أنا لا أحبس في البيت ، هذا الطيار الذي عنده ستمئة راكب جالس في غرفة صغيرة ، في كبينة القيادة ، محبوس بالكبينة ، أما سلامة الستمئة راكب بيده ، فلما المرأة تشاهد أن بيتها جنة وبيتها مكان تربية أولادها ، لا تقول : أنا حبست في البيت ، بالعكس هي طليقة ، لكن أعلى شهادة تملكها المرأة تربية أولادها ، أسأل الله التوفيق والنجاح لي ولكن .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-7) : منهاج الأسرة الناجحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

أيها السيدات السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وأسعد الله مساءكم بكل خير ، يسرنا اليوم في دورتنا التربوية الثانية أن نستضيف عالماً كبيراً من علماء مدينة دمشق ، ومدرساً عريقاً فيها ، ومحاضراً من الطراز الأول ، ألفته أذن المستمع من خلال دروسه ومحاضراته القيّمة على مختلف نواحي المجتمع تدريساً ومحاضرة ، تحدث عن المعاني السمية فأبدع ، الإخلاص ، الصدق ، الإيمان ، الأمانة ، الاستقامة ، فكانت سلسلة مدارج السالكين ، كما تكلم عن أسماء الله الحسنى ، وعن الشمائل النبوية ، وله الكثير من الكتب المؤلفة الجميلة والرائعة ، إضافة إلى مكتبة قيّمة جداً من السمعيات والمرئيات ، كلنا نعرفه وهو في غنى عن التكريم ؛ إنه فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، في محاضرته اليوم التي يلقيها عن البناء الداخلي للأسرة تتمة في حلّ المشكلات الزوجية ، جميعنا بقلب واحد نرحب بالدكتور محمد راتب النابلسي فليتفضل مشكوراً .

النجاح لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شاملاً :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغرّ الميامين ، أمناء دعوته وقادة ألويته ، و ارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين .

أيها الأخوة الكرام ، بادئ ذي بدء أشكر القائمين على هذه الجمعية على هذه الدعوة الكريمة التي إن دلت على شيء فعلى حسن الظن بي ، وأرجو الله أن أكون عند حسن ظنكم فإن وجدتم في محاضرتي ما كنتم تتوقعون فالحمد لله رب العالمين وإلا فحسبكم الله ونعم الوكيل .

أيها الأخوة الكرام ، بادئ ذي بدء أنا لا اصدق ولا أقبل أن يكون نجاح في حياة الإنسان جزئي ، فقد ينجح الإنسان في كسب مال كبير ولا ينجح في أسرته ، لذلك أعتقد جازماً أن النجاح لا يسمى نجاحاً إلا إذا كان شاملاً .

المحطات الكبرى في النجاح :

1 . علاقة الإنسان بربه :

ما المحطات الكبرى في النجاح ؟ في حياة الإنسان آلاف المحطات لكن هناك أربع محطات كبرى أي خلل في إحداها ينعكس على المحطات الثلاث ، في تصوري المحطة الأولى علاقتك بالله :

((ابن آدم اطلبني تجدني ، فإذا وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فاتك كل شيء وأنا أحب إليك من كل شيء))

[من مختصر تفسير ابن كثير]

المحطة الأولى أن تعرفه ، وأصل الدين معرفته ، ونحن إذا عرفنا الآمر ثم عرفنا الأمر تفانينا في طاعة الآمر ، أما إذا عرفنا الأمر ولم نعرف الآمر تفننا في التفلت من الأمر وهذا واقع العالم الإسلامي الأمر بالمعروف لكن هناك ضعفاً في معرفة الآمر ، لذلك هناك بحث عن فتاوى شاذة ، عن فتاوى ضعيفة ، عن بلوى عامة ، القصد أن يتفلت الإنسان من تطبيق منهج الله .

من لم يستقم على أمر الله لا يقطف من ثمار الدين شيئاً :

أريد أن أقول كلمة أخوتنا التجار نشاطات التجارة كثيرة جداً ، لا تعد ولا تحصى من شراء مكتب ، إلى شراء مستودعات ، تعيين موظفين ، سفر إلى الصين ، أخذ وكالات ، ترويج البضاعة ، دفع ثمنها ، توزيع الأرباح ، نشاطات لكن كل هذه النشاطات يمكن أن أضغط نشاطات التجارة كلها بكلمة واحدة ؟ إنها الربح فإن لم تربح فلست تاجراً ، أنا أقيس على هذه المقولة أن في الدين نشاطات لا تعد ولا تحصى تأليف كتب ، إلقاء محاضرات ، حضور مؤتمرات إلى آخره ، إحياء بعض الليالي المباركة ، تأليف كتاب ، وأنا أرى أيضاً أن كل هذه النشاطات يمكن أن تضغط بكلمة واحدة إن لم تستقم على أمر الله لم تقطف من ثمار الدين شيئاً، إن لم تستقم على أمر الله يغدو التدين عادات ، وتقاليد ، وخلفية إسلامية ، وأرضية إسلامية ، واهتمامات إسلامية ، وأقواس إسلامية ، الإسلام شيء آخر ، واقع المسلمين هان أمر الله عليهم فهانوا على الله ، سيدنا خالد طلب خمسين ألف جندي مدداً ليواجه عدوا من ثلاثمئة ألف ، معه ثلاثون ألفا ، طلب من سيدنا الصديق خمسين ألفا مدداً ، أرسل له رجلا واحدا ، اسمه القعقاع بن عمرو ، قال له : أين المدد يا قعقاع ؟ قال له : أنا المدد ، قال له : أنت ؟ قال له : أنا ، معه كتاب ، قرأ الكتاب ، يقول سيدنا أبو بكر : فو الذي بعث محمد بالحق ، إن جيشاً فيه القعقاع لا يهزم .

الواحد بمئة ألف والآن المليون بأف ، المليون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأنه هان أمر الله عليهم فهانوا على الله .

من عرف الله و منهجه و استقام على أمره سعد في الدنيا و الآخرة :



لذلك أيها الأخوة النجاح الشمولي يمر بأربع محطات ، المحطة الأولى أن تعرف الله من خلال الكون :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

(سورة آل عمران)

أن تعرف منهجه ، أنت بالكون تعرفه وبالشرع تعبده ، ثالثاً أن تحمل نفسك على طاعته ، رابعاً أن تتقرب إليه بالأعمال الصالحة ، فإذا نجحت مع الله : عبدي ، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد ، عبدي ، كن لي كما أريد ، ولا تعلمني بما يصلحك ، أنت تريد ، وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد ، ثم لا يكون إلا ما أريد .

فالمحطة الأولى أن نعرف الله وأن نعرف منهجه وأن نستقيم على أمره وأن نتقرب إليه حتى نسلم ونسعد في الدنيا والآخرة ، هذه محطة .

2 . علاقة الإنسان بأهله و أولاده :

المحطة الثانية علاقتك بأهلك وأولادك ، لأن هذا المجتمع الكبير أساسه أسر ، فإذا تماسكت الأسرة تماسك المجتمع ، إذا تفوقت الأسرة تفوق المجتمع ، إذا قويت الأسرة قوي المجتمع ، وكل شرائع السماء تدعم الأسرة وكل النظم الأرضية تدعو إلى تقويضها كما ترون ، لذلك المحطة الثانية موضوع هذه المحاضرة .



تماسك الاسرة مهم لتماسك المجتمع

3 . علاقة الإنسان بعمله :

المحطة الثالثة علاقتك بعملك ، حرفتك ، مهنتك ، مورد رزقك ، المال قوام الحياة حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي .

4 . علاقة الإنسان بصحته :

فإذا نجحت في عملك ، ونجحت في معرفة ربك ، ونجحت مع أهلك وأولادك ينبغي أن تنجح مع صحتك ، الصحة المحطة الرابعة ، لأن جسمك وعاء عملك ، ممكن أن تعيش العمر الذي أراده الله لك لكن بين أن تعيشه هكذا أو هكذا بالعناية بالصحة تعيشه واقفاً ، نشيطاً ، متحركاً ، وبإهمال الصحة تعيشه هكذا ، لذلك أربعة إن لم تتوافر بكل معاني هذه الكلمة لا يسمى النجاح نجاحاً ، لكن هذه المحاضرة مخصصة للمحطة الثانية علاقة الأهل والأولاد .



عنايتك بصحتك جزء من نجاحك

أكبر مهمة يقوم بها الشيطان التفريق بين الزوجين :



بادئ ذي بدء هل تصدقون أن يقول النبي عليه الصلاة والسلام يقول : الحمد لله ، على ماذا ؟ قال :

((الحمد لله الذي رزقني حبّ عائشة))

[ورد في الأثر]

فجعل النبي الكريم حبّ زوجته أكبر النعم التي أنعم الله عليه ، والحب بيدك ، هناك كلام يقوله الشياطين : بعد فترة تمل الزوجة ، أكثر الأعمال الفنية تزهد بالزوجة ، يعني دفء المرأة يكون بالحرام ، هذا من كيد الشيطان ، أنا أعتقد اعتقاداً جازماً أن الشيطان أكبر مهمة يقوم بها التفريق بين الزوجين ، أن يكره الزوج بزوجته ، أن يكره الزوجة بزوجها ، تجد الزوج أحياناً مع نساء أخريات في أعلى درجة من اللطف والنعومة والمرح لكن مع زوجته قاسٍ جداً هذا من عمل الشيطان ، مودتك لزوجتك ، ابتسامتك لزوجتك ، اعتذارك لزوجتك ، تقديرك لزوجتك ، الثناء على زوجتك .

((الحمد لله الذي رزقني حب عائشة))

[ورد في الأثر]

طاعة الله عز وجل أساس الزواج المتين و السعيد :

أيها الأخوة ، لكن المحطة الثانية العلاقة مع الأهل أساسها هذا الحديث :

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

إن أردت زواجاً متيناً متماسكاً مستمراً متنامياً أطع ربك ، ويا أيتها الزوجة أطيعي ربك .

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

أيها الأخوة ، أنا لا أصدق أن يكون الفرق بين المؤمن وغير المؤمن موضوع الصلاة ، الصلاة عبادة وفرض يجب أن تؤديها ، المؤمن يصوم ويصلي ويحج ويزكي ، أنا أرى أن الفرق هناك فرق صارخ في المنطلقات ، في التصورات ، في السلوك ، في المبادئ ، في المواقف .

الزواج الإسلامي ما خصائصه ؟ أول خصيصة فيه أن منهج الله مطبق فيه ، بلغني أن في ماليزيا وجدوا حالات طلاق مرتفعة فالمسؤولون هناك أنشؤوا مدرستين الأولى لتعلم طالب الزواج حقوق الزوجة وآداب الزواج ، ويعلموا أيضاً الشابة التي تخطب حقوق الزوج وآداب الزواج ، والدراسة تستمر ستة أشهر فإذا نجح الشاب في هذه الدورة ونجحت الشابة يسمح لهما بعقد الزواج ، عقد الزواج لا يتم إلا بعد الخضوع لدورة ستة أشهر من قبل الزوج والزوجة ، فانخفضت نسب الطلاق إلى أدنى مستوى .

أما مرة في درس من الدروس يحضر درسي القاضي الأول في دمشق ، فسألته علانية كم نسب الطلاق في سوريا ؟ قال كانت خمسة عشر بالألف من كل ألف زواج خمسة عشر زواج ينتهي بالطلاق ، أما الآن خمسة عشر بالمئة ، أما اليوم خمسون بالمئة ، كل مئة عقد في دمشق ينتهي منها خمسون عقداً إلى الطلاق لأنه كلما اتسعت الصحون على السطوح ضاقت صحون المائدة ، وكلما رخص لحم النساء غلى لحم الضأن ، وكلما قلّ ماء الحياء قلّ ماء السماء .

خمسون بالمئة نسب الطلاق ، والأغرب من ذلك هذه نسبة خطيرة جداً أن نسبة العنوسة في سوريا خمسون بالمئة ، خمسون بالمئة من النساء هذا البلد الطيب بلا زواج ، هذه مشكلة كبيرة جداً .

كل زواج لا يُطبق فيه منهج الله عز وجل ينتهي إلى الفصام :

لذلك ما لم يطبق منهج الله لأن الله عز وجل يقول :

﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾

(سورة فاطر)

ما لم يطبق منهج الله في العلاقة بين الزوجين هذا الزواج ينتهي إلى الفصام .

عندنا في الشام فندق من أرقى الفنادق فئة الخمس نجوم حقق أرابحاً فلكية من عقود الزواج ، فأراد أن يُكرم المتعاقدين في هذا الفندق فدعاهم إلى حفل تكريمي ، سأل الإدارة المالية عن عدد العقود التي جرت في الأشهر الستة الأخيرة فكانوا ستة عشر عقداً ، دعي هؤلاء إلى حفل تكريمي ، فالمفاجأة أن ثلاثة عشر عقداً من هذه العقود انتهت إلى الطلاق قبل مضي ستة أشهر .

من بنى زواجه على معصية الله تولى الشيطان التفريق بينهما :

الحقيقة الأولى إذا بني الزواج على معصية الله يتولى الشيطان التفريق بين الزوجين ، ولو توافرت لهذا الزواج كل أسباب النجاح ، وإذا بني الزواج على طاعة الله ولو افتقر إلى معظم مقومات نجاحه يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين .

مرة ثانية :

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

أيها الأخوة ، أنا والله ما حضرت عقد قران إلا سمعت الذي عقد العقد يقول على كتاب الله وسنة رسوله ، السؤال يا ترى هذا الزوج هل قرأ ما في كتاب الله من أحكام الزواج ؟ وهذه الزوجة هل قرأت ما في كتاب الله من حقوق الزوج ؟ لذلك أزمة علم أوضح مثل أزمة أهل النار في النار ما هي ؟ علم الدليل :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)﴾

(سورة الملك)

لذلك إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم ، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم ، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم ، والعلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك ، فإذا أعطيته بعضك لم يعطك شيئاً ، ويظلّ المرء عالماً ما طلب العلم ، فإذا ظنّ أنه قد علم فقد جهل .

أيها الأخوة ، طالب العلم يؤثر الآخرة على الدنيا فيربحهما معاً ، بينما الجاهل يؤثر الدنيا على الآخرة فيخسرهما معاًً .

معرفة ما في كتاب الله عز وجل أساس في كل علاقة زوجية :

يجب أن نعرف ما في كتاب الله ، والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في كتاب الله إلا آية واحدة لكفت :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (228)﴾

(سورة البقرة)

إن تكلمت كلمة واحدة عن أمك أقمت عليها الدنيا فلماذا تسخر من أمها أنت ؟ هذه آية واسعة جداً :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (228)﴾

(سورة البقرة)

هذه درجة القيادة كقائد الطائرة ومعاونه ، المعاون طيار ويحمل أعلى شهادة وبإمكانه أن يطير بالطائرة لكن في الأزمات القرار للطيار الأول :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (228)﴾

(سورة البقرة)

لو فهم الأزواج والزوجات أبعاد هذه الآية ما كان خلاف زوجي ، كما أن لك كرامة هي لها كرامة ، كما أنك تحب أهلك هي تحب أهلها ، كما أنك تعتز بأهلك تعتز بأهلها ، كما أنك تحب أن تراها في أعلى درجة من الأناقة أيضاً هي تحب أن تراك في أعلى درجة من الأناقة :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (228)﴾

(سورة البقرة)

أخطر شيء في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين :

شيء آخر :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء الآية : 19)

قال بعض المفسرين : " ليست المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها ، بل أن تحتمل الأذى منها" .

هذا هو الصبر لذلك أخطر شيء في الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين ، كل طرف يخشى الله أن يظلم الطرف الآخر ، وكل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، هذا الزواج وجد ليبقى ، الدليل قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (22)﴾

(سورة الروم)

السماوات والأرض مصطلح قرآني نعني به الكون ، والكون ما سوى الله :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (37)﴾

(سورة فصلت)

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا (21)﴾

(سورة الروم)

من أنفسكم تفكر كما تفكر ، تحب كما تحب ، تكره كما تكره ، تعتز كما تعتز ، تتألم كما تتألم ، تهان كما تهان أنت ، من أنفسكم ، في اللحظة التي تتصور أنك من طبقة أخرى فأنت عنصري .

الإنسان إنساني رباني أو عنصري :

أنا مرة عملت درساً في التلفزيون قلت : الزوج الذي يرى له ما ليس للزوجته فهو عنصري ، والزوجة التي ترى لها ما ليس لزوجها فهي عنصرية ، والأب الذي لا يرضى أن تعامل ابنته كما يعامل زوجة ابنه فهو عنصري ، كما أن هذه الفتاة الشابة زوجة ابنك أنثى لها أهل ، أنت لا ترضى أن تعامل ابنتك كما تعاملها أنت عنصري ، أنا أرى بالنهاية الإنسان إما أنه إنساني رباني أو عنصري ، لمجرد أن تتوهم أن لك ميزة ليست لها أو أن لك ميزة ليست لها أنت عنصري .

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (228)﴾

(سورة البقرة)

عدم إخراج المرأة من بيت زوجها أمر سَنّه الله تعالى :


عدم اخراج المرأة من بيتها

أيها الأخوة :

﴿ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ(1)﴾

(سورة الطلاق)

أمر إلهي ، دققوا في هذه المقولة أنت حينما تخرجها من بيتها أصغر مشكلة بينك وبينها تغدو أكبر مشكلة ، هناك تغذية خارجية ، لها عمة ، لها خالة ، لها أخت ، الكل لا تليقي به، لا يستحقك ، يعطوها تغذية سلبية ، فحينما تغادر المرأة بيت زوجها لمشكلة ما بينها وبين زوجها أقل مشكلة قد تنتهي بالطلاق ، وحينما تبقى في بيت زوجها ولا تغادر أكبر مشكلة تنتهي إلى الوفاق ، فالآية الكريمة :

﴿ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ (1)﴾

(سورة الطلاق)

هذه من معالم المنهج الإسلامي القرآن الكريم .

قوامة الرجل على المرأة تكون بالعلم و الإنفاق :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (34)﴾

(سورة النساء)

متى تستطيع أن تكون أيها الرجل قائداً حقيقياً ؟ إذا كنت عالماً :

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (34)﴾

(سورة النساء)

علماً وإنفاقاً :

﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ (34)﴾

(سورة النساء)

أنت حينما تتفوق تكون أقرب إلى الله ، أقرب إلى العلم ، أقرب إلى الحلم ، تقود المركبة ، أما إذا كنت على غير ما ينبغي أن تكون وهي أقوى منك ، أقوى منك بأخلاقها أو بعلمها القوام لا تملكه أنت هي لك بالنصوص لكن عملياً ليست لك .

كل إنسان عليه أن يعبد الله فيما أقامه :

أيها الأخوة ، هناك نقطة دقيقة النبي عليه الصلاة والسلام فيما ورد في الأثر :

((أكرموا النساء ، فو الله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً))

[ورد في الأثر]

اعلمي أيتها المرأة و أعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله .

الجهاد ذروة سنام الإسلام ، أعلى عبادة في الإسلام الجهاد ، أن تحسن المرأة رعاية زوجها وأولادها فهي في أعلى درجات العبادة لله عز وجل .



أقول دائماً ، هناك عبادة الهوية ، أنت من ؟ أنت غني عبادتك الأولى إنفاق المال ، أنت قوي العبادة الأولى إنصاف الفقير الضعيف ، فالعالم عبادته الأولى تعليم العلم ، أنت امرأة العبادة الأولى رعاية الزوج والأولاد .

كنت أضرب مثلاً لعلي ذكرته من قبل ، امرأة تحب الله كثيراً استيقظت الساعة الرابعة صباحاً أو الثالثة لقيام الليل ، صلت قيام الليل ، وبكت في الصلاة ، وخشع قلبها ، وذابت محبة لربها ، الساعة السادسة تعبت وعندها خمسة أولاد ، فطلبت من أولادها أن يتدبروا شأنهم ، الأكل غير موجود ، الغرفة باردة ، بعض أولادها لم يكتب وظيفته ، بعض أولادها هندامه غير حسن ، بعض أولادها يحتاج ثيابه إلى إصلاح ، انطلقوا إلى المدرسة ، هذا ما كتب وظيفته ، والثاني على هندامه ملاحظة ، والثالث كتابه فيه آثار زيت من الشطيرة التي ما وضع لها كيس نايلون ، الكل أُهِينوا ، لكن هي صلت قيام الليل وبكت وسحت بكاء ، أنا أقول : هذه المرأة لو استيقظت قبل طلوع الشمس بنصف ساعة ، ودفأت الغرفة ، ووضعت الطعام ، وهيأت الشطائر لأولادها ، وراقبت وظائفهم ، راقبت هندامهم ، راقبت ثيابهم ، راقبت محفظتهم ، ودعتهم إلى أن يستقلوا السيارة ، أنا أرى أن هذه المرأة أقرب إلى الله مليون مرة من الأولى ، لماذا ؟ لأن الأولى كانت عابدة لله فيما أقامها ، أقامها زوجة ، أقامها أم ، هذه عبادة الهوية ، مادامت هذه المرأة أماً لأولاد أو زوجة لزوج ، العبادة الأولى بحقها أن تعبد الله فيما أقامها .

طاعة الله عز وجل تُحول البيت إلى قطعة من الجنة :

أيها الأخوة ، الحديث عن الشقاق الزوجي طويل لكن يجمع بهذا الحديث :

((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[رواه أحمد عن ابن عمر ، وإسناده حسن]

والآية الأولى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ (228)﴾

(سورة البقرة)

والآية الثانية :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء الآية : 19)

والآية الثالثة :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ (34)﴾

(سورة النساء)

والآية الرابعة :

﴿ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ (1)﴾

(سورة الطلاق)

أيها الأخوة ، بصراحة إذا في بالبيت دفء ومحبة وهدوء وتفاهم صار البيت جنة ، وقد يكون مساحته خمسة وأربعين متراً ، قد يكون شمالي ، وقد يكون الطعام خشن جداً ، وقد يكون الدخل محدود جداً لكن الحب يعوض عن كل شيء ، وقد يكون البيت ثمنه ثمانين مليوناً قطعة من جهنم ، والله دخلت لبيت في الشام يمكن بالجادة العاشرة بقاسيون أرخص بيت ، والأرض ليست مبلطة شعرت هذا البيت قطعة من الجنة من طاعة الله عز وجل .

أطع أمرنا نرفع لأجلك حجبنا فإنا منحنا بالرضا من أحبنا

***

زوجان متفاهمان طائعان لله بيتهم جنة والله ، إن الله يعطي الصحة ، والذكاء ، والمال ، والجمال ، للكثيرين من خلقه ، لكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين .

أسباب الشقاق الزوجي :

1 . الجهل بالواجبات والحقوق الشرعية :

الأخوة الكرام الذين تفضلوا بدعوتي وضعوا لي بعض المحاور ، أنا أتابعها واحداً واحداً .

أولاً : الجهل بالواجبات والحقوق الشرعية .

أزمة علم ، الحقيقة لا تعرف حق زوجها ولا يعرف حق زوجته ، ولا يحسن إدارة زوجته بينما لا تحسن هي إدارة زوجها لذلك دققوا في هذه الآية :

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ (45)﴾

(سورة العنكبوت)

أي أكبر ما في الصلاة ذكر الله .

هناك معنى آخر ، ذكر الله لك وأنت تصلي أكبر من ذكرك له ، أنت إذا ذكرته أديت واجب العبودية له ، أما إذا ذكرك منحك الحكمة ، أنت بالحكمة تسعد بزوجة من الدرجة العاشرة ومن دون حكمة تشقى بزوجة من الدرجة الأولى ، ويا أيتها الزوجة أنت بالحكمة تسعدين بزوج من الدرجة العاشرة وتشقين بزوج من الدرجة الأولى :

﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ﴾

(سورة البقرة الآية : 296)

إحكام الاتصال بالله عز وجل يمنح الإنسان الحكمة و الأمن :

أكبر عطاء إلهي أن يمنحك الحكمة ، بالحكمة تكسب الأصدقاء بل بالحكمة تجعل الأعداء أصدقاء ، ومن دون حكمة تجعل الأصدقاء أعداء ، بالحكمة تدبر أمرك بدخل محدود ومن غير الحكمة تبدد أموالاً طائلة ، لذلك أكبر عطاء من الصلاة ، الله أمرنا أن نصلي ، معقول إله عظيم ، بالكون مليار مليار مجرة يقول لك صلِ ، اركع ، واسجد فقط عملية شكلية جوفاء ، حركات وسكنات تفتتح بالتكبير تختتم بالتسليم ، أما الصلاة شيء آخر ، الصلاة اتصال ، إن أحكمت الاتصال بالله عز وجل منحك الحكمة ، أحد ثمار الصلاة ، منحك الأمن منحك الرضا ، ترضى بزوجتك هذه هدية من الله .

لذلك أيها الأخوة هذا المنهج الإسلامي منهج متداخل إن لم تطبق المنهج كاملاً لن تقطف ثماره .

2 . تدخل الأهل و الجيران و الأصدقاء :

الآن تدخل الأهل والجيران والأصدقاء ، أنا أرى أن الزوجة العاقلة والزوج العاقل لا يسمحان لقضايا الأسرة أن تنتقل إلى أي مكان ، هناك ملمح قرآني في :

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

(سورة النساء الآية : 34)

لو أنه هجرها في غرفة أخرى يعلم الأولاد ، اليوم بابا نام في غرفة الجلوس ، كأن الله أراد أنك إذا هجرتها أن يبقى هذا بينكما ، ينبغي ألا يعلم الأولاد كلما ضاقت مساحة المشكلة الزوجية بين الزوجين كلما صار الحل سهل جداً ، إذا تدخل الأهل ، الأولاد ، الجيران ، الأقرباء ، العمة ، الخالة ، تفاقمت الأمور فلذلك حينما قال الله عز وجل :

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

(سورة النساء الآية : 34)

القصد من ذلك ألا يعلم أحد في البيت ، فإن كان الله عز وجل يريد من المؤمنين ألا يخرج السر بينهما إلى أولادهما فلئن يبقى في البيت من باب أولى ألا ينتقل إلى بيت الأهل.

الأحمق من فَرّق بين المرأة و زوجها :

لذلك أكبر حماقة أراها أن هذه الزوجة تحدث أهلها عن كل شيء ، تأتيها التوجيهات ، قال له كيف عمك ، قال توفى ؟ قال لا والله حي يرزق ، قال له زوجة عمك ؟ قال حية تسعى .

أنا أرى النبي عليه الصلاة والسلام حينما سئل

((مَن أعظم الرجال حقاً على المرأة ؟ قال : زوجها ، فلما سئل : مَن أعظم النساء حقاً على الرجل ؟ قال : أمه))

[الجامع الصغير عن عائشة بسن فيه ضعف]

توجيه نبوي يعني أقدس امرأة في حياتك أمك ، أقدس رجل بحياتك زوجك ، لذلك الزوج له حقوق ، فحينما تسمح بتدخل الأهل والجيران والأصدقاء تأتي تغذية سلبية يكون الأمر تمام ، مثلاً تكون الزوجة تحب زوجها والبيت متواضع ودخله محدود لكن أخلاقه عالية صاحب دين يسعدها وتسعده ، يأتي أخوها في العيد ماذا قدم لك على العيد ؟ والله ما قدم لي شيئاً ، معقول ؟!

((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لَا يَرَى بِهَا بَأْسًا يَهْوِي بِهَا سَبْعِينَ خَرِيفًا فِي النَّارِ))

[البخاري عن أبي هريرة]

هناك علاقة طيبة ، راضية عن زوجها ، هو راض عنها ، في حب وود بينهما لماذا تريد أن تفسد بينهما ؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال : ليس منا من فرق .

أحياناً تفرق بكلمة ، أحياناً بمناسبات معينة ماذا قدم لك ؟ ماذا أعطاك ؟ تتحرج الزوجة المسكينة ، أنا أقول المؤمن الصادق إذا زار أخته يثني على زوجها كثيراً ، ما شاء الله حوله ، أخلاقه عالية ، هذا الزوج الحقيقي، عينك عليه ، اعتزي فيه ، يأتي الزوج يرى زوجته بلهفة غير طبيعية ، باستقبال حار يكون من أخيها ، لأن أخاها رفع قيمة زوجها بنظرها ، لي عبارة لا أحب أن أقولها دائماً لكن هي قاسية قليلاً ، الإنسان إذا كان مقطوعاً عن الله يُلهم الحيونة ، إذا موصول يُلهم الحكمة .

3 . الاختلاف المستمر بين الزوجة و أهل الزوج :

الاختلاف المستمر بين الزوجة وأهل الزوج ، أنا أقول دائماً هناك أب أنجبك ، أنت ابن من ؟ وهناك أب زوجك هذا عمك والدك تعب فيها ثماني عشرة سنة ، اعتنى بصحتها ، اعتنى بتدريسها ، اعتنى بعلمها ، أخذت شهادة عليا ، اعتنى بكل قوامها ، قدمها لك هدية ، هذا أب لك ، أنا لا أرى أشد إنكاراً للفضل لمن يسيء إلى عمه ، هذا والدك ، لك أب أنجبك ، ولك أب زوجك ، ولك أب دلّك على الله ، فالزوج من كماله أن يحترم والد زوجته كما أنه أبوه ، والزوجة من كمال إيمانها أن تحترم والد زوجها كما لو أنه أبوها لأن لها أب أنجبها ولها أب هذا ابنه (زوجه إياها)، ولها أب دلها على الله .

الأمومة أقوى دافع في الجنس البشري :


الأمومة أقوى دافع في الجنس البشري

أيها الأخوة الكرام ، الأطفال بالحقيقة يملؤون البيت فرحة ، أحياناً إنسان عنده زوجة ، عندها منه ثمانية أولاد ، أراد أن يتزوج زوجة ثانية ، مصلحته ألا تنجب ، عدم الإنجاب هذا حرمان حق ، من حقها أن يكون لها ولد ، نحن درسنا في علم النفس أقوى دافع في الجنس البشري الأمومة ، هذه زوجة من حقها أن يكون لها ولد يقول لها ماما ، مرة أخت أخبرتني أبكتني قالت : إذا عندك شاب يتزوجني فقد شهر أنجب منه ولداً يقول لي يا ماما ، لا تريد أن تكمل معه فقط يقول لها ماما ، والله عندنا مشكلة كبيرة إذا الإنسان ما ساهم بتزويج شاب بشابة يكون أخطأ خطأ كبيراً ، والله الذي لا إله إلا هو لا يوجد شيء يجبر الخاطر كالزواج ، هناك كلام رواه الشيطان امشي بجنازة ولا تمشي بزواج ، ماذا قال النبي عليه الصلاة والسلام : أفضل شفاعة أن تشفع بين اثنين في نكاح . بالأثر ورد نص :

((من مشى بتزويج رجل بامرأة كان له بكل خطوة خطاها ، وبكل كلمة قالها عبادة سنة ، قام ليلها ، وصام نهارها))

[ورد في الأثر]

فكر أن تدل شاباً مؤمناً على شابة مؤمنة من أقربائك ، أنت تزوجت ما عندك مشكلة ، أين هم المسلمين ؟ لما لا تحمل هم المسلمين ؟ أنا أتمنى أن يعاهد الإنسان نفسه أن يدل شاب على شابة أو شابة على شاب ، يسعى بتزويج شاب بشابة ، لأنه بصراحة يوجد حديث خطير جداً مضطر أن أقوله ، نحن نتوهم أنه إذا رفعنا المهر وضعنا عقبات ، والبيت نريده ضمن المدينة ، وله مدخل فخم ، هناك مقاييس معينة ، المجتمع المخملي أنا أسميه مجتمع الجنفيص ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا ...))

تلغى العلاقة بين الأنثى والذكر ؟ لا ، تقع بالحرام ، فكلما ضيقنا سبل الزواج اتسعت دور الدعارة ، قضية واضحة إما نكاح أو سفاح ، إما بالحلال أو بالحرام ، هذا كلام النبي عليه الصلاة والسلام : إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، ما فعلنا وضعنا عقبات :

((....إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ قَالَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ))

[سنن الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

والله هناك مدن لا أجرؤ أن أقول عدد بيوت الدعارة فيها سبعين ألفاً ، في بعض المدن سبعين ألف بيت ، عندنا قرية بدمشق اجتمع وجهاؤها وقرروا أن المهر خاتم سحب وساعة فقط وغرفة في بيت أهله ، يجب أن نسهل سبل الزواج وإلا كان السفاح ، الزواج العرفي ، صار في ألف طريق لإرواء هذا الطريق بالحرام . أيها الأخوة ، إنجاب الأولاد من حق الزوجة ، في الفقه هناك باب العزل لا يجوز العزل عدم الإنجاب إلا بموافقة الزوجة ، لأنه من حقها .

4 . سفر الزوج الطويل للعمل :

أيها الأخوة ، هناك بند سفر الزوج الطويل للعمل، معي دراسة أن أحد أسباب الخيانة الزوجية السفر الطويل ، الإنسان له حاجة لزوجته ولها حاجة لزوجها ، فإذا في فراق طويل طبعاً أعلى نسبة من النساء محافظة لكن صار في حرمان ، في بعض البلاد لا يقبلون من يعمل عندهم من المسلمين إلا من


سفر الزوج الطويل للعمل

دون زوجة وفي بلاد أخرى بلاد الكفر عندهم قانون لم الشمل ، معقول هؤلاء الذين ما عرفوا الله يجمعون شمل الأسرة ، والذين عرفوا الله يمنعون أن يكون الزوج مع زوجته ، هذه مشكلة كبيرة جداً ، لذلك ليس منا من فرق .

5 . تربية الأبناء واختلاف الأسلوب :

تربية الأبناء واختلاف الأسلوب ، نحن إذا اعتمدنا منهج الله في التربية هو الحكم بيننا ، أحياناً يختلف الزوجان في أسلوب التربية ، لو اعتمدنا منهج الله في التربية :

((علموا ، ولا تعنفوا ، فإن المعلم خير من المعنف))

[الجامع الصغير بسند ضعيف عن أبي هريرة]

لاعب ولدك سبعاً ، أدبه سبعاً ، راقبه سبعاً ، ثم اترك له الحبل على الغارب ، أنا لي سلسلة دروس في تربية الأولاد في الإسلام حوالي ستين شريطاً ، من فضل الله أذيعت في الإذاعات عشرات المرات

(أنا أقدمهم هدية وحقوق الطبع غير محفوظة)

إذا كل بيت سمع هذه الدروس ، توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام المعصوم ، كيف نربي أولادنا في التربية الخلقية ، التربية الإيمانية ، التربية العلمية ، التربية النفسية ، التربية الاجتماعية ، التربية الجسمية ، التربية الجنسية ، هذه موضوعات الأشرطة ، التربية بالموعظة ، بالملاحظة ، بالحافز ، بالتأديب ، بالتلقين، بالقدوة ، هناك وسائل التربية وموضوعات التربية ، الحل أن يكون الله هو الحكم بيننا ، عوض أن نختلف وكل واحد معه وجهة نظر غير صحيحة نتصادم ، نحن نرجع إلى مرجع في تربية الأولاد في الإسلام . أنا الآن أعمل بجامع سعد بن معاذ في الشام درس عن تربية الأولاد في الإسلام طبعاً مصور للفضائيات ، كان لي دروس صوتية فقط .

6 . تكاسل الرجل عن العمل أو البخل وعدم الإنفاق :

هناك بند تكاسل الرجل عن العمل أو البخل وعدم الإنفاق ، أنا يؤلمني كثيراً ما يسمى بفقر الكسل ، فقر القدر صاحبه معذور ، فقر الإنفاق صاحبه محمود ، يا أبا بكر ماذا أبقيت لنفسك ؟ قال : أبقيت الله ورسوله.

فقر الكسل ، فالذي لا يحب العمل يضعف مركزه في البيت ، بصراحة أنا أرى حينما تكسب مالاً حلالاً وتنفقه على أهلك وأولادك يقوى مركزك في البيت ، تشد ابنك لك ، كل شيء ما معي ما معي ، الابن انسلخ من أبيه وأمه والتحق بصديقه الغني من أجل أن تضمن أن هذه الأسرة متماسكة ومرتبطة معك أيها الأب يجب أن تعمل بإخلاص وجد ، الله هو الرزاق ، والله في آية أرى زوال الكون أهون على الله من أن لا تحقق:



﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾

(سورة الطلاق)

هذه الآية فوق الزمان والمكان والظروف والضغوط والحصار الاقتصادي :

﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2)وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ (3)﴾

(سورة الطلاق)

أنا أخاطب الشباب الآن ، الشاب يحتاج إلى بيت وإلى عمل وإلى زوجة ، الله موجود ، والله مرة زارني شاب في البيت قدمت له قطعة كاتو مع كأس شاي، أول لقمة أكلها من الكاتو قال سبحان من قسم لنا هذا ولا ينسى من فضله أحد ، سبحان الله هذا الحديث أعرفه ، الدعاء أعرفه ، لكن تأثرت تأثراً بالغاً ، أنت أيها الشاب وأنت أيتها الشابة لا ينسى الله من فضله أحد لكن اصبر ، اصبر من تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

ميزان أخلاق الإنسان في البيت :

أحياناً تقع المحبة بين الزوجين ترفع الكلفة ، هذا خطأ كبير ، أنا أعتقد المؤمن الصادق تعيش معه ثلاثين سنة لا تسمع كلمة منه غلط ، لا كلمة بذيئة ولا سباب ، في انضباط الإيمان هذبه ، أما هذا الذي يصيح في البيت ، بالمناسبة أيها الأخوة ، أقول الإنسان لما يؤدي امتحان قيادة مركبة ، كيف يكون الفحص ؟ يعطونه طريقاً ضيقاً على شكل s وهناك علامات بلاستيكية ، أصعب شيء بالقيادة ترجع إلى الوراء على طريق منحنٍ وضيق إن نجحت في هذا كل شيء صار سهلاً ، النبي صلى الله عليه وسلم اعتبر المقياس داخل البيت ، أما خارج البيت بالتعبير المعاصر (بزنزس)تتجمل ، تتعطر ، تلبس ، تعتذر ، مصلحتك ، إن

كنت موظفاً ، تاجراً تهمك سمعتك ، أما في البيت ما في رقابة ، أين ميزان الأخلاق ؟ في البيت ، الخيرية في البيت الدليل على ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم :

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[ابن ماجه عن ابن عباس]

السيدة عائشة سألت سيد الخلق وحبيب الحق ، سألته كيف حبك لي ؟ قال لها كعقدة الحبل ، كانت تسأله من حين لآخر كيف العقدة ؟ فيقول على حالها ، لا تزال عقدةً محكمة ، وكان يصغي إليها .

التوحد و التعدد :

مرة السيدة عائشة حدثت النبي صلى الله عليه وسلم فترة طويلة عن أبي زرع وأم زرع ، وحدثته عن شجاعته وكرمه ، وأنه كان زوجاً نموذجياً ، لكنها تأسفت أشد الأسف حينما أعلمته في النهاية أنه طلقها ، فكان عليه الصلاة والسلام رفيقاً بها ، فقال لها : أنا لك كأبي زرع لأم زرع ، غير أني لا أطلقك .

أنا أتمنى من الزوج أن يبتعد بالمزاح عن موضوع الزوجة الثانية والطلاق ، لا يوجد شيء يهز كيان المرأة ككلمة الزوجة الثانية والطلاق .

شخص عنده زوجة من أعلى مستوى جمالاً وكمالاً وثقافة وعلماً وفهماً ونسباً وحسباً ، سبحان الله تاقت نفسه لزوجة ثانية ماذا يقول لها ما معه حجة ، إذا قال لها مثلاً أريد إنسانة بشكل آخر هي جميلة جداً ، من عائلة هي من أرقى الأسر ، مثقفة ، مثقفة ، ما معه حجة ، فرسم خطة دخل إلى البيت حزين ، قالت له خير ، قال اتركيني لا يوجد شيء ، تركها شهراً على هذا الحال ، بعد ذلك قالت له قل لي ، قال السلطان أعطى توجيهاً يجب أن نتزوج زوجة ثانية وإلا في إعدام ، قالت له مت شهيداً .

مرة كنا في دعوة الداعي عنده فيلا طابقين ، فجاعل النساء في الطابق العلوي وهناك نقل صوت إلى عندهم، وأنا في الطابق الأرضي مع الأخوان الكرام ، مدعوين لعشاء ، شخص سألني على التعدد ، أنا أريد أن أتكلم فأشار صاحب الفيلا ، ما فهمت ماذا فوق ؟ حكيت ثم علمت القصة إذاً هذا هو العشاء الأخير .

طبعاً الذي عنده زوجة واحدة يتوهم أن الأصل هو التوحد والذي عنده زوجتين يتوهم أن الأصل هو التعدد ، الأصح الأصل هو أنت ، فإذا كان من الممكن أن تقع في معصية فالتعدد هو الأصل ، إذا ممكن أن تكتفي بهذه أماً أولادك الأصل هو التوحد ، الأصل ليس التعدد وليس التوحد ، الأصل أنت ، ما دمت مقيماً لمنهج الله وراض عن هذه الزوجة ما في مانع .

الحقيقة هذه بعض المحاور التي رفعت إلي ، وأنا أنتظر أسئلتكم والحمد لله رب العالمين .

الأسئلة :

1 . فوائد سكن الزوج مع أهله :

س : هل من فوائد لسكن الزوج مع أهله مع القيام بالضوابط الشرعية ، الدكتور توفيق البوطي جزاه الله خيراً ذكر أن هناك بعض الفوائد ولكن قال البعض أنت تعيش في عائلة قوامها الحفاظ على الآداب ، أما المجتمع مختلف هل هذا مبرر ؟

ج : عند الأطباء ليس هناك مرض هناك مريض ، أنا أرى كل أهل لهم خاصة ، هناك أهل على مستوى عال من الرقي ، هناك انضباط ، عطف ، محبة ، عند الأهل أفضل ، وإذا في أهل صعبين جداً وابنتهم تستيقظ الساعة الثانية عشرة ظهراً متعبة مسكينة ، الكنة هذه القردة إلى الآن ما استيقظت ، إذا هكذا الأهل لا لوحده أفضل ، بحسب الأهل .

ملاحظة :

الدكتور راتب : للتوضيح أنا في حياتي ما ألقيت محاضرة الحضور دفعوا رسوماً ، أنا الآن علمت بهذا . سيدي هذه الرسوم نحن وضعناها تغطية للنفقات فقط ، وأمام الحضور هذه تغطية للنفقات فقط ، وإن شاء الله يجزيهم الخير الرعاة ساهموا أنه سيكون ألف وثمانمئة سيدي .

الدكتور راتب : أنا أخذت شيئاً منكم ؟

لا الله يجزيكم الخير . عندنا ألف وثمانمئة سيدي المحاضرات الأربعة سوف توزع مجاناً على الناس .

الدكتور راتب : البيان يطرد الشيطان ، أنا بينت .

2 . خروج المرأة من المنزل في هذا العصر :

س : هل من الممكن تطبيق آية عدم خروج النساء من المنزل في هذا العصر كأنه في فهم خاطئ للآية ؟

ج : التشدد غير المعقول يساوي تفلت غير معقول ، المرأة تخرج لكن إذا خرجت ينبغي ألا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى ، ولا تبرجن إذا خرجتن ، في البيت التبرج فرض عليهن ، واجب كبير جداً .

3 . عمل المرأة خارج المنزل :


ضوابط عمل المرأة خارج المنزل

س : ما رأيك بعمل المرأة خارج المنزل؟

ج : وفق الضوابط الشرعية ، ما في مانع ، المرأة محببة أحياناً تصبح متعة بين الرجال ، يسمعوها كلاماً مزعجاً ، يطرحون طرفاً محرجة، يتجاوز الحدود كثيراً معها ، شاب يريد أن يتسلى ، إذا كان في اختلاط أو تفلت أو عدم انضباط لا يجوز ، إذا كان ضمن ضابط شرعي لا يوجد مانع .

4 . النقاب و الحجاب :

س : رجل يطلب من زوجته غطاءً للوجه وهي ما زالت في المرحلة الجامعية ، عندها صعوبة من خلال الجامعة ماذا تفعل ؟

ج أنا أقول في الإسلام هناك حدّ أعلى و هناك حدّ أدنى ، الأكمل النقاب والحجاب مقبول وأنا أتمنى المنقبة لا تنتقد على المحجبة والمحجبة لا تنتقد المنقبة ، مثلاً مسيلمة الكذاب قبض على صحابيين قال للأول أتشهد أني رسول الله ؟ قال ما سمعت شيئاً قطع رأسه ، سأل الثاني تشهد أني رسول الله ؟ قال أشهد أنك رسول الله ، ماذا قال النبي لأصحابه ؟ قال أما الأول فقد أعزّ دين الله فأعزه الله ، قال : وأما الثاني فقد قبل رخصة الله .

عظمة الدين ما حملك فوق طاقتك ، هناك حدّ أدنى و هناك حدّ أقصى ، الأكمل النقاب ، الأقل الحجاب ، أتمنى إذا واحدة كانت متفلتة ثم تحجبت نبارك لها بهذا الحجاب ونشجعها عليه ولا ننتقدها إلى أن تزداد قناعتها ، والمنقبة أيضاً لا ننتقدها أخذت الأحوط .

5 . الشروط التي توضع أحياناً من أهل الشاب الذي يريد الزواج على المخطوبة:

س : ما رأيك بالشروط التي توضع أحياناً من أهل الشاب الذي يريد الزواج على المخطوبة ؟

ج : الشروط إذا كانت ضمن الشرع ما في مانع ، يأخذ معه مزورة .

6 . لمحة عن الفضائيات و الأفلام

س : الفضائيات ، الأفلام ، القنوات الإسلامية ، لمحة سريعة ، نصيحة .

ج : أنا والله أرى أن الشاشة أخطر شيء يهدد المسلمين ، الله قال عن الخمر :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ (219)﴾

(سورة البقرة)

الخمر المجمع على أنها محرمة قال إن فيها منافع للناس ، الفضائيات فيها منافع لكن مثلاً حلة كلها صبر فيها لعقة عسل ، حتى هذه اللعقة تدخل إلى جوفك يجب أن تشرب الحلة كلها ، إذا كنت تستطيع أن تنضبط انضباطاً تاماً ، لا تدع أي محطة فيها تفلت لا يوجد مانع ، أما إذا ذهبت تسهر مع زوجتك في بيت عمك والأولاد شاهدوا هذه المحطات ، تنشأ مشكلات في البلاد العقل لا يصدقها ، لا يوجد بارود آدمي كل البارود ينفجر ، هذه الشهوة الجنسية مخيفة ، حينما تثار تعطل التفكير ، أنت عندما تسمح بالإثارة إلى أعلى درجة توقع أي نتيجة ، فإذا في إيمان ما في خالة(امرأة الأب)، إذا في إيمان ما في ضرة ، عندي أستاذ رياضيات في الشام تزوج زوجة ولم تنجب فاجأته أنها خطبت له امرأة وطلبت إجازة أسبوعين قدم لها ألماس وذهب كما قدم للزوجة الجديدة ، قال والله اثني عشر سنة ما في عندنا ولا مشكلة .

عندي أخ في الشام عنده بقالية و لم يكن ملتزماً له جارة معها ليسانس وغير مسلمة ، وهو جميل الصورة استلطفته تأتي وتشتري حاجاتها من عنده ، مع فنجان قهوة ، مع كأس شاي ، صار في علاقة النتيجة طمح أن يتزوجها أهله رفضوا رفضاً قاطعاً وهددوه بالمقاطعة فتركها ، قبل أن يتركها قالت والله إن تزوجتني سأسلم وسأحفظ كتاب الله ، وهي غير مسلمة ، ما رد عليها تركها ، تزوج بأخرى صاحبة دين ، بعد سنتين ، قال لزوجته هذه القصة ، فقالت والله إن لم تأتِ بها زوجة ثانية لا أبقى عندك ، ما هذا ؟ هذه المؤمنة ، قالت لك أنا أسلم وأحفظ كتاب الله ، غداً تتزوجها وجاءت بها إلى البيت ، إذا قلت مؤمن صار إنساناً آخر ، صارت إنسانة أخرى ، ليس مؤمن عندنا ضرة وخالة زوجة الأب ، وعندنا كراهية ، كل هذا يقال إذا ما في إيمان .

7 . توبة الإنسان المنحرف :

س : تتكرر المشكلة دائماً ، شاب في البداية ارتكب عدداً من المعاصي ثم تاب إلى الله وتقدم إلى خطبة عدة فتيات يعاني دائماً من الرفض ماذا نوجه إلى أهل الفتيات لقبول هذا الشاب ؟

ج : نحن عندنا ثقافة فيها خطأ كبير نحن التائب لا نقبله ، في العالم الغربي الكافر التائب يعطى فرصة ، إنسانة ارتكبت خطأ وأقيم عليها الحد في عهد سيدنا عمر ، جاء من يخطبها فجاء أخوها لسيدنا عمر قال أأخبره بما كان منها ؟ قال والله لو أعلمته لقتلتك .

إذا تاب الإنسان انتهى كل شيء ، هو ماله حق أن يتكلم عن أخطائه ، عندنا موضة لا يوجد أبشع منها أنا كنت أعرف اثنين ثلاثة الآن تبت ، لماذا تقول هذا ما دام تبت انتهى ، الإنسانة عندما تتكلم عن ماضيها أمام زوجها يكرهها زوجها طبعاً ، وإذا حكى عن أخطائه تكرهه طبعاً ، إذا الله عز وجل سترك وما فضحك ، تفضح نفسك ؟ نحن ما عندنا اعتراف لإنسان آخر عندنا ستر ، من أين يأتي هذا ؟ من كلام غير منضبط .

8 . حب من دون زواج لا منكر فيه كلام خاطئ :

س : هل يوجد حب بدون زواج لا منكر فيه ؟

ج : أبداً ، لأن الله عز وجل ، هناك نقطة دقيقة لما الإنسان ينظر بأصل تركيبه النفسي المرأة محببة له فإذا أطلق بصره يتغير كيمياء دمه ، أنا والله لا أصدق واعتبروني دقة قديمة ، لا أصدق علاقة بريئة بين شاب وشابة لا أصدقها ، أما العلاقة الرائعة أن تكون زوجته يخطبها ويتزوجها هكذا ترتيب الله عز وجل ، أما صداقة ، علاقة انترنيت ، تشات ، محبة ، تعاون ، بالنهاية تنتهي هذه العلاقة إلى شيء لا يحمد عقباه ، هذه معلوماتي وإذا أردتم اسألوا وشاهدوا في الانترنيت من قصص يندى لها الجبين أساسها علاقة بريئة فيما يبدو ، هناك كلمة ما أحد انتبه لها ما في بارود آدمي ، من أجل أن يكون في وفاق زوجي جعل المرأة محببة للرجل ، والشاب محببة للزوجة ، ما دام في انضباط هذا الحب للزوجة ، المودة للزوجة ، أما لغير الزوجة في مشكلة كبيرة جداً .

9 . الإعراض عن المطلقة :

س : ماذا نقول للإعراض عن المطلقة هل هو صحيح ؟

ج : لا ليس صحيحاً ، النبي صلى الله عليه وسلم تزوج المطلقة والمطلقة إنسانة قد تكون راقية جداً ، هناك قصة أرويها دائماً هي رمزية شخص يجلس مع زوجته يأكل دجاج ، طرق الباب ذهبت لترى من الطارق رجعت فقالت له سائل أعطيه من هذا الدجاج ؟ فقال لها اطرديه ونهرها ، بعد حين العلاقة ساءت بينهما طلقها ، تزوجها إنسان آخر جالسة معه تأكل الدجاج ، طرق الباب ذهبت لتفتح الباب اضطربت قال لها من

الطارق ؟ قالت له سائل ، قال لها من ؟ قالت له زوجي الأول ، قال وهل تدرين من أنا ؟ أنا السائل الأول . الله كبير ، العلاقة تسوء أحياناً من خطأ من الزوجين .

10 . التمييز و عدم الإنصاف :

س : التمييز وعدم الإنصاف والتبرع بالممتلكات للجمعيات الخيرية دون إعطاء الأولاد كفايتهم .

ج : لا تقبل وصية أساساً فوق الثلث ، وفي الهبة في حساب ، أنا أقول لشخص سألني معك لله جواب ؟ الذي عنده أربع بنات ثلاثة متزوجات من أغنياء عنده واحدة معها عاهة ما فيها تتزوج فاشترى لها بيتاً استثناءً ، معه لله جواب ، أما عنده زوجتين الجديدة يحبها كثيراً فكتب بيتاً لابنها والقديمة عندها خمسة أولاد تركهم بلا بيت ، الله سيعاقبه بشدة ، الهبة مربوطة أن يكون معك جواب لله عز وجل ، إذا معك جواب لا يوجد مانع .

11 . الاختيار الخاطئ في اختيار الشريك :

س : كان الاختيار خاطئاً في البداية ولم يكن الزوج والزوجة على طاعة الله ومازال كذلك ولكن الزوج عاد إلى طاعة الله كيف يمكن أن يصحح الخطأ وتصوب مسار السفينة ؟

ج : كما أن الله صبر عليها حتى تابت ينبغي أن تصبر عليه حتى يتوب ، وكما أن الله صبر عليه حتى تاب ينبغي أن يصبر على امرأته حتى تتوب ، هذا الأكمل ، لو كان آخذها ، وهو متفلت وهي متفلتة هي ما ارتكبت خطأ ، أنت الله هداك جيد ، انتظرها اصبر عليها .

12 . سفر الزوج الطويل :

س : سفر الزوج الطويل وكان في بلد غير مسلم هل تسافر الزوجة لتلحق بزوجها أم تبقى مع أطفالها حرصاً على دينهم ؟

ج : مع أولادها أولى ، إلا إذا ميسرة الإقامة مع الزوج ، إذا الأسرة اجتمعت أفضل لكن المشكلة الكبيرة في العالم الغربي ، الحياة هناك أقوى من أي دعوة إسلامية ، المعاصي ترتكب أبسط من شربة ماء فإذا كان الذهاب إلى هناك مع الأولاد بسن وعي في مشكلة كبيرة جداً .

مرة ألقيت محاضرة في لوس أنجلوس بعد المحاضرة امرأة اقتربت مني قالت أنا أخت فلان ، فلان صديقي الحميم في الشام وبكيت ، خير إن شاء الله قالت ابنتي راقصة وابني ملحد .

يجوز أن ترى بلاداً جميلة جداً إذا في جنة في الأرض هي هناك على الشبكية فقط إلى الدماغ تصبح جهنم، تخسر أولادك ، معي قصص لا تعد ولا تحصى أخطر شيء تملكه ابنك تخسره هناك ، هذه المشكلة ، إذا كان السفر إلى هناك ممكن أن يغير من بنية الشاب في خطر كبير .

13 . كشف الوجه :

س : هل كشف الوجه حرام لامرأة عمرها خمسين عاماً ؟

ج : نحن الموضوع اتفقنا عليه هذا موضوع خلافي والأكمل ستر الوجه .

14 . الغيرة الزائدة :

س : الغيرة الزائدة على الرجل من قبل زوجته كيف تحل ؟

ج : هذه غيرة مرضية تحتاج إلى معالجة نفسية ، زوجها طاهر ابن جوامع مستقيم ، لا ترف عينه على امرأة أين كنت ؟ مع من تتكلم ؟ هذا غير معقول ، يجب أن تثق فيه.

15 . نصيحة للمرأة و الرجل :

س : ماذا ننصح المرأة وماذا ننصح الرجل ؟

ج : الثقة لا تجزأ ، واثقة منه إذا لم تثقي به اتركيه ، إما أن تريحيه أو تتركيه أما هذا الكلام كل يوم هذا غير معقول .

16 . ضرب الرجل للمرأة :

س : ما رأيك بضرب الرجل للمرأة ؟

ج : عندنا مشكلة أعداء الدين عندهم كوانتين فقط ، الضرب وموضوع الطلاق ، أنا سآتي بمثل لكن اقبلوه مني ، إذا عندك ابن يتيم بالمحل فسرق ، سرق ، سهل جداً تطرده وتبلغ والدته ، وانحرف صار حرامي كبير دخل السجن ، إذا أنت أدبته وأبقيته عندك ، أليس أكمل ؟

﴿ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ (34)﴾

(سورة النساء)

بداية خيانة ، فإذا أنت طلقتها ، أنا أروي قصة حكيتها بالرسالة بدرس الستير ، ذهبت إلى الكويت قالوا احكي لنا هذه القصة ، عندنا في الشام جامع الورد في سوق ساروجة هذا كان جامع المفتي العام أبو اليسر عابدين رحمه الله ، له خطيب رأى النبي عليه الصلاة والسلام في المنام ، قال النبي له : قل لجارك فلان إنه رفيقي في الجنة ، جاره فلان بقّال (سمّان)وهو خطيب ، فكسر خاطر الخطيب ، أنا خطيب أضرب وأطرح والبشارة لهذا السمان ما فهم القصة ، طرق باب جاره ، قال له : لك عندي بشارة من رسول الله ، لن أقولها لك إلا إذا أخبرتني ماذا فعلت مع ربك ؟ لكن الرجل امتنع ، وبعد إلحاح شديد قال له : تزوجت امرأة ، ومضى على زواجي منها خمسة أشهر ، وهي كانت في الشهر التاسع ، فالحمل ليس منه ، قال له : بإمكاني أن أسحقها ، بإمكاني أن أفضحها ، بإمكاني أن أطلقها ، وأهلها معي والدولة معي والناس معي ، والقانون معي ، والشرع معي ، لكنني أردت أن أجعلها تتوب على يدي ، جاء لها بقابلة فولدت ، وبعد أن أذن الفجر حمل الوليد تحت عباءته ، وانتظر حتى بدأ الإمام بصلاة الفجر ، فدخل ووضع الوليد وراء الباب ، وصلى ، فلما انتهت الصلاة بكى الوليد ، فتحلق المصلون حوله ، وهو تأخر حتى تجمع الجميع حول الوليد ، ثم اقترب منهم ، قال : ما القصة ؟ قالوا : تعال انظر ، إنه طفل ، قال : أنا أكفله ، أعطوني إياه ، أخذه عند أهل الحي على أنه لقيط ، ودفعه إلى أمه ، كثير سهل أن تقيم العدل هذا إحسان ، وهناك إن الله يأمر بالعدل والإحسان .

أنا بالدعوة إلى الله بالخمسة والثلاثين سنة إما قال لي شخص أنا أشك بزوجتي ، أقول له انظر إذا كنت تستطيع أن تجعلها تتوب لك أجر كبير كثير ، البطولة أن تتوب وراقبها إذا استقامت اتركها عندك لك أجر إذا ما استقامت نقضت توبتها عندئذ طلقها ، أنا هكذا أنصح.

17 . طاعة الزوجة لزوجها :

س : هل لطاعة الزوجة لزوجها حدود أم أنها طاعة مطلقة في كل الأمور ؟

ج : لا ، مرة النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ :

((بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ . وفي رواية أنه كان ذا دعابة . وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، فَغَضِبَ ، فَقَالَ : أَلَيْسَ أَمَرَكُمْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُطِيعُونِي ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا ، فَجَمَعُوا ، فَقَالَ : أَوْقِدُوا نَارًا ، فَأَوْقَدُوهَا ، فَقَالَ : ادْخُلُوهَا ، فَهَمُّوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا ، وَيَقُولُونَ : فَرَرْنَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ النَّارِ ، فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتْ

النَّارُ ، فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ))

[متفق عليه عن علي]

طاعة مطلقة لا يوجد الدليل آية :

﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ (12)﴾

(سورة الممتحنة)

معصية النبي مقيدة بالمعروف ، أما شخص لا يحب اليقطين ما أكل يقطين ، يكون عصى النبي ؟ اليقطين ليس أمراً تشريعياً ، حتى الرماة في أحد الذين عصوه صلى عليهم ماذا كان تحليل العلماء ؟ هم عصوا أمراً تنظيمياً ولم يعصوا أمراً تشريعياً ، طاعة مطلقة لا يوجد .

18 . مؤخر المرأة :

س : هل مؤخر المرأة من الضرورة أن يكون عالياً للحفاظ على مستقبلها عند الطلاق ؟

ج : والله إذا امرأة وضعت متأخراً عالآي يمكن أن يخرجها بقميص النوم ، تقول له لله وللرسول ، الضمانة ليس المهر الضمانة الشاب نفسه .

19 . إخراج الأولاد من الأوامر المتناقضة بين الزوجين :

س : ألا يجب إخراج الأولاد من الأوامر المتناقضة بين الزوجين ؟

ج طبعاً ، أنا لا أرى من نتيجة سلبية خطيرة على الخصام بين الزوجين إلا بالأولاد ، ترى تنشأ عندهم عقداً يكرهون الزواج ، أحياناً تكره الفتاة تتزوج من أبيها وأمها .

20 . التوفيق بين تربية الأولاد و بين انتسابهم إلى النوادي الرياضية :

س : كيف نوفق بين تربية الأولاد وتركهم ينتسبون إلى النوادي الرياضية على علتها ؟

ج : أنا كنت مرة في القاهرة لفت نظري عادة لا يمكن أن يسمح أي أب في القاهرة بخروج ابنه في العيد إلى الألعاب إلا معه ، تبعث ابنك إلى العيد ، هناك شباب منحرفون ، هناك خطأ كبير ، يوجد بنت صبية ، في القاهرة عادة متأصلة عندهم يكون وزيراً يأخذ أولاده إلى العيد يلعبوا في المراجيح معه ، فأنا لا أعتقد يمكن أن يكون في موافقة أن ترسله إلى النادي ، ماذا في النادي ؟ تعرف من في النادي ؟ إذا كان النادي منضبطاً لا يوجد مانع ، رياضة ، الرياضة ممتازة جداً والمؤمن رياضي والدليل :

تسابقت أنا ورسول الله فسبقته ، قال بعض العلماء مكنها أن تسبقه جبراً بخاطرها ، قالت فلما ركبني اللحم سبقني . لما سمنت سبقها ، معنى هذا أنه حافظ على لياقته ، النبي كان رياضي ، النبي كان يتمتع بأعلى درجة من اللياقة ، أما إذا مع الرياضة ، تفاحة وبوسط ماء نجس تأكلها ؟ تفاحة لكن أين جالسة ؟ إذا في انحراف ، في شذوذ ، في مد يد ، في كشف عورات ، مشكلة ، نحن لماذا نقصر مع بعضنا ؟ تفضلوا اعملوا نادياً منضبطاً ، لماذا ننتقد فقط لا نفعل شيئاً ؟ لماذا تركنا الطرف الآخر يفعل كل شيء ؟ افعلوا نادياً منضبطاً وابعثوا الأولاد له ، هناك مشرفون ، وانضباط ، وستر عورات .

21 . سفر المرأة للعمل من دون محرم :

س : سفر المرأة للعمل من دون محرم ؟

ج : ما في فتوى إلا عند الضرورة إذا مات زوجها في الحج ، أنا ما عندي فتوى إلى الآن .

22 . التغلب على سوء المزاج من الأب والأم :

س : كيف يمكن التغلب على سوء المزاج من الأب والأم ؟

ج : يحتاجون إلى صبر أيوب .

23 . العراقيل التي توضع في سبيل الشاب الذي يطلب الزواج :

س : العراقيل التي توضع في سبيل الشاب الذي يطلب الزواج .

ج : العراقيل يعني البعد عن منهج الله عز وجل :

((أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً))

[أحمد عَنْ عَائِشَةَ]

24 . قبول أم رفض تقدم شاب غير متدين لخطبة فتاة :

س : إذا تقدم شاب غير متدين إلى فتاة هل تقبل به لهدايته أم ترفضه لعدم دينه ؟

ج : هدايته مغامرة بالمئة خمسين تنجح إذا تريد مغامرة تتفضل وتقبل يمكن لا تقدر عليه ، أو يقول هي متفلتة أنا أهديها ، لا تستطيع متى قبلها هكذا في مشكلة ، إذا عندك إمكانية عالية جداً بإقناعها موضوع ثان، لكن تبقى مغامرة .

خاتمة :

أتقدم بجزيل الشكر للأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي جزاه الله عنا خيراً ، تحمل عناء السفر وقدم مشكوراً من دمشق ليتحفنا بمحاضرته هذه ، أستاذنا نقول لك من قلوبنا نحن نحبك في الله .

الله يجعلني أهل ، نحن عندنا في الشام كنافة مغشوشة ، أخاف أن تغشوا بي .

للمحب حق أتمنى أن لا تقطع مدينتنا من زياراتك ، لي من فضل الله موقع على الانترنيت فيه كل شيء .

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحة لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك والحمد لله رب العالمين .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (6-7) : المودة والرحمة بين الزوجين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

أعزائي المشاهدين ؛ مرحباً بكم إلى حديقة ربيع الإيمان ، مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، في حلقة جديدة ، أهلاً وسهلاً فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بارك الله بك .

المذيع :

أسأل الله أن يأجرك جزيل الأجر على هذا البيان الطيب .

أعزائي المشاهدين ؛ سنتحدث في هذه الحلقة إن شاء الله عن أساس من أسس هذه الحديقة المباركة ألا وهو حديقة المجتمع ، وحديثنا اليوم عن الأسرة في الإسلام ، وعن العلاقة الزوجية ، وكيف تتكون نواة المجتمع في العلاقة ما بين الزوج وزوجته ، أرحب بك مرة ثانية فضيلة الدكتور ، إقامة الأسرة في الإسلام شيء مقدس جداً كيف توصف العلاقة بين الزوج وزوجته في هذا الدين ؟

النّظام الأسري في المجتمع الإسلامي نظام عظيم جداً :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وُحول الشهوات إلى جنّات القربات .

أستاذ طالب جزاك الله خيراً ، قيل : وبضدها تتميز الأشياء ، أقدم لك صورة سريعة عن بعض المجتمعات المتفلتة الغربية ، هذه الصورة أساسها أن شاباً أحبّ فتاة فاستأذن والده من الزواج منها ، قال له : لا يا بني إنها أختك وأمك لا تدري ، فلما أحبّ ثانية قال : يا أبي هذه فتاة أحببتها ، قال له : أيضاً هذه أختك وأمك

لا تدري ، فتألم هذا الشاب وبث ألمه لأمه ، ذكر لها ما الذي جرى ، قالت له : خذ أياً شئت أنت لست ابنه وهو لا يدري .



حينما تنحرف المجتمعات ، وحينما لا نعبأ بقواعد الدين ، وحينما لا نحكم شرع الله في حياتنا .

أنا أذكر أن لي صديقاً ذهب إلى فرنسا رأى شاباً ساهماً على نهر السين ، قال له بمَ تفكر؟ وماذا تتمنى ؟ قال : أتمنى أن أقتل أبي ، فقال له : لماذا ؟ قال : أُحب فتاة فأخذها مني .

أنا انتقلت فجأة إلى الأب في بلادنا همه الأول أن يزوج أولاده ، همه الأول وكم إنسان باع بيته الغالي في أرقى أحياء دمشق ، وسكن خارج دمشق ليشتري بفرق الثمنين بيوتاً لأولاده ؟ نحن عندنا إيجابيات في مجتمعاتنا الإسلامية قد لا ننتبه إليها إطلاقاً ، دائماً الخصائص الحقيقية حينما نألفها ننساها ، عندنا شيء اسمه أب ، الأب مقدس ، وأم ، وأخت ، وزوجة ، وهناك قضايا هي من ثمار التدين ، من ثمار هذا الدين العظيم ، الدين ماذا قال ؟ وكل أمر يقتضي الوجوب ، أكرموا النساء ، فو الله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم ، ويغلبهن لئيم ، وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً من أن أكون لئيماً غالباً .

و هناك حديث آخر :

((انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها يعدل ذلك كله . يعدل الجهاد في سبيل الله .))

[أخرجه ابن عساكر وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

أن تكون امرأة وفية ، صادقة ، تعتني بزوجها وأولادها هي عند الله في أعلى مقام ، حسن تبعل المرأة زوجها، أن تكون زوجة كريمة ، وفية ، رحيمة ، جهدها في خدمة زوجها وأولادها ، لذلك النظام الأسري في مجتمعاتنا شيء عظيم جداً .

المذيع :

ولذلك قال القرآن الكريم عنه : إنه آية كبرى .

الفرق بين المودة و الرحمة :

الدكتور راتب :

قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم : 22]

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

هذه المودة بين الزوجين من خلق الله ، ولكن يوجد بالآية لفتة رائعة جداً ، ما الفرق بين المودة والرحمة ؟ أحياناً حينما تكون الزوجة ملء عين زوجها كمالاً وجمالاً يحبها ، يحبها في قلبه ، وهذا الحب الذي في القلب يظهر مودة في المعاملة ، الحب في القلب شعور أما المودة فسلوك ، فهذا الحب في قلبه لأنه معجب بها وفق طلبه ، ملء سمعه وبصره ، وحينما يكون الزوج ملء سمع الزوجة وبصرها تحبه وتظهر مودتها له، لذلك قال تعالى :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]



كم إنسان أصيب بمرض عضال وأصبح طريح الفراش وبقيت زوجته في خدمته إلى آخر لحظة؟

التغت المودة ، المنفعة المتبادلة انتهت ، هو انتهى كزوج ، بقي عبئاً لكن الرحمة التي أودعت في قلوب المؤمنين ، في العالم الغربي هناك دور للعجزة ، حدثني أخ مقيم في باريس قال لي : أكثر شيء يقلق إدارة هذه الملاجئ انتحار المسنين ، الأكل في أعلى درجة والأقساط غالية جداً ، أي يعيش هذا المتقدم في السن حياة تفوق حدّ الخيال ومع ذلك ينتحر ، في مجتمعاتنا المتقدم في السن مع أولاده ، مع أحفاده ، هذا افتقد العطف ، افتقد الحنان ، الأنس ، افتقد أولاده ، افتقد أحفاده ، افتقد كنائنه ، حدثني أخ أحد علماء دمشق يسكن جاري في دمشق ، قال لي: عندي ثمانية وثلاثون حفيداً ، معظمهم من حفاظ القرآن الكريم ، وأطباء ، معنى هذا الرجل

اقترن بزوجة أنجب أولاداً ، الأولاد جلبوا له الكنائن ، والبنات جلبوا له الأصهار، الأولاد والبنات والأصهار والكنائن أنجبوا ثمانية وثلاثين حفيداً ، هذا الكم الكبير الهرم المبارك سببه علاقة جنسية ، شهوة ، سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها .

المذيع :

دكتور عندي سؤال ضرب لنا القرآن الكريم أمثلة في اختيار الزوج والزوجة ، وكنت في حلقة سابقة ذكرت لنا قوله تعالى :

﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾

[سورة البقرة : 221]

في مسألة اختيار الزوجات والأزواج هناك تدخلات كثيراً تعيق مباركة الله عز وجل لهذه الأسرة هلا عرجنا عليها ؟

العناية بالشباب و تأمين متطلباتهم لمحاربة ظاهرة العنوسة :

الدكتور راتب :

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ..))

[الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

الشيء الرائع المذهل التتمة :

((.. إِلَّا تَفْعَلُوا ..))

[الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

إذا أنت طلبت شروطاً تعجيزية ما الذي يحصل ؟ هل بإمكان المجتمع أن يلغي علاقة الذكر بالأنثى ؟ لا يلغيها ، كانت نكاحاً فأصبحت سفاحاً .

((... إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ ..))

[الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

وأنا أرى أن كل الانحراف الذي لا يرضي المجتمع الإسلامي سببه وضع شروط تعجيزية على الزواج ، والله يوجد بلدة في الشام أحترم وجهاءها احتراماً لا حدود له ، اتفقوا على أن مهر البنت خاتم فقط ، وأنا أقول كلمة دقيقة و أرجو أن تكون مسموعة عند أخوتنا الكرام : هذا الشاب ماذا يريد ؟ أمة فيها شباب ، الشاب يريد فرصة عمل ، فالذي يؤسس معملاً ويهيئ فرص عمل ، هذا عمل وطني كبير جداً ، الشاب يريد فرصة

عمل ، ويريد زوجة ، ويريد مأوى، فإذا لم تتحقق هذه الأشياء الثلاثة للشباب ما الذي يحصل ؟ تطرفاً ، تطرف تشددي – التكفير و التفجير – أو تطرف تفلتي – إباحية – .

الأمة ينبغي أن تنتظر أنها إذا وضعت العراقيل أمام الزواج ، أو لم تهتم بتسهيل شروط الزواج ، أو لم تنتبه إلى هذه الشريحة الأساسية ، من هم الشباب ؟ رجال الغد ، مستقبل الأمة من خلالهم ، الدولة إذا لم تهتم بهؤلاء الشباب ، ولم تهتم بالمأوى الذي ينبغي أن يؤمن لهم، وبفرصة العمل التي لا بد أن تؤمن لهم ، وبزواج الذي هو محور حياة الإنسان ، أمام تطرفين خطيرين ؛ تطرف تشددي التكفير ثم التفجير ، أو تطرف تفلتي الإباحية ، فلذلك القضية معلقة بمستقبل الأمة ، أنا والله أحياناً تتصل بي فتاة تقول لي : أنا محجبة وحافظة لكتاب الله ولا يخطبني أحد ، هذه مشكلة كبيرة ، العنوسة مشكلة كبيرة جداً جداً .

المذيع :

دكتور ذكرت لنا بعض الإحصاءات الكارثية .

الدكتور راتب :

في بعض البلاد ولا أسميها خمسون بالمئة من النساء بلا أزواج ، وهذه مشكلة كبيرة، وأنا أرى ولعلي على صواب أن الزواج عند الرجل أحد فصول حياته ، عمله فصل ، دراسته فصل ، مكانته فصل ، إلا أن الفتاة الزواج هو كل فصول حياتها ، فإذا تزوجت نجحت ، وكم من فتاة مثقفة ثقافة عالية ، محجبة ، تحفظ كتاب الله ، هذه من لها ؟ لذلك إن لم ننهض جميعاً بحل لمشكلة العنوسة التي تتراوح بين ثمانية عشر بالمئة وبين الخمسين في هذه البلاد الإسلامية نحن أمام مشكلة مصيرية .

المذيع :

دكتور عذراً لا بد من فاصل قصير ...

أعزائي المشاهدين ، عوداً معكم إلى ربيع الإيمان مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي . توقفنا عند ظاهرة العنوسة وكان من أجمل ما قلت : إن الزواج في حياة الرجل فصل من فصول حياته ، لكن الزواج بالنسبة للأنثى هو كل فصول حياتها .

دافع الأمومة أكبر دافع في الجنس البشري على الإطلاق :

الدكتور راتب :

لماذا ؟ درسنا في علم النفس أن أكبر دافع في الإنسان على الإطلاق قبل أن أذكره، هناك دافع إلى الطعام والشراب حفاظاً على بقاء الإنسان كفرد ، هناك دافع إلى الزواج حفاظاً على بقاء النوع ، هناك دافع إلى تأكيد الذات حفاظاً على بقاء الذكر ، أما أقوى دافع على الإطلاق في الجنس البشري فهو دافع الأمومة ، لا يحقق إلا بالزواج ، والله مرة امرأة اتصلت بي قالت : أتمنى أن تهيئ لي زوجاً يتزوجني ثم يطلقني لأنجب منه ولداً ، يقول لي : يا أمي .



دافع الأمومة أقوى دافع في الإنسان ، أنا أتمنى أن هذه المشكلة كبيرة جداً ، مشكلة تهد المجتمعات ، فما لم ننهض مسؤولين وغير مسؤولين ووجهاء وأعلام وعلماء إلى حلّ هذه المشكلة نحن أمام تفلت كبير من الشباب ، لأنه إن لم يكن النكاح كان السفاح ، العلاقة لا تلغى إما أن ترشد وفق منهج الله ، وكما تعلمون الشهوة سلم نرقى بها أو دركات نهوي بها ، فالإنسان إذا انطلق من شهوته وفق منهج الله ارتقى ، وإذا انطلق بشهوته خلاف منهج الله سقط عند الله وعند الناس ، فلا بد من معالجة هذه المشكلة على مستوى مسؤولين ، مستوى وجهاء ، مستوى علماء ، أغنياء ، أقوياء ، هذه مشكلة المشكلات ، في بلاد نسبة العنوسة بها ثمانية بالمئة ، وفي بلاد خمسون بالمئة، هذه مشكلة كبيرة .

المذيع :

دكتور لذلك الإسلام اعتنى بمسألة ارتباط الزوج بالزوجة في المرحلة الأولى ، ووضع شروطاً لاختيار الزوج وشروطاً لاختيار الزوجة ، تفضلت بالحديث عن :

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ..))

[الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

هناك من يتدخل في حياة الشاب أو حياة البنت ، ربما أمها تضع شروطاً قاسية فتفرض على ابنتها زوجاً له شروط معينة ، أو بالعكس قد تتدخل أم الشاب في وضع شروط مثالية غير واقعية .

العناية بالزواج لأنه شيء أساسي في حياة الأمة :

الدكتور راتب :

شروط كيدية ، أنا أرى أن الزواج موضوع كبير جداً في حياتنا ، ونحن أمام خيارين خطيرين إما السفاح أو النكاح ، النكاح يحتاج إلى تخفيف الشروط ، أعظم النساء بركة أقلهن مهراً .

((إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ..))

[الترمذي عَنْ أَبِي حَاتِمٍ الْمُزَنِيِّ]

أمر إلهي ، وحينما نعرض عن هذه التوجيهات أمامنا مشكلات كبيرة جداً ، لا مانع من تأسيس جمعيات للزواج ، لا مانع من تأسيس منظمات للزواج ، فالزواج شيء أساسي في حياة الأمة ، ولا بد من حلّ هذه المشكلة ، على كلّ النبي صلى الله عليه وسلم أعطانا نموذجاً مثالياً للعلاقة بين الزوجين ، السيدة عائشة مرة سألت النبي صلى الله عليه وسلم : كيف حبك لي ؟ قال لها : كعقدة الحبل ، فأصبحت شيفرة بينهما ، تسأله من حين لآخر : كيف العقدة ؟ فيقول على حالها .

طبعاً هذا من روعة مواقف النبي صلى الله عليه وسلم ، مرة امرأة طلبت المخالعة من زوجها ، فالنبي تمنى عليها أن تبقى معه ، قالت : أفتأمرني ؟ قال : لا ، إنما أنا شفيع . ما قبل النبي الكريم أن يضع مكانته النبوية في شأن داخلي هذا من حق الزوجة ، وهي ذكية جداً وصحابية ، قالت : أفتأمرني ؟ قال : لا ، إنما أنا شفيع . هذه القضية من أخطر القضايا .

بطولة الإنسان أن يكون في بيته أخلاقياً :

كان النبي صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله ، هو في البيت كواحد ، يخسف نعله ، يرفو ثوبه ، في مهنة أهله ، والإنسان دائماً هناك نقطة دقيقة جداً ، الإنسان خارج البيت قد يعتني بثيابه كي ينتزع إعجاب الآخرين، قد يبتسم على أنه لبق ، قد يصافح بحرارة ، قد وقد، أكثر سلوك الإنسان خارج البيت ينطلق من مصلحته ، من تأكيد مكانته ، من تأكيد علمه ، من تأكيد أخلاقه، من ، من .. لكن إذا دخل إلى البيت لا رقيب عليه هو السيد الأول ، كلمته المطاعة ، لذلك الشيء الذي لا يصدق أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل خيرية الإنسان في بيته فقال :

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[ابن ماجه عن ابن عباس]

داخل البيت لا يوجد سلطة ، لا يوجد رقابة ، لا يوجد انتزاع إعجاب الآخرين ، لا يوجد دبلوماسية راقية ، لا يوجد شيء ، أنا أقول البطولة والتفوق أن تكون في البيت أخلاقياً :

((خَيرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي))

[ابن ماجه عن ابن عباس]

المذيع :

دكتور يذكرنا حقيقة أيضاً بخيرية النساء العظيمات ، الرائعات ، المؤنسات ، الغاليات .

الإسلام منهج سماوي عظيم يعتني بالمرأة عناية فائقة :

الدكتور راتب :

فإنهن المؤنسات الغاليات ، أكرموا النساء فو الله ما أكرمهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم ، كان يقوم لفاطمة صلى الله عليه وسلم .

الحقيقة كما تعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم سنته أقواله ، وسنته أفعاله ، وسنته إقراره ، بل إن النبي صلى الله عليه وسلم حينما فتحَ مكةَ المكرمة دعاهُ كبار زعمائها ليبيت عندهم ، فقال : انصبوا لي خيمةً عندَ قبر خديجة ، وركَزَ لواء النصر أمام قبرها ، ليُعلم العالم كلهُ أنَ هذه المرأة التي في القبر شريكتهُ في النصر.

أنا لا أرى منهجاً سماوياً كالإسلام يعتني بالمرأة .

المذيع :

دكتور النبي صلى الله عليه وسلم خطب امرأة فاعتذرت من النبي صلى الله عليه وسلم .

الدكتور راتب :

قالت : لي خمسة أولاد ، أخاف إن قمت بحقك أن أقصر بحقهم ، وأخاف إن قمت بحقهم أن أقصر بحقك ، فالنبي أعجب بها أيما إعجاب ، بصراحة اعتذرت أن تكون السيدة الأولى في المجتمع ، هذا أعلى مقام للنساء بأي بلد ، السيدة الأولى ، أي اعتذرت على أن تكون السيدة الأولى ، هذه قصة تشف على أن علاقتها بربها قد تفوق علاقتها بمن حولها ، أرادت أن ترضي الله عز وجل ، وحينما تعرف المرأة حق زوجها عليها وحق أولادها عليها مع النبي في الجنة .

المذيع :

دكتور حقيقة ونحن نتحدث عن هذه القيم العظيمة كنا مرة نتمازح أنا وحضرتك فقلت : المرأة التي تزوجت نسيت نفسها ، أكلت كما تريد ونحو ذلك فأصبحت بدينة سمينة لا تملأ عين زوجها ، أو ربما بعد أربع أو خمس سنوات صارت أماً ولم تعد زوجة ، فأحياناً هذا يقحم الأسرة في مشاكل لا آخر لها ؟

عبادة المرأة الأولى إعفاف زوجها و رعاية أولادها :

الدكتور راتب :

الحقيقة كلام دقيق ، عندنا عبادة عامة لكل الناس ، الصوم ، الصلاة ، الزكاة ، لكن كل إنسان بحسب هويته له عبادة ، ما هي عبادة الغني الأولى ؟ إنفاق المال ، ما هي عبادة القوي الأولى ؟ إحقاق الحق وإبطال الباطل ، ما هي عبادة العالم الأولى ؟ أن ينطق بالحق ولا تأخذه في الله لومة لائم ، ما هي عبادة المرأة الأولى ؟ إعفاف زوجها ، إعفاف زوجها بأناقتها ، إعفاف زوجها بتزينها لها ، إعفاف زوجها بإحصانه ، والحديث طويل تحصنه إذا كانت كما يتمنى ، إذا كانت أنيقة تعتني بجسمها ، بوزنها ، برشاقتها ، تعتني بمظهرها أمامه ، لأن مهمتها الأولى هي إحصانه ، هذه عبادة يا سيدي ، هذه العبادة خاصة بالنساء .

المذيع :

أي تؤجر المرأة ؟

الدكتور راتب :



أنا مهدت لها بعبادة الأغنياء إنفاق المال ، الأقوياء إحقاق الحق ، عبادة العلماء النطق بالحق ، عبادة المرأة إعفاف زوجها و رعاية أولادها ، لكنني أعتب على بعض الزوجات المسلمات أنهن بعد حين يلتفتن إلى أولادهن على حساب حق الزوج عليها .

المذيع :

تنام عند ابنها .

الدكتور راتب :

تنام عند ابنتها أسبوعاً ، وتنسى زوجها ، وقد لا تعتني بصحتها ، وقد لا تعتني بوزنها ، برشاقتها ، هذا كله يضعف إحصان الزوج ، فإذا ضعف إحصان الزوج وكان إيمانه وسطاً أو قليلاً أو ضعيفاً تفلت إلى غيرها ، لذلك أنا أقول : البطولة ألا نتخطى المشكلة أن نواجهها ، هناك مشكلة في بيوت المسلمين أن الزوجة حينما تخطب تطمئن لأنها تزوجت ، فإذا خطبت وأصبحت زوجة ، لها مهر كبير قد لا يملك هذا المهر تتحكم فيه، فالبطولة أن تبقى الزوجة بشكل مقبول وملفت للنظر أمام زوجها كي تحصنه ، والنبي حينما أمر الرجال بالزواج قال :

((أغض للبصر وأحصن للفرج))

[رواه البخاري عن علقمة]

هذه عبادة يا سيدي المرأة لها عبادة أن تحصن زوجها .

المذيع :

دكتور المرأة التي تحرص على نفسها تؤجر والمرأة التي تحافظ على شكلها وقوامها ورشاقتها هذه امرأة عابدة لله تعالى ؟

الدكتور راتب :

أنا أرى بارك الله بك أن عندنا خمس عبادات شعائرية ؛ ولكن والله لا أبالغ عندنا قريب من خمسمئة ألف عبادة تعاملية ، وهذه العبادات تبدأ من فراش الزوجية وتنتهي بالعلاقات الدولية ، هذه عبادة ، فالزوجة لها عبادة ، أنا ذكرت أمضت طول الليل بقيام الليل وأهملت أولادها ، الذي اعتنت بأولادها أقرب إلى الله عز وجل من الأولى .

خاتمة و توديع :

المذيع :

دكتور أكرمك الله الحديث لا يمل معكم ، ولكن وقت البرنامج قد انتهى .

أعزائي المشاهدين ؛ داهمنا الوقت كالعادة ، وانتهت حلقة هذا اليوم من ربيع الإيمان، أسأل الله عز وجل أن ألقاكم في حلقة مقبلة في ربيع الإيمان مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي إن شاء الله ، وإلى لقاء آخر ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدرس (7-7) : الأمانة الزوجية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، مرحباً بكم إلى حلقة جديدة في ربيع الإيمان نتفيأ ظلاله الطيبة مع فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، أهلاً وسهلاً بك فضيلة الدكتور .

الدكتور راتب :

بارك الله بك .

المذيع :

أسأل الله أن يجعل هذا اللقاء طيباً نافعاً .

أعزائي المشاهدين ؛ ما زال الحديث في ربيع الإيمان عن الأسرة ، وموضوع الأسرة موضوع مميز مهم جداً ، سنتحدث مع الدكتور اليوم عن زوايا جديدة في موضوع الأسرة مرحباً بك مرة أخرى دكتور .

دكتور الأسرة أمانة مشتركة بين الزوج والزوجة ، ولعل كثيراً من الناس في الحديث عن الأمانات يتضايق أو يقصر فيؤدي ذلك إلى نتائج ليست طيبة ، دكتور ما الذي يحضركم في مسألة أمانة الأسرة ؟ أي تربية الأولاد مثلاً أمانة ، قضية عمل المرأة وما يشوش على أداء الأسرة من هذه القضايا .

أمانة الأسرة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه الطيّبين الطاهرين ، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ، ومن وُحول الشهوات إلى جنّات القربات .

الحقيقة هناك مشكلة قد تفهم على غير ما أراد الله عز وجل فحينما قال الله عز وجل :

﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾

[سورة النور:26]

هذا الكلام كلام الله توجيهي أم قدري ؟ أغلب الظن أنه توجيهي ، أي قد تجد امرأة صالحة تحت زوج سيئ ، والعكس ، فكيف نفهم هذه الواقعة القائمة في حياتنا مع الآية الكريمة؟ لذلك العلماء توجهوا إلا أن هذه الآية ليست قدر الإنسان ولكنها توجهه أي تجعل الطيبين للطيبات وقد يقاس على ذلك :

﴿ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا ﴾

[سورة آل عمران:97]

فأمن بيت الله الحرام أمن توجهي أم قدري ؟

المذيع :

توجيهي أي لا تمسه بسوء .

الدكتور راتب :

فلذلك حينما قال الله عز وجل :

﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾

أي ينبغي أن تبحث لابنتك الصالحة المؤمنة عن زوج صالح مؤمن لا عن زوج غني فقط ، فحينما تعتني بابنتك وترفع من مستواها العلمي والأخلاقي والتوجيهي ثم يأتيها من يخطبها لماله فقط فقد خنت الأمانة ، فهذه البنت المؤمنة الطاهرة العفيفة تليق بزوج مؤمن طاهر عفيف ، أما أن نفهم الآية :

﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾

[سورة النور:26]

على أن الأمر قدري ، لا ، الأمر توجيهي .

المذيع :

دكتور كيف يتوجه الحديث عن الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات أي ربما يتوجه نفهمه في مسألة الطيبين ؟

الدكتور راتب :

الحقيقة أن الأمر دقيق ، أي المرأة حينما يخطبها إنسان خبيث أي زان ، وترضى به فهي حكماً زانية ، والخبيثون للخبيثات ، فينبغي للمرأة الطاهرة العفيفة ألا تقبل إلا زوجاً طاهراً عفيفاً ، أما أن يغريها المال فهذه مشكلة كبيرة ، إذاً أريد أن أؤكد أن قوله تعالى :

﴿ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾

[سورة النور :26]



المعنى هنا ليس قدرياً ، المعنى توجيهي ، اجعلوا الطيبين للطيبات ، احرصوا على أن يكون الطيبون للطيبات .

أنا أخاطب الآباء : الآن البنت المستقيمة المؤمنة الطاهرة العفيفة تحتاج إلى زوج مؤمن طاهر عفيف لا إلى زوج غني لا يعرف قيمة علمها وأدبها ، هذه نقطة خطيرة جداً في الزواج ، وأنا أعتقد أيضاً أن معظم أخطاء من حولنا ، أخطاء أولادنا ، بناتنا ، نحن المسؤولون عنها ، فإذا أحسنا اختيار الأزواج لبناتنا كان هذا الزواج رائعاً ، و لذلك ورد في بعض الآثار : " تزوجوا ولا تطلقوا " بمعنى تزوج امرأة لا تحتاج أن تطلقها ، إن بحثت عن علمها ، عن دينها ، عن أهلها ، عن ثقافتها ، عن حضارتها ، مثل هذه لا تحتاج أن تطلقها ، لذلك الزواج الذي له بعد عميق أقرب إلى النجاح من الزواج الطارئ الفجائي هذه واحدة .

المذيع :

دكتور هل يمكن أن نقول : إن نموذج امرأة فرعون لمثل ما نقول في مثل هذا الوقت ؟

استقلال المرأة في دينها عن زوجها :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن هذا الكلام كما تفضلتم به هو إجابة دقيقة لأية امرأة تقول : هكذا يريد زوجي ، إن شاء الله في رقبته ، هذا كلام مرفوض ، لأن دين المرأة مستقلة به عن دين زوجها ، وقد جاءنا الله عز وجل بحالة حادة

جداً أكفر كفار الأرض الذي قال : أنا ربكم الأعلى ، والذي قال : ما علمت لكم من إله غيري ، زوجته مؤمنة ، إذ قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة التحريم: 11]

أي أنا لا أقبل من أية امرأة أن تقول : أفعل هذا لأن زوجي يريد ذلك ، أي هي مستقلة في دينها عن زوجها.

المذيع :

دكتور ولكن هذه القاعدة التي تقول : النساء على دين أزواجهن غير صحيحة ؟

الدكتور راتب :



غير صحيح ، المرأة مستقلة في دينها عن زوجها، بمعنى أن تبعيتها لزوجها لا يعفيها من المحاسبة ، تحاسب ، لذلك المرأة حينما يرى زوجها أنه إذا أمرها بمعصية تقول له : لا وألف لا ، عندئذ يتدبر الأمر بشكل آخر ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضوع حلقات سابقة ، هذا ينبغي أن يكون بين الزوجين ، فحينما تقول المرأة المؤمنة الطاهرة: لا لزوجها إذا أراد حفلة مختلطة ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فالله عز وجل قد جاءنا بحالة حادة جداً أن الزوج كافر بل ادّعى الألوهية وقال :

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[سورة النازعات :24]

والزوجة قالت :

﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة التحريم: 11]

إذاً أول توجيه لأخواتنا الفضليات أن عذرك أن تقولي : هو الذي يريد ذلك وأنا ليس لي علاقة ، هذا كلام مرفوض ، أنت مؤمنة وسوف تحاسبين عن أعمالك صغيرها وكبيرها بصرف النظر عن موقف الزوج منها .

المذيع :

دكتور إذا تكرمت هناك نقطة ربما أساسية في الحديث عن أمانة الأسرة ومتطلبات الأسرة ، وهي أمانة تربية الأولاد ، أي كثير من الأزواج يدخل يسأل عن أبنائه هل أكلوا طعامهم؟ هل كتبوا وظائفهم ؟ ويمشي .

أمانة تربية الأولاد :

الدكتور راتب :

الحقيقة النقطة الدقيقة هنا أن الإنسان حينما يبحث عن مقاييس الدنيا فيريد لابنه أن يكون مثقفاً ثقافة عالية ، يتقن اللغة الأجنبية ، ومعه شهادات عليا ، ولا يهتم بدينه ، وقع في خطأ كبير ، أي حينما يأتي الزوج إلى البيت يسأل زوجته : هل تناول الأولاد طعام العشاء ؟ تقول له : نعم ، يا ترى هل صلوا العشاء ؟ أنت حينما تحرص على دين أولادك ضمنت لهم السعادة في الدنيا والآخرة ، فأنت حينما تهتم فقط بالابن في صحته ، في تفوقه ، في تحصيله دون أن تهتم بدينه فقد ضيعته ، فالأبوة توجيه ، وقد تقول المرأة : أنا أحب أن أعمل، تجد الزوج وضعه المادي جيد ، وكل شيء متوافر ، الخروج كل يوم هذا المكان يسمح للرجل أن يأخذه ليتزوج ، أنت لك دخل إضافي ، فحينما تسعى المرأة لتخرج من البيت وتهمل أولادها وقعت في خطأ كبير ، لأن خير كسب الرجل ولده ، وأنا قلت في أمريكا مرة : لو بلغت منصباً ككلينتون ، وثروة كأوناسيس، وعلماً كأنشتاين ، ولم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس ، لم يكن ابنك كما تتمنى فأنت أشقى الناس ، لأن الابن امتداد لك .

أحياناً يمشي الإنسان في الطريق يرى شباباً ثلاثة يدخنون أحدهم ابنه لا سمح الله ، والثاني ابن أخيه ، والثالث صديقهما ، انفعاله لأعلى درجة على ابنه فقط ، وأقل درجة على ابن أخيه ، ولا ينفعل إطلاقاً للثالث، فكلما كان الابن أقرب إلى الأب هناك مسؤولية كبيرة ، فالأب الذي يربي أبناءه تربية إيمانية هذا يكافأ في الدنيا قبل الاخرة ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

[سورة الفرقان:74]

هذه قرة العين لا يعرفها إلا من ذاقها ، أن ترى ابنك مؤمناً مصلياً صادقاً أميناً متصدقاً صائماً له سمعة طيبة ، هذا الشعور الذي ينتاب الأب لا يقدر بثمن ، وأنا أقول دائماً: الأب حينما يعتني بأولاده هو يعتني بنفسه دون أن يشعر ، حينما يعتني بتربيتهم ، حينما يعتني بمستقبلهم ، أحياناً يرسل الأب ابنه إلى بريطانيا مثلاً، لا يفكر في الأخطار التي قد تنجم عن هذا السفر ، لا بد من أن يؤمّن له مكاناً فيه حفظ ، فيه أصدقاء مؤمنون ، رعاية مستمرة هناك ، وإلا إذا زلت قدمه وعاد منحرفاً ماذا استفاد من هذا العلم ؟ كارثة كبيرة جداً .

المذيع :

دكتور إذا كان الرسول صلى الله عيه وسلم يسأل كما في حديث ميمونة أنه عليه الصلاة والسلام حينما دخل عليها قال : هو لا يسأل عن ابنه وإنما يسأل عن ابن أختها فيقول أصلى الغلام ؟ أي هذا تفقد جميل .

الدكتور راتب :



أحياناً المرأة تقول : أنا ليست مضطرة أن أبقى في البيت ، وأنا يخطر في بالي أن هذا الطيار الذي يقود الطائرة سبعمئة وسبع وسبعون ويوجد معه أربعمئة راكب ، وغرفته صغيرة جداً ، إذا شكا ضيق غرفته وقال : لن أبقى هنا ، ولكن يوجد أربعمئة راكب ؟ هذا أخطر مكان في الطائرة ، بمعنى أن أخطر مكان في الحياة الزوجية هو البيت ، حينما تكتفي المرأة بمال زوجها ، وزوجها يقدم لها كل شيء ، وتتفرغ لتربية أولادها ، تكون قد عبدت ربها فيما أقامها ، حينما تتفرغ لتربية أولادها ، أنا فيما أعلم في بعض المجتمعات الغربية أعلى وصف للمرأة أنها سيدة منزل ، أي متفرغة لأولادها ، أي خطأ للأولاد كنت أقول دائماً : أخطاء أولادنا نحن نحاسب عليها قبل كل شيء ، بل نحن المسؤولون عنها .

المذيع :

فضيلة الدكتور كنت قد ضربت أمثالاً جميلة عن المرأة التي تعمل وتخرج وتترك بيتها وراءها بقائد الطائرة ، هل سلطت الضوء عليه قليلاً فضيلة الدكتور ؟

الأصل في العبادة أن تعبد الله فيما أقامك أيها الإنسان :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن الأصل في العبادة أن تعبد الله فيما أقامك أيها الإنسان ، أنت أيتها المرأة أقامك الله زوجة وأماً ، فحينما تحسن رعاية الزوج وتربية الأولاد ، والتربية تعني أشياء كثيرة ؛ هناك تربية إيمانية ، وتربية أخلاقية ، وتربية علمية ، وتربية اجتماعية ، وتربية نفسية ، وتربية جنسية ، فحينما تعتني المرأة بتربية أولادها هي في أعلى عليين ، هي مع النبيين والصديقين ، هي لأنها قدمت للمجتمع عناصر طيبة ، والآية الكريمة :

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾

[سورة آل عمران:36]

لكن الله قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾

[سورة آل عمران: 36]

هذه الأنثى سوف تنجب سيدنا عيسى ، فأية امرأة حينما تتصور أن ابنها قد يكون قائداً عظيماً ، أو مصلحاً كبيراً ، أو داعية كبيراً ، كل أعماله في صفيحتها ، شيء رائع جداً لأن الله عز وجل يحبنا أن نتاجر معه ، لأن الأم إذا ربت أولادها كل أعمال أولادها في صفيحتها ، بل أعمال أولاد أولادها في صفيحتها ، بل أعمال أولاد أولاد أولادها في صحيفتها ،فحينما تعي المرأة خطورة دورها في المجتمع ، وأنها إذا ربت أولادها على طاعة الله ، وعلى محبته ، وعلى التفوق ، وعلى خدمة الأمة ، فكل أعمالهم في صحيفتها .

المذيع :

دكتور ويهون عليها ما تلاقيه وكما قيل : لكل روعة لوعة .

تربية الأولاد طريق إلى الجنة :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن هذه الدنيا دار ابتلاء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، قد جعلها الله دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً ، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي ، فإن هذه المرأة حينما تؤمن أنها باستطاعتها أن تصل إلى أعلى درجة في الجنة من خلال تربية أولادها حينئذ تعرف خطورة مهمتها .

في الحقيقة يوجد مسؤولية كبيرة جداً وقد تصل بتربية أولادها إلى أعلى عليين ، وأنا من خلال علاقتي مع الناس كثير من الأخوة الكرام يقولون لي : رحم الله والدي دلني على الصدق ، أمرني بالأمانة ، أصلي الفجر يومياً في الجامع ، أنت لا تعلم مقدار الأثر الذي يتركه الأب والأم في تربية الأولاد ، وكأن هذه التربية طريق إلى الجنة ، إذاً النبي الكريم قال :

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أخرجه الطبراني عن أبي بردة بن نيار]

الولد امتداد للأب والأم .

المذيع :

دكتور في القرآن الكريم الولد هبة من الله أليس كذلك ؟ والله عز وجل أشار في القرآن الكريم أن الإنسان إذا أراد أن يحفظ أبناءه كما قال في سورة النساء :

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾

ما علاقة التقوى والقول السديد بصلاح الأبناء ؟

علاقة التقوى والقول السديد بصلاح الأبناء :

الدكتور راتب :

الحقيقة العبد الفقير يرى أن بادئ ذي بدء الأب المنضبط وفق الشرع ، والأم المنضبطة وفق الشرع هذه أول درجة في التربية ، لو نشأ على أب صادق ، أب عفيف ، أب منتج ، أب شجاع ، فهذه التربية لها أثر كبير جداً ، أنت لا تدري الابن يتعلم من أمه وأبيه فيكفي أن يكون الأب كما أراد الله ، والأم كذلك ، فالأولاد ينشؤون على أعلى الدرجات ، إذاً التربية درجات ؛ أحدها القدوة ، القدوة قبل الدعوة .



الآن عندي سؤال ثان : بالثقافة الإسلامية كل أب محترم ، الثقافة الإسلامية ثقافة هذه الأمة، الأب محترم جداً ، لكن لي تعليقاً خطيراً : ما كل أب محترم محبوب ، فالبطولة لا أن تكون محترماً فقط ينبغي أن تكون محبوباً ، لأن الذي يأتي عن طريق الحب لا يأتي عن طريق الاحترام ، فالأب حينما يكون محبوباً ، فأنا مثلاً أتمنى أن يكون البيت جنة ، جنة ليس بفخامته ، ولا بمساحته ، ولا بنوع الطعام ، جنة في الود بين الزوجين ، فحينما يرى الابن المودة البالغة بين أمه وأبيه فإذا تزوج يرى المودة هدفاً ، أما إذا رأى الصياح والشتائم والخلاف والخصومة بشكل مستمر فيأخذ فكرة عن الزواج خطيرة جداً ، أخطر شيء مع البنات ، حينما ترى البنت أمها معذبة دائماً تكره الزواج ، لذلك التفلت أحياناً من الدين أحد أسبابه خيبة أمل بعض الناس بالدين .

المذيع :

دكتور ينتج كذلك عدم التزام الآباء والأمهات يتنج أبناء وبنات لا يلتزمون أبداً .

الدكتور راتب :

الحقيقة القسوة والبخل يصغران دين الأب ، القسوة مع الأولاد والبخل يصغران دين الأب ، يكرهون الصلاة لأن أباهم يصلي ، لأنه قاس ، بخيل ، فلذلك الكلام الدقيق : يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حبّ من أحسن إليها ، أن أذكر الآباء : لا يكفي أن تكون محترماً ينبغي أن تكون محبوباً ، ينبغي أن يشد بيتك أولادك إليه ، ينشدون إليه ، فلذلك العناية في البيت ، العناية بالأولاد ، العناية بالطعام أحياناً ، هذا يشد الطفل لبيته ، والله هذا كلام دقيق ، والله نحن بحاجة ماسة إليه .

المذيع :

دكتور في الحديث عن أمانات الأسرة أحياناً يصدر أو يبدر من الزوج بعض الأخطاء ، ويصدر من الزوجة بعض الأخطاء ، نحن نعلم أن الإسلام عالج هذه الأخطاء بمنطق الصبر ، أو بقيمة الصبر ، أو بمنهاج

الصبر ، الذي جعله الله سبحانه وتعالى قانوناً أسرياً مباركاً ، وكذلك ربما المرأة أو البنت التي لا يحالفها الحظ فلا تتزوج ، وكنا قد تحدثنا في حلقة سابقة عن خطورة العنوسة كذلك يطلب منها الصبر أليس كذلك ؟

الصبر يمتص متاعب الحياة و يوفى صاحبه أجره بغير حساب :

الدكتور راتب :

وعاء البخار ، هناك وعاء أساسه ضغط البخار ، هذا الوعاء يوجد له صمام أمان ، له فتحة صغيرة عليها غطاء بلاستيكي ، هذا الغطاء البلاستيكي يذوب من الحرارة فينفذ البخار من هذا الثقب فلا ينفجر هذا الوعاء، وأنا أقول هكذا الصبر يمتص كل المتاعب ، ولكن إذا قرأت قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[سورة الزمر:10]

كل عمل صالح له أجر ، إلا أن الصبر وحده يعطيك الله عز وجل للتقريب شيكاً لا يوجد فيه رقم ، ولكن يوجد فيه توقيع اكتب الرقم الذي تريده :

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

[سورة الزمر:10]

فكان الله عز وجل أرادنا حينما نعالج قضايانا إذا كان هناك متاعب أو ضغوط معينة أو ضيق ذات يد أن نصبر .

المذيع :

دكتور في مسألة اختلاف الطبائع قال صلى الله عليه وسلم :

((لا يَفْرَك مؤمن مؤمنة إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر))

[أحمد عن أبي هريرة]

الصبر صمام أمان لكلّ مشكلة في البيت :

الدكتور راتب :

الحقيقة أنا أتمنى إذا نشب خلاف بين الزوجين أن يسأل ، أحياناً أنا يأتيني أخ من باب الموعظة يشكو لي زوجته ، وهو قريب من تطليقها ، فأفاجئه وأقول له : تخونك ؟ فقال لي: معاذ الله يا أستاذ ما هذا الكلام ! فقلت له : سيئة الخلق ؟ فقال لي : لا والله ، فقلت له : طبخها جيد ؟ فقال لي : طبخها جيد ، فأنا أستدرجه

إلى ميزاتها ثم يستحيي ، وأحياناً قد يكون الإنسان منزعجاً من قضية واحدة فهو يمكن أن يكبرها إلى درجة أن يصل إلى الطلاق ، لذلك امرأة جاءت الرسول الكريم قالت : " يا رسول الله ! إن زوجي تزوجني وأنا شابة، ذات أهل ، ومال ، وجمال ، فلما كبرت سني ، ونثر بطني ، وتفرق أهلي ، وذهب مالي ، قال : أنتِ عليّ كظهر أمي ولي منه أولاد – الآن دقوا – إن تركتهم إليه ضاعوا – أنا أربيهم – وإن ضممتهم إلي جاعوا – هو يعمل ويكسب رزقاً ليطعمهم وأنا أربيهم– " .

شاهد الأدوار المتكاملة بين الزوجين ، فبكى النبي الكريم وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، وقد روي أن سيدنا عمر رضي الله عنه رأى هذه المرأة وهو يمشي في الطريق وكان يركب دابته فنزل عن دابته احتراماً لها ، فقيل له : لماذا فعلت هذا ؟ قال : ألا أستمع إليها وقد سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ؟ فالمرأة لها بالإسلام مكانة كبيرة جداً لكن الصبر كما قلت هذا الوعاء البخاري يوجد فيه صمام أمان ، وكأن الصبر صمام أمان لكل مشكلة في البيت .

المذيع :

دكتور حتى تطبيقات الرسول صلى الله عليه وسلم لما جاء ضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى بيوته من كان عندها طعام فلترسل طعاماً ، فسبقت إحدى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عائشة بإرسال الطعام ، فضربت عائشة الغلام فسقطت القصعة وانكسرت فقال صلى الله عليه وسلم وأخذ يلمها عن الأرض ويقول : غارت أمكم ، صبر جميل جداً جداً ، و بيوت الأنبياء يوجد فيها كما يوجد في بيوتنا .

الدكتور راتب :

بالمناسبة لولا أن النبي بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر لولا أنه بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر .

خاتمة و توديع :

المذيع :

دكتور حقيقة كنت أريد أن أبقى معك أكثر من ذلك لكن الوقت قد داهمنا .

أعزائي المشاهدين للأسف الشديد داهمنا وقت البرنامج مرة أخرى كالعادة نعود بكم بإذن الله تعالى في حلقة مقبلة في ربيع الإيمان ، الذي نتفيأ ظلاله مع فضيلة الدكتور المربي محمد راتب النابلسي جزاك الله خيراً دكتور ، وأنتم أعزائي المشاهدين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الفصل الثالث : الإرث و الأسرة

الدرس (2-1) : الإرث

الدرس (2-2) الظلم بالميراث

الدرس (1-2) : الإرث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمدٍ الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الفرق بين الفرض والواجب :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس الخامس من دروس سورة النساء، ومع الآية السابعة، وهي قوله تعالى:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾

المفروض يحتاج إلى فارض، فمن هو الفارض؟ إنه الله، قضية الإرث فرضها الله بذاته العلية، ولم يسمح لأحد من خلقه أن يتدخل فيها، ولو أنه تركها للخلق لكانت العلاقات الاجتماعية والضغوط والمحاباة سبباً في ظلم الناس بعضهم بعضاً، فلذلك أمور الإرث فرضها الله بنفسه، ولم يسمح للنبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق، وحبيب الحق أن يكون الأمر فيها إليه، الأمر لله وحده:

﴿ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾

والفارض هو الله، وهناك فرق بين الفرض والواجب، الفرض يأتي من الأعلى، أما الواجب فينبع من الأدنى، فلان يقوم بواجبه طوعية، وفلان فرض عليه هذا الأمر من أعلى، فالفرض من أعلى، أما الواجب فمن أدنى.

أيها الأخوة الكرام، يروي العلماء أن هذه الآية نزلت في أوس بن ثابت الأنصاري، توفي، وترك امرأة يقال لها: أم كجة، وثلاث بنات له منها، فقام رجلان هما ابنا عم الميت، ووصياه يقال لهما: سويد وعرفجة، فأخذا ماله، ولم يعطيا امرأته وبناته شيئاً، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء.

عدم إعطاء البنات حقهن أحد أنواع الجاهلية :

الآن إذا احتال الأب الغني، وخص بماله أولاده الذكور، وحرم الإناث أليس هذا العمل جاهلياً؟ ويفعل هذا العمل كثير من أغنياء المسلمين، ويفعل هذا العمل كثير من أبناء بعض المناطق، ظنّاً منهم أن البنت إذا نالت من أبيها شيئاً انتقل المال إلى زوجها، وهو غريب عن العائلة، وهذا كلام مخالف للحقيقة، ومخالف لمنهج الله عز وجل، بل إن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض ما روي عنه:

((إن أحدكم ليعمل في طاعة الله ستين عام ثم يضار في الوصية فتجب له النار))

[ورد في الأثر]



يعبد الله ستين عاماً، فإذا اقترب أجله حرم البنات وخص الذكور، بشتى الدعاوى، قد يكتب الذكور على أبيهم سندات عالية جداً، فإذا أبرزوا هذه السندات أخذوا كل مال أبيهم، هذا الإله العظيم الذي أمرك أن تعبده لا تخفى عليه خافية، هناك من يهرب من إعطاء البنات حقهن، هذا له عند الله عقاب شديد، لأن المرأة عند الله مساوية للرجل في حقوقها، وفي واجباتها، مساوية له في التكليف والتشريف والمسؤولية، فكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء.

كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً، ويقولون: لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف.

مع أن المنطق أن تعطي الصغير قبل الكبير، لأن الكبير اشتد عوده، له بيت، وله سيارة، وله زوجة، أما هذا الصغير إذا مات أبوه، وتركه صغيراً لا شيء عنده، لذلك الجاهلية في بعض الآيات وصفت بأنها الجاهلية الأولى، وفي هذا إشارة إلى أنه سوف تكون هناك جاهلية ثانية، فعدم إعطاء البنات حقهن من آبائهن أحد أنواع الجاهلية.

ويقولون: لا يعطى إلا من قاتل على ظهور الخيل، وطاعن بالرمح، وضارب بالسيف، وحاز الغنيمة، فذكرت أم كجة ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهما، فقالا: يا رسول الله، ولدها لا يركب فرساً، ولا يحمل كلاً، ولا ينكأ عدواً، فقال عليه الصلاة والسلام: انصرفا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن، فأنزل الله هذه الآية رداً عليهم:

﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾

لذلك التلاعب بالإرث تلاعب بدين الله، لا شأن لك أن تقول: هذا فقير، وهذا غني، وهذه البنت لها زوج ميسور الحال لا أعطيها، هذا ليس من شأنك، هذا شأن الشرع، والشرع محكم في حياتنا، وليس منطقنا الأعوج محكماً في الشرع.

الإرث من حق الأولاد جميعاً بحسب الفرائض التي فرضها الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، أتمنى على كل أخ كريم مسلم أن يكون دقيقاً في توزيع ماله وفق شريعة الله لا وفق مزاجه الشخصي، والله أنا أستمع أحياناً إلى شكاوى من بعض الأخوات لا يسامحن آباءهن ولا قيد أنملة، لأنه حرمهن من الإرث، فهذا الإرث من حق الأولاد جميعاً بحسب الفرائض التي فرضها الله عز وجل:

﴿ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾

أثبت الله تعالى للبنات نصيباً في الميراث، ولم يبين كم هو، قال:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾

من قِبَل الله عز وجل، النقطة الدقيقة أن الله تولى بنفسه توزيع أموال المتوفى، ولم يَدَعْ هذا للنبي عليه الصلاة والسلام، لذلك لا يملك أحد على وجه الأرض أن يعدل في نظام الميراث، لأنه نصيب مفروض من قبل خالق الكون، ولم يبين كم هو، قال:

﴿ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ﴾

[سورة النساء: 11]

فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى سويد وعرفجة ألا ينفقا من مال أوس شيئاً، فإن الله جعل لبناته نصيباً، ولم يبين كم هو حتى أنزل الله عز وجل: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ).

الله تعالى جعل أصل التوزيع نصيب المرأة :

ما هي الوحدة التي بموجبها توزع الأموال؟ نصيب الأنثى، ما قال: للنساء نصف حظ الرجال، الأصل هي المرأة، قال:

﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾

فجعل الله أصل التوزيع نصيب المرأة، لا تدققوا فيما آلت إليه المرأة في عصور التخلف، التي آلت إليه جاهلية ثانية، أما المرأة في أصل القرآن الكريم ونصوص النبي عليه الصلاة والتسليم لها حقوق لا تدانيها حقوق في أية أمة من أمم الأرض، من منكم يصدق أن المرأة في الجاهلية كانت تُوَرَّث وكأنها قطعة أثاث، تورث؛ ترك بيتاً وسريراً وخزانة وزوجة، هكذا، كانت المرأة تورث، فإذا هي في الإسلام كائن له شخصية مستقلة ترث وتورث، ولها الحق في إدارة مالها، بشرط ألا تسبب للأسرة متاعب هي في غنى عنها.

قال بعض العلماء: نَصِيباً مَفْرُوضاً، هو كقولك قسماً واجباً، وحقاً لازماً، أيها الأخوة، هذا الكلام يدعونا إلى أن نقدس نظام الميراث في الإسلام، لو عندك من الوقت لتقرأ القوانين التي ابتدعها كبار العلماء في الأمم السابقة لوجدت أن نظام الإسلام أروع نظام على وجه الأرض، لأنه نظام خالق الكون، لأنه تشريع الصانع، والصانع هو الخبير، لكن ما الذي يحدث؟ رجل ترك أموالاً، وترك ورثة، وحول هؤلاء الورثة أقرباء وجيران وفقراء، فهؤلاء الأقرباء والجيران والفقراء ينظرون إلى هذه الأموال كيف توزع؟ كي نستل الحقد من قلوبهم، وكي نطيب نفوسهم، وكي نجعلهم يلتفون حول هذا الذي توفي، أو حول ورثته بالعناية والرعاية، يقول الله عز وجل:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾

الزكاة تطهر نفس الغني من الشح و نفس الفقير من الحقد و الحسد :

أرأيت إلى هذا الشرع:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾



ماذا نفهم من هذا الحكم؟ تطلب أحيانا طعاماً، فيحمل لك الطعامَ صانع فقير، ألا يشتهي هذا الذي نقل لك الطعام أن يأكل قطعة، إن أخذت هذا الطعام النفيس منه، وصرفته ألا يحقد عليك؟ هو إنسان يشتهي أن يأكل، فكل إنسان حضر قسمة، أو حضر طعاماً، أو حضر توزيعاً، ينبغي أن تطعمه من هذا الطعام، طبعاً الأصل أن هؤلاء الأقرباء الذين لا يرثون، وأن هؤلاء الجيران الذين لا نصيب لهم من هذا الإرث، لكنهم حولكم أيها الورثة، هؤلاء الذين حضروا القسمة رأوا كيف توزع الأموال، كيف تقسم هذه الأموال غير المنقولة والمنقولة، ما الذي يمنع أن تعطي هؤلاء الذين حولك من الفقراء والمساكين والجيران والأقرباء شيئاً تطيب به قلوبهم، أساساً حينما قال الله تعالى عن الزكاة:

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾

[سورة التوبة: 103]

إذا دفع الإنسان زكاة ماله طهر من الشح، وإذا أخذ الفقير زكاة الغني طهر من الحقد، والآن حينما يرى الفقير البيوت والمركبات والمطاعم والفنادق والطعام النفيس، والثياب الجميلة، والنساء السافرات الكاسيات العاريات، وهو محروم من مأوى يسكنه، من طعام يأكله، من ثياب تستره، ماذا يفعل الغني حينما يخرج بزينته أمام الفقير؟ يملأ قلبه حقداً، ويملأ قلبه جريمة أحياناً، لذلك المجتمع الإسلامي فيه تعاون، وفيه تكافل، المجتمع الإسلامي فيه تراحم، المجتمع الإسلامي غنيه متواضع وسخي، وفقيره متجمل وعفيف، أما حينما خرج على قومه بزينته كقارون فقد قال تعالى:

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴾

[سورة القصص: 81]

خسفنا به، فإياك أن تتباهى بطعامك وشرابك وبيتك، إياك أن تزرع الألم في قلوب الآخرين، إياك أن تزرع في قلوبهم الحقد، إياك أن تتباهى بما أكلت، وما شربت، وأين سافرت، وفي أي فندق نزلت، ومع من سهرت، هذا كلام الجهلاء، قل كلاماً يؤلف القلوب، ولا تقل كلاماً يبث الأحقاد، تحدث عن الله يجتمع الناس حولك، تحدث عن نفسك يتألم الناس منك، فعوِّد نفسك على أنّ هذا الذي أمامك إنسان.

الوصية الواجبة من الآية التالية :

مثل بسيط، يركب إنسان بمركبة عامة، ويجلس إلى جانبه إنسان مع طفل صغير، يأكل الفستق والفواكه والموز، ولا يخطر بباله أن يضيّفَ الصغير شيئاً مما يأكل، هذا وحش، إنسان يشتهي ما تأكل، بالمقابل لا تعطِ ابنك إلى مدرسته شيئاً غالي الثمن، أحيانا يعطيه خمسمئة ليرة، وهو في الحضانة، يعطيه أكلات ثمنها مئة ليرة فما فوق، له رفيق فقير:

((ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقُتَار قدرك إلا أن تغرف له منها))

[ابن عدي والخرائطي في مكارم الأخلاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

الإسلام فيه تعاطف، المؤمن الكريم متواضع، يشعر بمن حوله، لا ينفرد في طعام أو شراب:

((وإذا اشتريت فاكهة فأهد له فإن لم تفعل فأدخلها سِرًّا ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقُتَار قدرك إلا أن تغرف له منها))

[ابن عدى ، والخرائطي في مكارم الأخلاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده]

آية واحدة يبنى منها مئة حكم.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ ﴾

قريب محجوب، محجوب بالمصطلح الفقهي، والمعنى أنه لا يرث، العلماء استنبطوا الوصية الواجبة الآن من هذه الآية، يعني إنسان مات في حياة والده، أولاده لا يرثون، الوصية الواجبة انطلاقاً من هذه الآية أعطتهم نصيباً، لآن المتوفى جدهم، ولأن أباهم مات في حياة جدهم يأخذون شيئاً، إذاً الوصية الواجبة جاءت لتقرر هذه الآية هؤلاء حضروا القسمة، توفي جدهم، وأعمامهم أخذوا، هم لم يأخذوا، لأن والدهم توفي في حياة جدهم.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾

قس عليها حالات لا تعد ولا تحصى، جاء إليك إنسان بطعام فأطعمه منه، جاء لك بفاكهة فأطعمه منها، قدم لك خدمة فأعطه ما يقابلها كي تستل منه الحق، وكي تزرع في قلبه الحب.

الإنسان مأمور بالعدل والإحسان :

أخواننا الكرام، نحن الآن في أمس الحاجة إلى الحب، عندنا مساجد، وعندنا مكتبات، ونعقد مؤتمرات، لكن الحب الذي كان بين الصحابة نفتقده اليوم، ينبغي أن نؤسس هذا الحب، على التبادل، وجبت محبتي، كما قال الله عز وجل في الحديث القدسي:

((وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ))

[أخرجه الترمذي عن أبي إدريس الخولاني]

((والمُتَحَابّونَ فيّ جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النّبِيّونَ وَالشّهَدَاءُ))

[رواه أحمد عن عبادة بن الصامت]



أنا أرى أنه من واجبنا جميعاً أن يحب بعضنا بعضاً لا بالكلام ولكن بالفعل، إذا زرت أخاك، إذا أعنته، إذا تفقدت أحواله، إذا أعطيته، إذا استنصحته، إذا رفقت به أحبَّك، فالنبي أمرنا بأسباب الحب، ونهانا عن أسباب البغضاء:

((كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه، وعرضه، وماله))

[مسلم عن أبي هريرة]

بالعكس في آية أخرى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾

[سورة النساء: 29]

كيف؟ لي جيبان نقلت ألف ليرة من جيب إلى جيب، فماذا فعلت؟

﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾

أي؛ لا تأكل مال أخيك، الله سماه مالك، هو مالك من زاوية واحدة، من زاوية وجوب الحفاظ عليه فقط، فإذا كنت مكلفاً أن تحافظ عليه فلأن تمتنع من أكله من باب أولى، تماماً لو قلت لرجل أعرته مركبتك: عدَّها سيارتك، ما معنى ذلك، تتملكها يعني؟ لا، أن تعتني بها وكأنها سيارتك،

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾

يعني مال أخيك مالك، من زاوية وجوب الحفاظ عليه وكأنه ماله، إذاً:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى ﴾

الأقرباء الذين لا يرثون بالنصيب المفروض، بالمناسبة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: 90]

كما أنك مأمور بالعدل فأنت مأمور بالإحسان، العدل: توزيع الأموال وفق النصيب المفروض، والإحسان:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ﴾

العدل: قسري، والإحسان: طوعي لكنك مأمور بالعدل والإحسان.

العدل نصيب مفروض فهو قسري أما الإحسان فهو طوعي :

أيها الأخوة الكرام، ألف قضية لا تستقيم على العدل، لكنها تستقيم على الإحسان، قال لي مرةً أخ: أنا اشتريت هذا المحضر في دكان لإنسان فقير هدمها له بحسب القانون، فسألته: لمَ فعلت هذا؟ قال: ليس له عندي شيء، أنا اشتريت هذا المحضر، وهذا الإنسان ينبغي أن يقدم لي هذا المحل فهدمته، قلت: والله شيء رائع، هذا هو العدل، فأين الإحسان؟ فسكت، والله دفع شيئاً من زكاة ماله، واشترى لصاحب هذا المحل محل في مكان آخر، فإذا كانت القضية لا تستقيم على العدل يسعها الإحسان، عود نفسك أن تكون منفذاً لهذه الآية التي يقرؤها ويتلوها خطباء المساجد من ألف عام عقب كل خطبة:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: 90]

والله التقيت بشخص، طلقت زوجة أبيه، أعطيت حقها كاملة، فابنه من أهل اليسار والغنى، يجعل لها راتباً شهرياً من عشرين عاماً، لا يتغير أبداً، قضية الإحسان قضية واسعة جداً، بالإحسان تحل كل مشكلاتنا، العدل قسري، العدل نصيب مفروض، أما الإحسان فهو طوعي:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُوا الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

الله عز وجل له مقاييس غير مقاييس البشر :

أيها الأخوة الكرام، يقول بعض العلماء: ضيع الناس هذه الآية، وقال الحسن: لكن الناس شحوا أي؛ بخلوا، لكن هذا الحق حق على المحسنين، وعلى المتقين، وعلى المؤمنين (فارزقوهم منه)، يعني أعطوهم جزءاً من هذا الميراث:

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

قال: إذا كانت الأموال قليلة جداً لا تسع من حضر القسمة، ترك شيئاً لا يذكر، لا يحتمل أن تعطي آخر، فإن لم تعطه قال:

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

يعني اعذرونا الوضع في ضيق، والورثة فقراء، والمبلغ قليل، هؤلاء أيتام إن لم تعطهم فلا بد أن تقول لهم قولاً معروفاً، وإن أعطيتهم فينبغي أن تقول لهم كما قال بعض العلماء، هذا المبلغ قليل، لكن إن شاء الله في مناسبات أخرى لا نقصر معك، اعذرنا لقلة هذا المبلغ، وفي كلام آخر هذه هدية، هناك من يعطي ويؤذي، خذ زكاة مالي، لماذا هذه الغلظة يمكن أن تؤدي زكاة مالك دون أن تقول: هذه زكاة مالي، على شكل هدية، على شكل مناسبة، انتهز مناسبة، انتهز أول العام الدراسي فرضاً، بأيام رمضان، بالعيد، يمكن أن تستشف ما يحتاجه هذا البيت، وأن تأتيه بحاجة أساسية دون أن تذله، وأن تقول له: أنت فقير وهذه زكاة مالي:

﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

قال بعضهم: من القول المعروف خذ بورك لك فيه، من القول المعروف وددت لو كان أكثر من هذا، من القول المعروف لا تستحي من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقل منه، انتقِ كلاماً لطيفاً، طيب به قلب الفقير، ولعل هذا الفقير أقرب إلى الله منك، ولعل قلامة ظفر هذا الفقير أعظم عند الله من مئة من أمثالك، لعل الله له مقاييس غير مقاييس البشر.

((ربَّ أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره))

[أخرجه مسلم وابن حبان عن أبي هريرة]

المنطلق من الآية التالية عامل الناس كما تحب أن يعاملوك :

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾

المنطلق من هذه الآية عامل الناس كما تحب أن يعاملوك، لو أنك غادرت الدنيا، ولك أولاد ضعاف كيف تحب أن يعامَلوا بعد موتك؟ فإذا كنت وصياً على أيتام فعاملهم كما تحب أن يعامَل أولادك بعد وفاتك، ارعَ حقهم، وارع أموالهم، وأدبهم، وعلمهم، واعتنِ بهم:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ﴾

في الأيتام الذين تحت وصايتهم، ليعاملوا الأيتام التي تحت وصايتهم كما يتمنون أن تعامل ذريتهم الضعيفة بعد موتهم، هذا المعنى الدقيق:

﴿ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾

لا تنصح بغير كلام الله وسنة رسوله :

أيها الأخوة الكرام، إذا سألك رجل: نويتُ أن أكتب هذا البيت لأولاد الزوجة الجديدة، أحبها كثيراً، وأحرم أولاد الزوجة القديمة، لا تقل له: معك الحق، وتجامله، تكلم بالقول السديد، قل له: لا يجوز، هذا يوجب لك النار، لا تجامله، لا:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ ﴾

لمن يستنصحهم:

﴿ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾

ذكره بالآخرة، ذكره أن هذه البنت الذي حرمتها ربما تقف يوم القيامة تحت العرش، وتقول: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي، لأنه حرمني، حينما تميز الذكور على الإناث فأنت جاهلي، جاهلي بالكلمة العريضة:



﴿ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾

إذا استنصحوا، لا تنصح بغير كلام الله، لا تنصح بغير سنة رسول الله، لا تجامل أحداً، قال: يا رسول الله اشهد . النعمان بن البشير . أني نحلت ابني حديقة، قال: يا نعمان ألك ولد غيره؟ قال نعم، قال: هل نحلتهم جميعاً كما نحلت هذا؟ قال: لا، قال: فأشهد غيري فإني لا أشهد على جور:

﴿ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: 90]

((الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم))

[رواه مسلم عن أبي رقية تميم الداري رضي الله عنه]

قصة عن أكل أموال اليتامى تؤكد عدل الله وحكمته ورحمته :

ثم يقول الله عز وجل:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً﴾

يعني إنما يأكلون في بطونهم مالاً سوف يوجب لهم دخول النار، هذا اسمه مجاز عقلي بما سيأتي، كأن تقول: رعينا الغيث، الماء لا يرعى ولكن يرعى الكلأ، فإذا قلت رعينا الغيث لما سيكون.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾

أيها الأخوة، قضية الأموال قضية خطيرة جداً:

((يغفر للشهيد كل شيء إلا الدَّين))

[مسلم عن عبد الله بن عَمْرو وعن أبي قتادة]

وقد استوقفني مرة إنسان في الطريق، وخرج من دكانه غاضباً، وقال: سمعت اليوم قصة لم أستطع تفسيرها، قلت: تفضل، قال: جاء إنسان إلى محلي التجاري في أحد أسواق دمشق القديمة ليبيع الأقمشة، وليسترزق رزقاً حلالاً لأولاده، سمع صوت إطلاق النار، مد رأسه ليرى من يطلق النار فإذا برصاصة تستقر بعموده الفقري، فشُلَّ فوراً، هو أخذ الحادثة على ظاهرها، قال: ما ذنبه؟ جاء ليسترزق، جاء ليفتح دكانه، والعمل عبادة، فما تفسير هذا؟ قلت: والله لا أعلم، لا يمكن أن تفهم عدل الله من خلال أفعاله، إلا أن يكون لك علم كعلم الله، والله لا أعرف، أنا مؤمن بعدل الله وحكمته ورحمته، أخ كريم بعد عشرين يوماً حدثني عن قصة لم يعلم ما أبعادها عندي، قال لي: لي جار يسكن فوقي، وقد أكل أموال الأيتام، يعني أولاد أخيه لهم عنده ثمن بيت تقريباً، وأكله زوراً وبهتاناً، احتكموا إلى أحد علماء دمشق ممن توفاهم الله عز وجل، هذا العالم جاء بهذا العم ليحمله على إعطاء أولاد أخيه حقهم، فركب رأسه، وقال: أنا لا أعطيهم شيئاً هذا الحاضر، اتجه هذا العالم لأولاد الأخ فقال: يا بني هذا عمكم لا تشكوه إلى القضاء، هو عمكم، ولكن اشكوه إلى الله، هو نفسه الذي أطل من دكانه فاستقرت رصاصة جعلته مشلولاً ثاني يوم الساعة التاسعة، هو نفسه، سألته: أين هو؟ قال: هو له محل في السوق الفلاني، قلت: منذ متى؟ قال: من عشرين يوماً، هو نفسه، فالله كبير.

على الإنسان أن يجعل بينه وبين مال اليتيم هامشاً واسعاً :

بموضوع الأموال يجب أن نخاف الله خوفاً لا حدود له، لأنك لو بذلت أثمن ما تملك، وهي روحك، وعليك دين لا تنجو من عذاب الله، فكيف لو أكلت أموال اليتامى ظلماً؟!

كان عليه الصلاة والسلام إذا دعي للصلاة على أحد أصحابه يقول: أعليه دين؟ فإن قالوا: نعم، قال: صلوا على صاحبكم، ما كان يصلي عليه، فكيف إذا أكل أموال اليتامى ظلماً:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾

هذا العمل سوف يوصلهم إلى جهنم، فالإنسان يعد للمليون قبل أن يأكل درهماً حراماً ليخشَ الله عز وجل، ولاسيما إذا كان المال مال يتيم، بل إن مال اليتيم يقول الله فيه:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾

[سورة الأنعام: 152] z

اجعل بينك وبينه هامشاً واسعاً، هذا هو حكم الشرع، في درس قادم إن شاء الله نتحدث عن آيات المواريث.

أسئلة عامة :

سؤال: قال أحدهم إغلاق العينين في الصلاة من أجل الخشوع يبطل الصلاة؟

الجواب: لا، لا يبطلها، لكن إذا أغمضت عينيك، وأنت تصلي في مكان فيه أفاعٍ، وفيه عقارب، وفيه أخطار لا تستقيم صلاتك، أما إذا دخلت إلى مسجد ورأيته مزخرفاً، هذه الآية والله خطها جميل، وأنت تصلي، وهذه المروحة ما نوعها، وأنت تصلي، لا، أغمض عينيك، أغمضها وارتَحْ، إذا أردت أن تفتح عينيك، وأن تتأمل ما حولك وأنت في الصلاة، لا، الأولى أن تغمض عينيك، أما إذا في مكان، والمكان فيه خطر إذا أغمضت عينيك لا تستقيم صلاتك، تقلق، افتح عينيك.



سؤال: ما حكم الاحتفال بعيد الأم؟

الجواب: أخواننا نحن عندنا ثلاثمئة وخمسة وستين يومَ عيد أم، والأصح عندنا ثلاثمئة وخمسة وستين ضرب اثنين، إذا كانت والدتك قريبة منك، تريد أن تزورها صباحاً ومساء، نحن لسنا أولاداً عاقين، من السنة للسنة مرة، فنحن عندنا في إسلامنا ثلاثمئة وخمسة وستين

يوم عيد أم، أما هذا العيد فهو لغيرنا، هذا العيد لإنسانة تنتظر ثلاثمئة وخمسة وستين يوم يطل عليها بالسنة يوم، ولا يأتي أيام، والله حدثني أخ زار ألمانيا بمعرض، لم يجد فندق، سكن في بيت، قال لي: ما وقعت عيني على حديقة في حياتي أجمل من هذه الحديقة فسألت صاحبة البيت: ما سر ذلك؟ قالت: والله أنا أزينها، لعل أولادي يأتون في العام مرة، أصنع لهم أطيب الطعام، وأعتني بالحديقة كي يجلسوا جلسة، بثلاثمئة وخمسة وستين يوماً تنتظر مجيئهم، يوم كان عندها اعتذروا، فبكت بكاء كادت تموت فيه من الألم، فذهب إلى السوق، واشترى لها الهدايا هو، هذا العيد ليس لنا، هذا العيد لأناس عاقين، قال لي رجل: أنا جئت من بريطانيا لأسكن في الشام، وأنا في بحبوحة كبيرة جداً، وسيارته فخمة جداً، ولديه فيلا، قلت له مداعباً: ما الذي حملك على أن تأتي إلينا؟ قال لي: والله يسكن في بناء مجاور في الطابق الأخير إنسان، في لندن الجو بارد جداً، والأبواب محكمة، والنوافذ محكمة، فمات هذا الجار، ومضى على موته ستة أشهر، وله في لندن أربعة أولاد أو خمسة، لم يخطر في بال أحد أولاده أن يأتيه مرة زائراً في هذه الأشهر فرأى مصيره، أراد أن يعود إلى بلده، هذا العيد لهؤلاء، لهؤلاء العاقين، أما نحن فعندنا ثلاثمئة وخمسة وستين عيد أم، كل يوم.

ما حكم النظر إلى النساء؟

لزوجتك مباح من دون قيد أو شرط، لمحارمك بثياب الخدمة، للأجنبيات محرم.

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

[سورة النور: 30]

سؤال: قال معظم المسلمين ممن يكونون مؤدين لأمور العبادة بشكل كامل، من صلاة، وزكاة، وصيام، وغير ذلك، ولكنهم لا يقومون بتقويم أسرهم، وإرشادهم، حيث إنك تجد معظم الأسر يتبعون المسلسلات والأفلام، ويستمعون إلى الأغاني دون أن يوجهون أهليهم بالنصح والتوجيه، فهل هذه العبادات تصح منهم بحيث أنها أصبحت عبادة سلبية لا أثر فيها.

الجواب: لا بد أن يستمروا على عبادة الله، ولكن ينبغي أن يجمعوا معها الاستقامة على أمر الله، من أجل أن يقطفوا الثمار الصحيحة.

سؤال: هل يجوز توزيع الزكاة خارج البلد الذي جمعت فيه؟

الجواب: الأصل أن توزع الزكاة في البلد التي جمعت منه الزكاة، لأن فقراء هذا البلد أولى بزكاة الأغنياء الذين هم سبب غناهم من بلد آخر، إلا لمصلحة راجحة، إذا أنت عندك بيت لكن غيرك ليس عنده بيت، هدم بيته، فإذا كان في مصلحة راجحة، ولك طريق آمن إليهم، يجوز أن تنقل أموال الزكاة من بلد إلى بلد.

سؤال: هل يجوز الدعاء في صلاة الفرض؟

الجواب: هي الصلاة دعاء، أما يا رب زوجني فلانة بنت فلان خائنة، ومثل هذه التفاصيل في الدعاء تفسد الصلاة، يا رب أريد دولارات مثلاً، أي اسم لم يرد في الأدعية المأثورة فثمة مشكلة، لأن الصلاة دعاء.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-2) الظلم بالميراث

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أيها الإخوة الكرام، قبل حين سألني أخ كريم: كيف تنتقي موضوعات الخطبة ؟ قلت له: من بعض الأسس التي أعتمدها في اختيار الموضوع أنني في مدة شهر أو أقلّ أو أكثر الاتصالات الهاتفية التي تعرض علي مشكلات المسلمين، لو أن سبعين بالمئة من المشكلات تحوم حول موضوع واحد اخترت هذا الموضوع للخطبة، وأنا من شهر تقريباً أعالج مشكلات أفضى بعضها إلى الطلاق بسبب عدم العدل في توزيع الإرث، أو بسبب حرمان الزوجات، أو حرمان البنات، فلذلك هذا الموضوع من صلب الدين.

حرمان الإناث من الميراث

1 – حرمان الإناث من الميراث مِن عمل الجاهلية الأولى:

الحقيقة الأولى في هذه الخطبة: حرمان الزوجات من ميراث أزواجهن، وكذلك حرمان البنات من ميراث آبائهن من فعل الجاهلية، لأن الجاهليين هم الذين يحرمون الإناث من الميراث، لأنهم يقولون: إنما يستحق الإرث من يحمي الدماء، ويحمل السلاح، فهم يحرمون النساء والصغار من الميراث.

2 – الإسلام أعطى المرأة حقَّها من الميراث:

والله جل في علاه جعل للزوجات ميراثاً، لقوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾

(سورة النساء)



كذلك جعل للبنات نصيباً من ميراث آبائهن، فقال تعالى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾

(سورة النساء)

هذا هو دين الإسلام الذي أنصف المرأة فأعطاها نصيبها، قال تعالى:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾

(سورة النساء)

لذلك أيها الإخوة، حرمان البنات من الإرث عادة جاهلية أبطلها الله عز وجل بنص القرآن وبآيات قطعية الدلالة، فحرمانهم من العقار أو من الأنواع المرغوب بها كمحل تجاري رائج جداً، أو عقار في موقع ممتاز جداً، حرمان البنات من عقار أو من محل له نتائج خطيرة، وهذا أيضاً نوع من الحرمان.

أيها الإخوة الكرام، في الحديث الشريف الصحيح:

((مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ))

[مسلم]

الحكم الشرعي فيمن أخذ فوق ما يستحق

لكن ما الحكم الشرعي فيمن أخذ فوق ما يستحق ؟ قال: فإن لم يستطع التغيير بحال من الأحوال فواجبه عندئذ أن يتخلص مما هو زائد على حقه، ويقسمه بين الورثة، فإن لم يستطع إقناع بقية الورثة بإحقاق الحق والتوزيع وفق الكتاب والسنة فليتخلص مما ليس له.

كثير من المغتصبين ذوو كفاءات علمية ، بل من رواد المساجد !!!

لكن الذي يلفت النظر أن من يستبد ويظلم ليس جاهلاً، ولا أمياً، ولا إنسانا غير سوي بالمفهوم المصطلح عليه، بل إن بعضهم يعملون في المحاماة والهندسة والتجارة، ويديرون أعمالاً، ويعرفون حقوق وواجبات الأهل والأبناء والأصدقاء، ولكن يتجاهلون حقوق الميراث، ميراث إخوتهم من البنات، بل إن بعض الذي

يحرمون البنات من رواد المساجد، وكنت أقول لكم دائماً ومرات عديدة: الدين الحقيقي ليس في المسجد، وأنت توزع الإرث، وأن تهب أولادك وبناتك، وأنت في دكانك، وأنت في عيادتك، وأنت في مكتب المحاماة، وأنت في الحقل، وأنت في متجرك، الدين أن تكون مستقيماً على منهج الله، تأتي العبادات الشعائرية التي في المسجد كي تقبض الثمن، أما من دون أن تستقيم على أمر الله فلا معنى للعبادات الشرعية، و كنت أقول مئات المرات: الصلاة والصيام والحج والزكاة إن لم تسبقها استقامة على منهج الله فلا قيمة لها عند الله،

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

[ورد في الأثر]

أيها الإخوة الكرام، حينما يستفتي إنسان من يعمل في الحقل الديني، ويقره على ذلك، فالإثم مضاعف، لأن الذي يفتي بلا علم يحاسب عند الله، لكن الذي يفتي بخلاف علمه له حساب أشد بكثير.

لو جاز التفضيل في عطية الأولاد لفضّلت النساء

أيها الإخوة الكرام، هل تصدقون أن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض أحاديثه يقول: لو كنت مؤثراً لفضلت النساء على الرجال.

((سووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء))

[رواه الطبراني في الكبير بسند فيه ضعف]

لأنهنّ أكثر طواعية، وأكثر حباً، وأكثر وفاءً لآبائهم، لو كنت مؤثراً لفضلت النساء على الرجال.

قسمة الميراث تولى الله أمرها في القرآن جملةً وتفصيلاً

ولكن الحقيقة التي سوف أعدها محور هذه الخطبة أن الله جل في علاه لم يسمح لنبيه المصطفى المعصوم الذي هو سيد الخلق وحبيب الحق أن يتولى توزيع التركة، بل تولاها الله بذاته العلية في القرآن الكريم، فأحكام الميراث ليست في السنة، ولكنها في الكتاب بواضح الآيات ذات الدلالة القطعية.

أيها الإخوة الكرام، يقول الله عز وجل:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً ﴾

(سورة النساء)

مِن قِبَل مَن ؟ مِن قِبَل الواحد الديان، مِن قِبَل قيوم السماوات والأرض، مِن قِبَل الذي أنزل القرآن.

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾

(سورة النساء)

مِن هذه الآية أخذت الوصية الواجبة ؛ أن يعطى أولاد المتوفى في حياة أبيه نصيب أبيهم كما لو كان حياً.

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾

(سورة النساء)

الذي يحدث في الأعم الأغلب أن الابن البكر يأخذ أكبر نصيب، ويشتري له بيتًا، ويزوجه، ويدخل معه في المحل التجاري، وله نصف الأرباح، وله أخ صغير، لكن الأخ الأكبر أخذ النصيب الأكبر، ولم يترك للصغير شيئًا، وهذه الآية تقول:

﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾

[سورة النساء]

ماذا يمنع أن يكون نصيب الكبير ديناً عليه، فإذا وزعت التركة طرح هذا المبلغ من نصيبه، فكان العدل أساس هذا التقسيم.

وعيد يقصم الظهر لمن أكل مال اليتيم ظلماً وعدواناً

الآن الآية التي تقصم الظهر:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً ﴾

(سورة النساء)



حينما يأكل الأخ الأكبر حقَّ إخوته الصغار الذين أصبحوا يتامى بعد موت أبيهم.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾

(سورة النساء)

هذا كلام مَن ؟ ليس كلام إنسان لا يعني ما يقول، وليس كلام إنسان ربما لا يستطيع أن يفعل ما يقول، هذا كلام خالق السماوات

والأرض.

أنا أخاطب الإخوة الكبار الذين أخذوا وكالات من أخواتهم البنات الصغار، وبهذه الوكالة العامة ضموا ميراث الأب إليهم، وحرموا أخواتهم البنات وإخوتهم الصغار، أقول لهؤلاء: اقرؤوا هذه الآية، وضعوها دائما أمامكم:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾

(سورة النساء)

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ﴾

(سورة النساء)

هناك فرق بين العدل والمساواة

في النظام الإسلامي تأخذ المرأة المهر، وليس عليها نفقة إطلاقاً، والرجل يدفع المهر، وعليه شراء البيت وتأثيثه، والإنفاق، لذلك العدل غير المساواة، هذه الآية محض عدل، لكن ما فيها مساواة، فالذي يدفع غير الذي يأخذ، هي تأخذ المهر، ونفقتها على أبيها أو على زوجها ليست مسؤولة أن تنفق إطلاقاً، فلذلك يقول الله عز وجل:

آيتان عظيمتان في موضوع المواريث

الآية الأولى:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾

(سورة النساء)

دققوا الآن:

﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾

(سورة النساء)

في موقع معلوماتي طالعته اليوم ذكر إنسانا ترك عشرين مليون ريال في جدة، أي مئتين وعشرين مليون ليرة، ابنته تسكن في غرفة قميئة، وتعيش من الصدقات، وأخوها معه مئتان وعشرون مليونا، لم يعطها شيئاً.

أيها الإخوة الكرام، لأن في هذا الشهر أكبر موضوع جاءني شكوى، أو اتصالا هاتفيا، أو لقاء شخصيا هو أن هناك مضاعفات خطيرة جداً انتهت بالطلاق، أسرتان أو أكثر في هذين الأسبوعين تفككت، وطلقت المرأة، وتشرد الأولاد، لأن الأهل لم يعطوا أختهم شيئاً.

الآية الثانية:

أيها الإخوة الكرام، قال تعالى:

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾

(سورة النساء)

خاتمة وعيدية تحذيرية لتعدي حدود قسمة الميراث

الآن التعقيب الذي جاء بعد آيات الميراث:

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمَنْ يَعْصِ﴾

(سورة النساء)

بأي موضوع ؟ التعليق بعد آيات المواريث ﴿ **وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ** ﴾، في آيات المواريث:

﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

(سورة النساء)

ألا تكفي هذه الآية لمَن تحدثه نفسه ألا يعطي أخته شيئاً ؟

المرأة في عصور التخلف مستضعفة، تجبَر على توقيع وكالة عامة لأخيها، وأخوها يأخذ كل شيء، وقد يعطيها الفتات، وقد علمت أن إنسانا مات في مدينة في الشمال ترك ألف مليون، ترك ابناً وبنتاً، الابن لم يعط أخته شيئاً، والقصة طويلة، وإنسان آخر في دمشق ترك ما يزيد على ألف مليون أحد أولاده يعمل على شاحنة يعيش كفاف يومه، والأخ الثاني باسمه ثمانون محضرا سكنيًّا، هذه وقائع، وأنا لا أخطب من فراغ، لا أختار موضوعا من خيالي، وأكبر مشكلة الآن في مجتمع المسلمين، في مجتمع الذين يقرؤون القرآن، في

مجتمع الذين يرتادون المساجد، في مجتمع الذين يجلسون مع العلماء، ويمجدون دروسهم، ويثنون على خطبتهم، هؤلاء هم أنفسهم الذين يحرمون البنات.

ما جاء في السنة من أحكام الميراث والهبات والعطايا

أيها الإخوة الكرام، هذا في القرآن فماذا في السنة الشريفة ؟

الحديث الأول:

عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:

((تَصدَّقَ عَلَيَّ أَبِي بِبَعْضِ مَالِهِ، فَقَالَتْ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: لَا أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ أَبِي إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُشْهِدَهُ عَلَى صَدَقَتِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أَفَعَلْتَ هَذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ، وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ، فَرَجَعَ أَبِي فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ))

[متفق عليه]

وفي أخرى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((أَلَكَ بَنُونَ سِوَاهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَلَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))

[مسلم]

هل هناك أوضح من هذا الكلام ؟ هل هناك أدق من هذا الكلام، هل هناك أبين من هذا الكلام ؟

وفي رواية أخرى عَنْ النُّعْمَانِ أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشْهِدُ عَلَى نُحْلٍ نَحَلَهُ إِيَّاهُ فَقَالَ:

((أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَ مَا نَحَلْتَهُ ؟ قَالَ: لَا قَالَ، فَلَا أَشْهَدُ عَلَى شَيْءٍ، أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَلَا إِذًا))

[أخرجه البخاري، ومسلم]

وما في البخاري ومسلم من أصح الأحاديث بعد كتاب الله جل جلاله، ورواية ولمسلم عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ:

((أَتَى بِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هَذَا غُلَامًا، فَقَالَ: أَكُلَّ بَنِيكَ نَحَلْتَ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَارْدُدْهُ))

من هنا جاء الحكم أنه مَن أخذ أكثر ما يستحق عليه أن يرد الباقي على إخوته.

والله أعرف شخصين جاءني أخ كريم إلى المسجد، وقد كتب له أبوه كما قلت قبل قليل ثمانين محضرا سكنيّا، ثمنها قريبا من ألف مليون ليرة، قال: وأخي يعمل على شاحنة، وقررت أن أوزع التركة بين إخوتي جميعاً بالعدل، قلت له: والله إن لم يكن لك إلا هذا العمل لكفاك لدخول الجنة، ابن صالح وزع الثروة بأكملها وفق أحكام الإرث الشرعي.

وفي رواية قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((فَارْتَجِعْهُ))

[مالك في الموطأ]

وأخرج أبو داود، والنسائي عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّهُ قَالَ:

((أَنْحَلَنِي أَبِي نُحْلًا، أو قَالَ: نِحْلَةً، غُلَامًا لَهُ، قَالَ: فَقَالَتْ لَهُ أُمِّي عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ: ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشْهِدْهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَشْهَدَهُ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي النُّعْمَانَ نُحْلًا، وَإِنَّ عَمْرَةَ سَأَلَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: فَقَالَ: أَلَكَ وَلَدٌ سِوَاهُ ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكُلَّهُمْ أَعْطَيْتَ مِثْلَ مَا أَعْطَيْتَ النُّعْمَانَ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ الْمُحَدِّثِينَ: هَذَا جَوْرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا تَلْجِئَةٌ، أَلَيْسَ يَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا لَكَ فِي الْبِرِّ وَاللُّطْفِ سَوَاءٌ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَشْهِدْ عَلَى هَذَا غَيْرِي، إِنَّ لَهُمْ عَلَيْكَ مِنْ الْحَقِّ أَنْ تَعْدِلَ بَيْنَهُمْ كَمَا أَنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يَبَرُّوكَ))

العدل ولو في الحديث، ولو في القبل، وفي الابتسامة، والنظرة، أمامك أولادك، عينك على واحد فقط، هذا غلط، اعدلوا بينهم في القبل، وفي الابتسامة، وفي النظرة.

أيها الإخوة الكرام، حديث واضح كالشمس، وآيات واضحة كالشمس والمسلمون لم يأخذوا من الدين إلا العبادات الشعائرية، يقول عامل ثمانية وثلاثين عمرة، بارك الله بك ثم ظلمت بين أولادك يأخذون العبادات الشعائرية ولا يهتمون بالعبادات التعاملية مع أن العبادات التعاملية هي الأصل.

الحديث الثاني:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ :

((أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي تَصَدَّقْتُ عَلَى ابْنِي بِصَدَقَةٍ، فَاشْهَدْ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ وَلَدٌ غَيْرُهُ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَعْطَيْتَهُمْ كَمَا أَعْطَيْتَهُ ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ ؟))

[أخرجه النسائي]

الحديث الثالث:

أما الحديث الذي يقصم الظهر فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:



((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ وَالْمَرْأَةُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِّينَ سَنَةً، ثُمَّ يَحْضُرُهُمَا الْمَوْتُ، فَيُضَارَّانِ فِي الْوَصِيَّةِ، فَتَجِبُ لَهُمَا النَّارُ، قَالَ: وَقَرَأَ عَلَيَّ أَبُو هُرَيْرَةَ مِنْ هَا هُنَا: ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَار ﴾، حَتَّى بَلَغَ: ﴿ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾))

[سنن أبي داود]

خمس صلوات، وصوم، وزكاة، وحج، وطاعة.

الحديث الرابع:

الآن هناك حيلة شرعية، يكتب الأبُ لابنه سندَ دين بمليون ليرة فالدين يحسم من الإرث، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مَنْ فَرَّ مِنْ مِيرَاثِ وَارِثِهِ قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ مِنْ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))

[ابن ماجة بسند ضعيف]

هذا فرار، وحيلة، بأن يعطي قرضًا لابنه أن عليه مبلغا كبيرًا جداً، هذا القرض يحسم من الإرث، ويوزع الباقي، فيكون قد ضر في الوصية، إذاً: حرمه الله ميراثه من الجنة يوم القيامة.

يبدو أنه كانت هناك عادة جاهلية قديمة، السيدة عائشة فيما ورد عنها أنها ذكرت صدقات الناس اليوم، و إخراج الرجال بناتهم منها، كيف يخرج الرجل بناته من ميراثه ؟ تقول: ما وجدت للناس مثلاً اليوم في صدقاتهم إلا كما قال الله عز وجل:

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة الأنعام)

هذه دعوة جاهلية.

العرف إذا عارض الشرع فهو باطل

الحقيقية الأخيرة أيها الإخوة الكرام، إن العرف يبطل إذا خالف نصاً شرعياً، الأعراف والتقاليد تركل بالقدم إذا خالفت نصاً شرعياً، فإذا كان هذا من أعراف المسلمين، أعرفاهم غير إسلامية، بل جاهلية، و خالفت نصاً إسلامياً فينبغي أن ترد، وأن تبطل، وألا يؤخذ بها، بل هي دعوة جاهلية، ينبغي أن تركل بالأقدام.

أيها الإخوة الكرام، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

لا بد من تحكيم الشرع في قضايانا

أيها الإخوة الكرام، أنا أركز على هذه الفكرة كثيراً، لقد ألِف المسلمون أن دينهم دين صلاة وصيام، وحج وزكاة، وفيما ذلك تحكمهم الأعراف والتقاليد، وما عليه الناس، وما يأتيهم عن الغرب، فالمفارقة الحادة أنك تجد المسلم مسلماً في المسجد، أما في معاملاته ففيها بضاعة محرمة، يقول لك: رائجة، الله يغفر لنا، وفي توزيع الإرث حرمت البنات، الأصهار لا يعطون وجها، نخاف أن يذهب المال إليهم فيتحكموا فينا.

ترى إنسانًا لا يحكمه القرآن الكريم، من هو المؤمن ؟ الذي تجده وقافاً عند كتاب الله، الذي تجده وقافاً عند الحلال والحرام، من هو المؤمن ؟ أن يراك حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾

[سورة يونس]

انظر الى اين ينتهي مصيرك ؟!!

أيها الإخوة، دققوا، القبر حفرة في الأرض، أنت حينما تشيع جنازة ألا ترى مصير الإنسان ؟ قد يكون من أغنى أغنياء البلد، قد يكون من أكبر علماء البلد، قد يكون من أقوى أقوياء البلد، أين البيت الفخم ؟ أين المركبة الفارهة ؟ أين المكتب التجاري الرائع ؟ أين الدخل الفلكي ؟ أين الحشم والخدم الذين حوله ؟ أين الأتباع ؟ تركوه، ونزل إلى القبر وحده، ونزل معه عمله، فإن كان عمله كريماً أكرمه، وإن كان عمله سيئاً أسلمه، ألا يا رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

الدين خطير عليكم بأدائه ، ومنه توزيع التركة على الوجه الشرعي

ترى عند المسلمين سبعمئة ألف دعوة كيدية، اغتصاب أموال، اغتصاب شركات، اغتصاب بيوت، ديون لا تؤدى، مع أن النبي عليه الصلاة والسلام قَالَ:

((يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ))

[مسلم، أحمد]

هذا لمن أدى حياته، وهي أثمن ما يملك في سبيل الله، الديون لا تغفر له، فكيف بالذي لا يقيم شرع الله في الميراث، لولا أنها مشكلة عامة، لولا أن سبعين بالمئة حتى أكون دقيقا سبعون بالمئة من الأسر يحرمون البنات، ويعطون الذكور، لم يكن هذا الموضوع، لكن لأنه موضوع ساخن وطاف على السطح، وموضوع متكرر، وموضوع ينتهي بالطلاق، وانتهت أسرتان في أسبوعين إلى الطلاق، لأن الأهل أحجموا عن إعطاء ابنتهم حصتها من الميراث.

لن ننتصر وحالنا كما هو

أيها الإخوة الكرام، ألا تتصور ما هي الأسباب الكبيرة التي وراء أن الله تخلى عنا ؟

هذا حال المسلمين في التاريخ، هكذا كان حالنا ؟ كنت في مدينة في أوربا اسمها آخن هي عاصمة الإمبراطورية سابقاً، كان فيها الملك شارلمان، جاءته هدية من هارون الرشيد، موضوعة بأعلى مقام افتخارًا، الدولة الإسلامية كانت في أعلى مقام، هل هذا حالنا الآن، لماذا ؟ لأننا فهمنا الدين عبادات شعائرية، ولم نفهمه عبادات تعاملية، فهمنا الدين صلاة وصيام وحج، وزكاة، ولم نفهمه أداء للحقوق، الدين عدل.

لما أرسل النبي عليه الصلاة والسلام عبد الله بن رواحة ليقيم تمر خيبر أغروه بحلي نسائهم، فقال: والله جئتكم من عند أحب الخلق إلي، ولأنتم أبغض إلي من القردة والخنازير، ومع ذلك لن أحيف عليكم، فقال اليهود بهذا قامت السماوات والأرض، وبهذا غلبتمونا.


المجتمع الإسلامي أساسه الأسرة فإن صلحت صلح المجتمع

المجتمع الإسلامي أساسه الأسرة، وهناك ظلم بين أفراد الأسرة لا يعلمه إلا الله، زوجات مظلومات، بنات مظلومات، أخ ظالم يأخذ كل الملك له، لا يعطي شيئاً، وقد تعاني أخته من آلام الجوع هي وأولادها، ونصيبها من الميراث من خمس وعشرين سنة لم توزع التركة، هكذا.

أيها الإخوة الكرام، أرجو الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الخطبة باعثة للمسلمين، أو لمن يسمعها على أن يؤدي الحقوق إلى أهلها:

((ترك دانق من حرام خير من ثمانين حجة بعد حجة الإسلام))

[ورد في الأثر]

الدانق سدس الدرهم، ثلاثون قرشًا سوريًا، أدّ الحق إلى صاحبه.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الرابع : الأسرة في بلاد الغرب

الدرس (1-1) : الأسرة و الأولاد في المهجر

الدرس (1-1) : الأسرة و الأولاد في المهجر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وقادة ألويته، وارضَ عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.

الإنسان هو المخلوق الأول عند الله عز وجل :

أيها الأخوة الكرام، بادئ ذي بدء: قيل: من عرف نفسه عرف ربه، من أنت أيها الإنسان؟ هل تصدق أنك المخلوق الأول عند الله، الأول:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[سورة الأحزاب الآية: 72]

لأنك قبلت حمل الأمانة سخر الله لك:

﴿ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

[سورة الجاثية الآية: 13]

فالكون كله مسخر لك أيها الإنسان، تسخير تعريف وتسخير تكريم.

علة وجود الإنسان في الدنيا أن يعبد الله ويعمل صالحاً ليصل إلى الجنة :

لماذا أنت في الدنيا؟ أنت مخلوق أصلاً للجنة، لكن الله جاء بك إلى الدنيا لتدفع ثمن هذه الجنة، لذلك الندم الشديد عند مجيء ملك الموت:

﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً ﴾

[سورة المؤمنون]

معنى ذلك أن ثمن الجنة بنص هذه الآية هو العمل الصالح، إذاً أنت مخلوق أول مكلف أن تعرفه، وأن تعبده بأداء الطاعات، والعبادات، وأن تتقرب إليه بعمل صالح هو ثمن الجنة، هذا التصميم الإلهي، هذا سر وجودك، وهذا غاية وجودك، ودفع ثمن الجنة يكون في أي مكان في الأرض، في بلادكم، في الشرق الأوسط، وفي أستراليا، أنت في الدنيا من أجل دفع ثمن الجنة، يدفع هذا الثمن بعضه في البيت إذا كنت زوجاً صالحاً، يدفع بعضه في البيت إذا كنت أباً صالحاً، يدفع بعضه في مكان سكنك إذا كنت محسناً

لجيرانك، يدفع بعضه في مكان عملك إذا أتقنت عملك، فيجب أن تعلم من أنت، أنت المخلوق الأول، وقد جاء الله بك إلى الدنيا من أجل أن تعرفه، ومن أجل أن تعبده، النص الأصل في هذا الموضوع:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

[سورة الذاريات]

أيها الأخوة، العمل الصالح سبب وجودك في الدنيا، علة وجود الطالب في المدرسة أن يتعلم، فإذا جاء بكل حاجاته الأساسية ونسي أن يدرس أغفل علة وجوده، علة وجودك أن تعبد الله، وأن تعمل صالحاً، كي تصل بهذا العمل إلى جنة ربك.

السلامة و السعادة :

أيها الأخوة الكرام، نحن في أمس الحاجة أن نعرف الطريق الذي يسلمنا ويسعدنا، ما من واحد من الأخوة الحاضرين وأنا معكم إلا وهو حريص على سلامة وجوده، وعلى كمال وجوده، سلامة وجودنا بالاستقامة على أمر الله، وكمال وجودنا بالعمل الصالح، واستمرار وجودنا بتربية أولادنا، ابنك امتداد لك، سلامة الوجود بالاستقامة، ترك المنهيات كلها تسلم، لكن لا تكفي السلامة أنت بحاجة إلى سعادة، بالعمل الصالح هذا فيه عطاء، بالعمل الصالح تسعد، أن يكون ابنك امتداداً لك تستمر، سلامة، سعادة، استمرار، أنت عقل، وقلب، وجسم، العقل غذاؤه العلم، ما لم تطلب العلم هبط المستوى عن المستوى الإنساني إلى مستوى لا يليق بك، طعام وشراب واستمتاع فقط؟ هذا المستوى ليس إنسانياً، أي مخلوق آخر غير البشر يأكل ويشرب، ويستمتع وينام، فإذا اقتصرت حياتنا على الطعام، والشراب، والاستمتاع، والنوم هبطنا عن مستوى إنسانيتنا إلى مستوى لا يليق بنا.

بتعبير أو بآخر أنت جئت إلى الدنيا وقد حمّلك الله رسالة، وما لم تشعر أنك تحمل هذه الرسالة، في بلدك، في المهجر، وأنت غني، أنت فقير، تحمل أعلى شهادة، غير متعلم، لك حرفة، ليس لك حرفة، هذه أشياء كلها عرضية، لا تقدم ولا تؤخر في شأن علة وجودك في الدنيا وغاية وجودك.

هل هناك واحد من الحاضرين وأنا معكم ليس حريصاً حرصاً ليس له حدود على سلامته وسعادته؟

أسباب السلامة و السعادة :

السلامة والسعادة لها أسباب، أسبابها أن تتحرك وفق منهج الله، منهج الله عز وجل ألا يحتاج إلى دراسة، إلى اطلاع؟.


الإنسان آلة معقدة وضع الخالق تعليماتها

لاحظ نفسك مع آلة معقدة غالية لا تحركها قبل أن تقرأ تعليمات الصانع، وأنت من صنعك؟ الله جل جلاله، متى تسلم؟ متى تسعد؟ متى ترقى؟ متى تسقط لا سمح الله؟ متى تتألق؟ متى تخبو؟ متى تسر؟ متى تشقى؟ أحوال دقيقة جداً، وهذه الأحوال أصل في سعادتنا، فلذلك لابد من أن تتلقى تعليمات الخالق.

أيها الأخوة الكرام، هذا الدين واسع جداً، واسع إلى درجة مذهلة، لكن يمكن أن يضغط بأربع كلمات، يمكن أن تضغط التجارة كلها بكلمة واحدة، كل التجارة، يمكن أنواعها ملايين، أنواعها مئات الملايين، وحجومها من دكانة صغيرة إلى تجارة طائرات، شيء واسع جداً، هل من الممكن أن تضغط التجارة كلها بكلمة واحدة؟ نعم، إنها الربح، فإن لم تربح فلست تاجراً.


الربح هو الهدف من التجارة

أنا الآن أحاول في هذا اللقاء الطيب أن أضغط الدين كله في أربع كلمات، أو خمس، أول كلمة: لابد من أن تعرف الله، وما لم تبذل وقتاً، تفكر، تأمل، قراءة، مطالعة، حضور درس علم، متابعة محاضرة، ما لم تخصص من وقتك وقتاًَ لمعرفة الله فقد ضيعت أكبر مهمة لك في الدنيا، أن تعرف الله، من هذا الذي خلقك؟ ولماذا خلقك؟ وماذا يريد منك؟ ولماذا هناك موت؟ وماذا بعد الموت؟ هذه الأفكار خطيرة جداً، نحن عندنا جزئيات، ممكن أن يكون معك اختصاص من أعلى اختصاص بالعالم، فيزياء نووية، ممكن أن تكون بأعلى منصب بالجامعة، أستاذ الفيزياء النووية في جامعة سدني، أما إذا لم تعرف الله ضيعت سر وجوده، وغاية وجوده، هناك تفاصيل، وهناك كليات، الكليات منوطة بالعقل، والتفاصيل منوطة بالتفكير، قد تجد عالم ذرة، وعالم فيزياء، وطبيباً متخصصاً، وحرفته ضخمة، ودخلها فلكي، لكن يأتي ملك الموت تنتهي الدنيا، ماذا بعد الموت؟.

العاقل من أعدّ للآخرةِ عدتها :

أخواننا الكرام، أنتم اليوم ترون الإنسان حتى يقال له دكتور يحتاج إلى ثلاث و ثلاثين سنة دراسة، وأربعة اختصاصات من أجل أن يأتي معه بورد، صار عمره أربعين سنة، إذا كان معترك المنايا بين الستين والسبعين بقي له عشرون سنة، هل من الممكن أن تكون الأربعون سنة إعداداً لعشرين سنة؟ هذه الحياة الأبدية إلى أبد الآبدين ماذا أعددنا لها؟ فكر.

مرة رجل زعيم غطفان، نعيم بن مسعود، جاء ليحارب النبي الكريم، زعيم قبيلة وتعادي النبي، وجاء للمدينة في حرب الخندق ليحارب النبي، هذا الإنسان جالس بخيمته، زعيم قبيلة، قائد جيش، فكر، قال: لماذا أنا جئت إلى هنا؟ لأحارب هذا الرجل؟



الحياة الرتيبة لا هدف لها

– أي سيدنا محمد – قال: ماذا فعل؟ هل انتهك عرضاً؟ هل سلب مالاً؟ هل قتل نفساً؟ لا والله، قام خاطب نفسه، قال: يا نعيم! أين عقلك؟ لحظة تفكير عميقة، ودقيقة، وسليمة، وقف وتوجه إلى معسكر النبي، ودخل على خيمة النبي، النبي فوجئ به، قائد عدو، قال له: نعيم؟ قال: نعيم، قال له: ما الذي جاء بك إلينا؟ قال: جئت مسلماً، لحظة تفكير، دقيقة، لماذا جئت لتحارب هذا الرجل؟ ماذا فعل؟ أنهب مالاً؟ لا، قتل نفساً؟ لا، سفك دماً؟ لا، انتهك عرضاً؟ لا، أين عقلك؟ فكان سبب إسلامه.

والله الواحد منكم بربع ساعة صباحاً فكر لماذا أنا في الدنيا؟ هناك حياة يسمونها روتينية، خرجنا من البيت، داومنا بالوظيفة، أو بالمحل التجاري، ربحنا، رجعنا إلى البيت، أكلنا نمنا، عشية عندنا سهرة، سهرنا، تفلسفنا، نمنا، استيقظنا في اليوم الثاني، وإلى متى؟ حياة متكررة، رتيبة، حياة ليس لها هدف، حياة اجترار، من أنت؟ أنت المخلوق الأول في الكون،

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

أنت المخلوق الأول، أنت المكلف بعبادته، أنت المكرم، أنت المخلوق للجنة.

بطولة الإنسان أن يستعد للموت بالعمل الصالح وبطلب العلم وبتربية أولاده :



شيء ثان: كل واحد منكم له عمر، وأنا لي عمر، يسأل نفسه سؤالاً محرجاً: الأربعون سنة كيف مضوا؟ والله كلمح البصر، يا ترى؟ كلام محرج ثان، هل بقي بقدر ما مضى؟ لا والله، في الأعم الأغلب أقل، هل بقي بقدر ما مضى؟ بالثمانيات قلائل، بالسبعينات أكثر بقليل، الستينات أكثر، من بعد الستين سيموت بين اللحظة و الأخرى، صح؟ من بيت لقبر، لا زوجة، لا ولد، لا بنت، لا صهر، لا غداء، لا حفلة، لا سهرة، لا ركبة طائرة، لا ذهاب إلى متحف، لا يوجد شيء إلى القبر، وهنا يوجد قبر أيضاً.

مرة كنت بأمريكا هناك رفاهية فوق حدّ الخيال، سألتهم سؤالاً: أنتم تموتون هنا؟ قالوا: طبعاً، أنتم مثلنا مثلكم، وهنا نموت كلنا، كل بطولتك أن تعد لهذه اللحظة.

والله مرة شيعت أحد أخواننا، والله عنده بيت بمئتي مليون، خمس سيارات أو ست، مكانة، عز، جاه، أناقة، ألبسة، وضعوه بالقبر، ووضعوا البلاطة، وردموا التراب، نظرت هكذا والله الذي لا إله إلا هو ما وجدت على ظهر الأرض إنساناً أذكى ولا أعقل ممن يعد لهذه الساعة أبداً.

سيدنا عمر بن عبد العزيز ما دخل إلى مكان عمله إلا وقرأ هذه الآية:

﴿ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴾

[سورة الشعراء الآية: 205- 206]



آية قرآنية، أنا سأسأل سؤالاً، وسألته لنفسي آلاف المرات، هل يمكن أن أستيقظ كل يوم كاليوم السابق إلى ما شاء الله؟ لا، في يوم أشعر بألم هنا، ماذا؟ يمكن أن تكون أزمة قلبية، إذاً اقترب الأجل، هل هناك إنسان لن يموت؟ طبعاً الموت يصيب الجميع و كل واحد له بوابة، هذا يموت بالقلب، هذا بحادث، هذا

بمرض معين، لا يوجد إنسان وأنا معكم أيضاً إلا وله بوابة خاصة فيه، متى يموت؟ لا يعرف، كيف يموت؟ لا يعرف، أين يموت؟ لا يعرف، هذا الموت هل يستطيع أحد أن يقول لا يوجد موت؟ البطولة لا أن أعترف بالموت هذه ليست بطولة، لا يستجرئ إنسان أن يقول لا يوجد موت إلا ويتهم بعقله، لكن البطولة أن أستعد له، كيف تستعد للموت؟ بالعمل الصالح، بطلب العلم، بتربية أولادك.

الأولاد أخطر موضوع في حياة الجاليات الإسلامية :

والله هناك موضوع أتمنى أن أبحثه كل يوم معكم، أنا أراه أخطر موضوع في حياة الجاليات الإسلامية، ابنك، إذا إنسان أغمض عينيه ثم فتحهما فوجد ابنه لا دين له أبداً، و لا علاقة له بالدين كله، ولا بالإسلام كله، ويعيش حياة معاصرة، وهمه شهوته، وهمه متعته، وهمه امرأة جميلة، وهمه دخل كبير ، فقط، هذا خليفتك، هذا امتدادك؟ ضيعته، ضيعت أكبر عمل صالح لأن النبي قال:

((أفضل كسب الرجل ولده))

[أخرجه الطبراني عن أبي بردة بن نيار]

ابنك امتدادك، أنت إن كان عندك ولد مؤمن لن تموت، لو مت لا تموت لأن ابنك امتدادك، أي إنسان عنده حرص يفوق حدّ الخيال على سلامة وجوده، وكمال وجوده، واستمرار وجوده، سلامة وجوده بالاستقامة، دخله حلال، لا يزني، لا يغش، لا يأكل مالاً حراماً، لا يكذب، ما دام مستقيماً عنده سلامة، لا يكفي السلامة، الآن يعاون، يدفع من ماله، يدعو إلى الله، يطعم مسكيناً، يحل مشكلة يتيم، ارتقى الآن صار له عمل صالح يسعد به، بقي الثالثة: الاستمرار سلامة الوجود بالاستقامة، كمال الوجود بالعمل الصالح، استمرار الوجود بتربية الأولاد، وإذا كان هناك موضوعاً في أستراليا، وفي أمريكا، وفي كل بلاد المهجر في العالم للمسلمين أكبر من التربية أنا لا أصدق، أكبر موضوع لإخواننا المهاجرين أولادهم.

الذي أسس جامعاً بسان باولو، إنسان مغترب من الشام، عمّر جامعاً بيده، كان بناء عمره بيده، كل ذريته ليست مسلمة، نصرانية، الذي عمّر الجامع لأنه ما علم ابنه، الآن عنده مشكلة كبيرة.

والله مرة أتيت إلى أستراليا حتى ألقي محاضرة بالثانوية، جمعوا الطلاب والطالبات كل الطالبات محجبات، والله شيء جميل، أما المفاجأة التي أبكتني أكثر أحضروا لي مترجماً، هذه مفاجأة أكبر بكثير، أولاد المسلمين لا يتكلمون العربي؟! شيء عجيب.

استمرار وجود الإنسان بتربية أولاده :

والله يا أخوان هذا الموضوع أنا أراه أخطر موضوع عندكم، عندما يتكلم الابن الإنكليزية تكون قد قطعته عن أمته، قطعته عن ماضيه، قطعته عن قرآنه، قطعته عن الدين، أنت قاعد هنا، هناك قليل من الميزات في أستراليا أنا أعرف هناك فرق وكبير بين بلد في الشرق الأوسط من أين يؤلمك؟ وبين بلد في أستراليا وأوربا ما الذي يريحك؟ قال لي أحدهم: الفرق كلمتان، بلاد الشرق الأوسط من أين يؤلمك حتى نعضك؟ بلاد الاغتراب بأمريكا، وبأستراليا، ما الذي يريحك حتى نخدمك؟ لكن هنا يوجد موت، وهنا يوجد موت، فأنت لا توازن بين بلد متقدم وبين بلدك، وازن بين الدنيا والآخرة، هناك فرق كبير.

أنا أقول كلاماً والله خطيراً، والله من محبتي لكم، فكر بأسرتك، فكر بأولادك، فكر ببناتك.



أخ مقيم بأمريكا من أخواننا، كنت عندهم بديترويت، قال لي: والله ابنتي اختفت، لم أترك مكاناً إلا و بحثت عنها، بعد ذلك بأسبوعين بعثت لي رسالة: أنا أحببت إنساناً يهودياً وذهبت معه، ركب سيارته هو بديترويت و هي في تكساس، مشى يومين أو ثلاثة والمسافة بعيدة جداً حتى وصل، فاستقبلته، ورحبت فيه، وأكرمته، قال لها: أريد كأساً من الشاي، أحضرت له كأساً من الشاي، وضع لها حبة فاليوم حتى أخذها معه وأرجعها، بعد ساعتين صحت، هناك حمامات بالطريق، قالت له: أريد أن أدخل الحمام، كتب بقلم الحمرة: أنا مختطفة من قبل والدي، رقم سيارته كذا، جاء حاجز أوقفوه هات البنت، وأكمل، هذا الثمن هناك.

والله أنا معي قصص والله عن الجالية بأمريكا، أقسم بالله لا تصدق، الثمن باهظ كثير، أنا لا أقول لك اترك، لا، لكن انتبه عندك موضوع أولادك وزوجتك، انتبه، الإنسان عندما يكتشف بعد فوات الأوان أن ابنه كافر بالدين كله يكون قد ضيع كل شيء.

والله مرة أخ قال لي ببلد غربي: ابني حرق قلبي، قلت له: لماذا؟ قال: عندما كنت أقول له: بابا هذه حرام، يقول لي باستخفاف: وأي حرام؟ لماذا حرام؟ بابا هذه عيب، وأي عيب؟ ما هذا العيب؟ قال لي: بعد ذلك ابني الثاني كان كالأول، هذا الثمن، فانتبه لأولادك، إذا أردت أن تستمر وتنام عشية مرتاحاً، أما إذا الإنسان وجد ابنه صالحاً، ويصلي، أخلاقه عالية، دينه قوي، أمين، عنده عفة، والله شيء جميل، أنا أتمنى أن يكون

كل أولادكم صالحين إن شاء الله، لكن أنا أضع يدي على مادة خطيرة بالمهجر، فلابد من تربية الأولاد، وأنت حي والعمر ينتهي، و لكن هناك آخرة.

التعريف بالأبد :

ما هو الأبد؟ والله لم يفكر أحد في الأبد، يقول: ما شاء الله عاش تسعين سنة، والله شيخ الأزهر عاش مئة وثلاثين سنة، هذا الذي كتب كلمات القرآن، بعض المصاحف فيها شرح للكلمات و قد كتبها شيخ الأزهر، عاش مئة وثلاثين سنة، الأبد مليون، مليون، مليون، مليون، لبعد مئة سنة لا ينتهي، واحد بالأرض وأصفار إلى الشمس، لا ينتهي إلى الأبد، إما في جنة يدوم نعيمها، أو في نار لا ينفد عذابها، هذا الأبد، إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو في نار لا ينفد عذابها، هذا كلام واقع، هذا قرآن أو قل: هذا ليس كلام الله وانتهى، تحتاج إلى موقف، فإذا كان معك برهان أن هذا ليس كلام الله لابأس، هكذا تعتقد لابأس، وإذا كنت مقتنعاً أن هذا كلام الله كيف تعيش؟ كيف تستطيع أن تنام في الليل؟ كيف تستطيع أن تنام؟ إذا كان الدخل حراماً كيف تنام؟ إذا كان هناك معصية إلهية، معصية كبيرة بالعمل كيف تنام؟ هناك عمل فيه معصية، عمل دخله حرام، عمل البضاعة فيه محرمة، عمل العلاقات فيه مبنية على حرام، القضية ليست سهلة.

أروي قصة لها معنى لكن عميق جداً، أعتقد تفهمونه لوحدكم، إنسان دخل لملهى فوجد امرأة شبه عارية في الأعلى، قال: أعوذ بالله، فنظر إلى تحت فوجد واحدة مثلها فقال: أعوذ بالله، راح على اليمين واحدة مثلها، على اليسار واحدة مثلها، قال له أحدهم: لماذا جئت إلى هنا هذا ليس محلك؟ أنا لست مضطراً، هذه غلط، وهذه غلط، وهذه غلط، وكله غلط، وكله ضد الدين، وكله في تفلت، وكله في تكشف، وكله في اختلاط، وكله في عُري، وأجلس معهم، لست مضطراً، إذا كان هناك أذواق عالية، صار هناك مبادئ عالية، تفضل أن تعيش ببلد فيه مليون مشكلة لكن مرتاح نفسياً، مرتاح أخلاقياً، مرتاح دينياً، لك رسالة تحققها، أنا لم آتِ حتى أزعجكم، لا والله، فقط أتيت لأنبهكم، هناك مشكلة كبيرة، أنا المشكلة لا أتصورها تصور أنا عندي معاناة فيها.

أنا عملت دورة بدمشق لأبناء أخواننا في أمريكا، داوموا عندنا تقريباً كل سنة شهراً، يتكلم آباؤهم: إننا رأينا في هذه الدورة ما لا يتوقع، رأينا أفلاماً معهم، و قصصاً، وكتباً غير معقولة، أين يعيشون؟ بالوحل، هذا العالم الغربي وحل.

أخواننا الكرام، أتمنى فقط أن تفكر في مستقبلك في هذه البلاد، فكر كيف تقيم منهج الله في هذه البلاد؟ كيف تربي أولادك في هذه البلاد؟ كيف تحمل زوجتك على طاعة الله في هذه البلاد؟ وإلا هناك مشكلة، أحياناً إنسان يقول لك: ماذا أفعل ليس بيدي؟ لا، بيدك، الله عز وجل لو لم يكن هذا بيدك لما حاسبك.

ما لم تستقم على أمر الله لن تقطف من ثمار الدين شيئاً :

إذاً عندنا بالدين تقريباً أربع نقاط، أول نقطة: الاستقامة، ما لم تستقم على أمر الله لن تقطف من ثمار الدين شيئاً، دين بلا استقامة صار فلكلوراً، فلكلور شرقي، قرئ القرآن بباريس على أنه فلكلور شرقي، قام قراء وقرؤوا، أما الفرنسيون فعرضوه على أنه فلكلور، فلكلور شرقي، الدين يصبح فلكلوراً؟ تراثاً؟ ثقافة؟ ماضياً فقط؟ لكن الدين منهج.

لذلك يقولون الآن: فلان عنده خلفية إسلامية، كيف خلفية إسلامية؟ أو أرضية إسلامية، أو مشاعر إسلامية، أو اهتمامات إسلامية، أو ثقافة إسلامية، أو عواطف إسلامية، لكن ليس فيه دين، ليس فيه إسلام، الإسلام شيء آخر، الإسلام منهج أنت خضعت له، لا تقل لا أستطيع، اسمعوا هذه الكلمة: الشيء الذي تتوهم أنك لا تستطيع أن تفعله هو الشيء الذي لا تريد أن تفعله.

إذاً: أول شيء بحياتك هل عرفت الله؟ عرفت من هو الآمر؟ وماذا ينتظرك من هذا الآمر لو أطعته؟ وماذا ينتظرك لو عصيته؟.

على الإنسان أن يعرف الآمر قبل الأمر :

أحياناً أنت تكون بالخدمة الإلزامية ببساطة، قال لك عريف بسبعة: ازحف، هناك سبعتان ماذا يصبح؟ عريف أول، هناك ثمانية مساعد، وثمانيتان مساعد أول، نجمة ملازم، ونجمتان ملازم أول، ثلاث نجمات صار نقيباً، بعد ذلك تاج رائد، تاج ونجمة مقدم، تاج ونجمتان عقيد، وثلاث عميد، ثم تاج وسيفان لواء، بعد ذلك عماد، أليس كذلك؟ الآن إذا عريف قال لك: ازحف غير عندما يقول لك لواء: ازحف.

هل تعرف من هو الآمر؟ الآمر الذي حياتك بيده، بصرك بيده، سمعك بيده، عقلك بيده، أحياناً الإنسان يختل شيء بعقله يكون عنده خمسة أولاد، وبيت، وتاجر كبير، يضعونه بالقصير – مستشفى المجانين– يكون قد أكرموه أيضاً، يقولون: والله دخل بواسطة، هو من اشترى البيت لأولاده، ورباهم، و تعب بهم، وأولاده يضعونه بالقصير، ويقول: دبرنا محل الحمد لله، والله أكرمنا بواسطة كبيرة، كل مكانتك بعقلك، متى صار عندك خلل بالعقل انتهيت، كل مكانتك وأنت حي والقلب ينبض، أما عندما يقف سكتة قلبية، انتهى عظم الله أجركم، لحظة.

حياة كل إنسان منوطة بتوقف نبضه :



والله المشكلة لحكمة بالغة إنسان ممكن أن يموت بعد ثلاثين سنة بالمرض، وإنسان يموت بدقيقة، بدقيقة، سكتة قلبية، أو سكتة دماغية، هناك إنسان بالشام عنده بناية بباريس و هي عبارة عن ثمانين طابقاً، فندق خمس نجوم، و هو ممتلئ باستمرار، الذي عنده هذا الفندق كل هذا الفندق مربوط بنبض قلبه، صح؟ إن توقف نبضه لم يعد له، كل ممتلكاتك، كل مكانتك، كل شهاداتك، كل أراضيك التي تملكها فرضاً، تجارتك الرابحة، كل ممتلكاتك، وكل مكتسباتك، مرتبطة بضبط القلب، إن توقف القلب فجأة كان شخصاً كبيراً أصبح المرحوم، والله المرحوم عمل هذه، هو عمل هذا البيت، رحمه الله، هو الذي اشترى لنا هذا، صار مرحوماً، فكل شيء تملكه ينتهي عندما يقف القلب، أو نقطة دم تجمدت بالدماغ، شلل، بمكان شلل، بمكان عمى، بمكان فقد السمع، نقطة دم كرأس الدبوس تجمدت بالأوعية أو بالدماغ أصيب بفالج.

يا أخوان، الواحد منا كل شيء يملكه على غلطة بجسمه.

كل مخلوق يموت ولا يبقـى   إلا ذو العزة والـجبروت

***

والليل مهما طـــال   فلابد من طلوع الـفجر

والعمر مهما طـــال   فلابد من نزول الـقبر

***

أسئلة و أجوبة :

السؤال الأول:

يقول السائل: ذكرتم في محاضرة مسجلة حديث:

((من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة))

[البيهقي عن جرير بن عبد الله البجلي]

نريد معرفة مصدر الحديث وتوضيحه، جزاكم الله خيراً.

الجواب: الإنسان يعيش ضمن مجتمع، فإذا كان كل من حوله غارقاً بالمعاصي والآثام، صار من الصعب أن يربي أولاده، أكبر مشكلة تعانيها الجاليات تربية الأولاد، بالمدرسة الابن له رفيقة، وبالرحلة يصبح هناك مشكلة كبيرة بينهم، أنا لا أبالغ أبداً، ذهبوا رحلة مدرسية هناك مشاكل وقد تنتهي بشي لا يحكى.

مرة كنت بالشام، قال لي أحدهم: أريد الذهاب إلى أمريكا، كان إلى جانبي بالجامع براد ماء، قلت له: إذا أنت ذهبت أمام الناس كلهم بالصحن إلى البراد، وفتحت الحنفية، وملأت الكأس و شربت أعليك شيء؟ قال: أبداً، قلت: والله الذي لا إله إلا هو في بلاد الغرب الزنا مثل هذه، عادي جداً، هناك تفلت مذهل، وأنا سافرت كثيراً، تبادل زوجات، زنا، خيانة زوجية.

شاب أحب أن يتزوج شابة من أمريكا، استأذن والده، فقال له: لا يا بني إياك، إنها أختك وأمك لا تدري، أحب شابة ثانية، لا يا بني، إنها أختك وأيضاً أمك لا تدري، أحب الثالثة أيضاً نفس الشيء، فضجر و حكى لأمه، فقالت له: خذ ما تريد فأنت لست ابنه وهو لا يدري، هذا الغرب، هذا واقع، لا يوجد مبالغة أبداً.

فلذلك احمِ أسرتك، احمِ أولادك، احمِ ببناتك، ربِّهم، اجلس معهم ساعة كل يوم، اقرأ معهم القرآن، عرفهم بالله، ربِّهم على الحشمة والأدب وطاعة الله عز وجل، ما عندك ثروة أكبر من أولادك بالمهجر.

السؤال الثاني:

هو يصل أرحامه، ولكن عندما يزورهم يحس كأنه ضيف ثقيل، وهم لا يزورونه، يقول: فماذا أفعل؟.



الجواب: اتصل اتصالاً هاتفياً، كيف الحال يا أختي؟ والله اشتقنا لك، أدامك الله لنا، أريد أن آتي لكني مشغول، لا تؤاخذيني، أما هي فلا تأتي إلى عنده، نفس الشيء، يذهب إلى عندهم ولا يهتمون به، ويرون أنه متخلف، زوجته محجبة مثلاً، ليس لك مصلحة أنت، اعمل الحد الأدنى اتصال هاتفي، زيارة بالسنة مرة، بالعيد مرة.

السؤال الثالث:

سائل يقول: امرأة عندها ابنتان، وليس عندها ولد ذكر، وعلمت أن من حق إخوتها أن يرثوها في حال وفاتها، السؤال: هل يجوز لهذه المرأة أن تعطي كل ما تملك كهبة لابنتيها مناصفة على حياتها مما يعني حرمان أخوتها؟ وهل تأثم بذلك؟.

الجواب: أحياناً يكون معها جواب لله، لا تأثم، أحياناً لا يوجد معها جواب، إذا عندها أخوات فسقة و يملكون مئات الملايين، وكتبت هذا البيت لابنتيها الاثنتين لا يوجد مشكلة، هذه حالة خاصة، أما إذا إخوتها بحاجة فمن حقهم أن يرثوا، في موضوع الإرث تحتاج إلى جواب لله عز وجل.

أحياناً عندك أربعة أولاد ثلاثة تجار كبار، و الرابع مسكين فقير، فقمت وكتبت له بيتاً، معك جواب لله، أما تزوجت من زوجة ثانية، تدللت عليك تريد بيتاً لابنها، وعندك خمسة أولاد ليس لهم بيوت، فهذا البيت الذي لابنك فيه معصية كبيرة، بين أن تكتب بيتاً لإنسان عاجز ليس له دخل و بين ابن الزوجة الثانية وليس بحاجة.

السؤال الرابع:

يقول السائل: هل يجوز لي أن أُقرض مبلغاً من المال من البنوك، البنوك الربوية، هو يقول: وقد بحثت فلم أجد قرضاً بين البنوك الإسلامية، هذا قوله، ويقول: أنا مضطر لهذا القرض حتى أفتح لنفسي تجارة، فما حكم ذلك؟.

الجواب: والله أعتقد أن البنوك الإسلامية قليلة جداً، وقد تكون غير موجودة، هناك بنوك إسلامية لكن مثل الربوية تماماً، لكن لها اسماً ثانياً، لم يعد فائدة بقي أرباحاً أو شيء من هذا القبيل، عمولة مثلاً، هذا موضوع البنوك والله مشكلة كبيرة.

السؤال الخامس:

سؤال متصل في نفس السياق يقول: هل يجوز بناء مسجد أو شراء كنيسة وتحويلها إلى مسجد بمال مقترض من بنك ربوي؟.

الجواب: ما دام شراء مسجد عملاً صالحاً، العمل الصالح لا يتم بعمل غير صالح، الوسائل من جنس الأهداف، هل من الممكن لإنسان أن يسرق مبلغاً ليعطيه لإنسان فقير؟ جوعان مسكين! وهذه مثلها، لا يجوز.

السؤال السادس:

ما علة الذهب والفضة في حديث:

((الذهب بالذهب، والفضة بالفضة))

[أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن عبادة بن الصامت]

يقول: في أي من المذاهب الأربع وهل أكثر رأي العلماء على علة الوزنية أم غير ذلك.

الجواب: النص هكذا جاء، نحن مع الشرع ليس لنا مناقشة، ورد أن الذهب والفضة لها علة معينة بالإقراض.

السؤال السابع:

يقول: شيخنا أنا في صراع مع الذات أريد الرحيل من هنا ولكن ينقصني اتخاذ القرار فماذا تنصحني؟.

الجواب: أنصحه أن يتخذ قراراً.

السؤال الثامن:

هل صحيح أن البعد عن الناس غنيمة؟ وما هي النصيحة لرفقة السوء؟.

الجواب: أي ناس بعدهم غنيمة؟ والله المؤمنو البعد عنهم جريمة، إذا عندك مجتمع مؤمن راق طاهر عفيف، يعرف الله عز وجل، اجلس معهم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة]

وهناك أشخاص والله البعد عنهم غنيمة، أهم شيء أن تختار من حولك، هذا أحد أكبر نجاحك بالحياة، لأن الصاحب ساحب، يجب أن تختار إنساناً تستفيد منه، لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله، أو يدلك على الله مقاله.

السؤال التاسع:

ما حكم الذي لا يصلي؟.

الجواب: يجب أن يصلي، لا يصلي إذاً أنكر فرضيتها، لِمَ الصلاة؟ بلا قلة عقل، هذا كفر، أما يقول: الله يتوب عليّ، والله أنا مقصر، ادعُ لي، هذا عاص، الذي لا يصلي إما كافر، أو عاص، إذا استخف بها واحتقرها فهو كافر، أما إذا قال: والله أنا مقصر، أرجو من الله أن يلهمني أن أتابع الصلاة فهذا عاص.

خاتمة و توديع :

بارك الله بكم، في ختام هذا اللقاء المبارك لا يسعنا إلا أن نتقدم بوافر الشكر، وعظيم الامتنان، إلى فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، جزاك الله خيراً، وبارك الله في وقتك، وأهلك، وعلمك.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الخامس : حقوق الزوج على الزوجة

الدرس (4-1) : تعاريف عامة

الدرس (4-2) : عدم الاختلاط

الدرس (4-3) : القوامة

الدرس (4-4) : الطاعة و المؤانسة و التزين

الدرس (1-4) : تعاريف عامة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ، يقول الله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

ما الآيات المقصودة من قوله تعالى ومن آياته ؟ ثم ما معنى قوله تعالى : من أنفسكم ؟ ثم ما معنى قوله تعالى : لتسكنوا إليها ؟ ما هي السكنة ؟ وكيف تكون ؟ وهل الزوجان متساويان أم هما متكاملان ؟ ثم ما معنى المودة والرحمة المذكورتان في الآية ؟ تابعوا هذا اللقاء لنفسر هذه الآية ، ونجيب على هذه التساؤلات.

بسم الله ، الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على نبينا العدنان ، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان .

أخوتي الأكارم ؛ أينما كنتم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ونحن في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم : درر ، حيث نتناول في هذه الحلقة درر من الشريعة الغراء في قيم التعامل بين الناس ، وكنا قد بدأنا بالحديث عن حقوق الزوجة على زوجها ، وفصلنا في هذا الأمر ، وكان من الإنصاف أن ننتقل اليوم للحديث عن حق الزوج على زوجته ، فلكل حق واجب ، اسمحوا لي أن أرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ، السلام عليكم أستاذنا الكريم .

الدكتور راتب :

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل كما بينت اليوم مع حق جديد هو حق الزوج على زوجته ، أريد أن أبدأ بالتفصيل الشرعي لهذه المسألة ، نبدأ بهذه الآية كلمة كلمة لأنها أساس بالعلاقة الزوجية :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

لو بدأنا بقوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ ﴾

ما هذه الآيات ؟

آيات الله الدالة على عظمته :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[سورة الروم : 22]

والسموات والأرض مصطلح قرآني يعني الكون ، والكون ما سوى الله ، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت: 37]

الآن ندقق :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[سورة الروم : 21]

أي كما أن الكون كله من آيات الله الدالة على عظمته ، وكما أن الشمس والقمر ، وكما أن الليل والنهار من آياته الدالة على عظمته ، ومن آياته أيضاً :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

المودة بين الزوجين من خلق الله عز وجل .



هناك ملمح دقيق جداً في قوله تعالى : مودة ورحمة ، فإذا كانت الزوجة ملء بصر زوجها وسمعه ، وقد حققت أهدافه من الزواج ، هذه مودة ، وإذا كان الزوج ملء بصر زوجته وسمعها ، إذاً من آيات الله الدالة على عظمته هذه المودة بين الزوجين ، لكن بسبب أو بآخر لو أن الزوج فقد عمله ، أو مرض مرضاً شديداً ، أصبح طريح الفراش ، هذه المؤسسة وجدت لتبقى، إما أن تبقى بالمودة ، حينما يحقق الطرفان أهدافهما من الزواج ، وإما أن تبقى بالرحمة ، أنا زرت مريضاً في إحدى مدن سوريا طريح الفراش مدة سبع وثلاثين سنة ، وزوجته تخدمه بهذه الرحمة ، الملمح دقيق جداً ،

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

فالمودة حين تحقيق الأهداف ، والرحمة إذا تعطلت هذه الأهداف ، فكأن الله يريد لهذه المؤسسة أن تستمر ، تستمر بالمودة والرحمة معاً ، إما بالمودة وحدها أو بالرحمة وحدها أو بكليهما معاً .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل نبقى بالآية لأن فيها غنى كما يقال :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

[سورة الروم : 21]

ما دلالة من أنفسكم ؟

مساواة المرأة للرجل في التكليف والتشريف والمسؤولية :

الدكتور راتب :

يجب أن تفهم فهماً دقيقاً وعميقاً أن هذه المرأة إنسان ، تحب كما تحب وتكره كما تكره ، ويغضبها كما تغضب ، ويسعدها كما تسعد ، لمجرد أن تتوهم أنك فوق زوجتك ولك خصائص لا تملكها هذه مشكلة كبيرة.



أنا أقول دائماً : مما يلفت النظر أن المرأة في الإسلام مساوية مساواة تامة للرجل في التكليف والتشريف والمسؤولية ، مكلفة كما هو مكلف ، ومشرفة كما هو مشرف ، ومسؤولة كما هو مسؤول ، لكن الذي يلفت النظر آية أخرى ، قال تعالى :

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾

[سورة آل عمران : 36]

نحن في الجامعة في كلية التربية كان عندنا أحد المراجع من ثمانمئة صفحة لعالم فرنسي كبير اسمه بياجي، في هذا الكتاب الضخم يبين الفروق بين الذكور والإناث ، شيء لا يصدق وكأنني ما وجدت لهذا الكتاب عنواناً أبلغ من

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى ﴾

أي خصائصها الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها ، وخصائص الرجل الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به ، إذاً الزوجان متكاملان لا متشابهين ، هناك تكامل بينهما .



هذه المرأة التي شكت إلى الله زوجها من فوق سبع سموات ماذا قالت للنبي ؟ قالت: زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال ، فلما كبرت سني ، ونثر بطني ، وتفرق أهلي ، وتبدد مالي ، قال : أنت عليّ كظهر أمي ، ولي منه أولاد ، إن ضممتهم إلي جاعوا – هو ينفق عليهم– وإن تركتهم إليه ضاعوا – أنا أربيهم – وكأن هذا النص الدقيق بيّن أن المرأة مهمتها الأولى التربية ، وأن الزوج مهمته الأولى الإنفاق ، موقفان متكاملان من الزوج وزوجته ، مرة قلت في نفسي : إن الزوج الذي يسمح لنفسه أن يتهجم على أم زوجته فإذا تكلمت عن أمه أقام عليها الدنيا ، هذا إنسان عنصري

ليس إنسانياً ، كما هي مثلك تحب كما تحب أ وتكره كما تكره، يسعدها أن تحترم أمها ، ويسعدك أن تحترم أمك ، فأنت حينما تفهم الأمر بهذا الشكل فأنت إنساني ، وإذا لم تكن كذلك فأنت عنصري ، والعالم الآن يشكو من معيارين اثنين ، يستخدمهما القوي ، يستخدم معياراً في علاقته مع من حوله ومعياراً آخر مع الشعوب الأخرى ، فلذلك مشكلة العالم اليوم هذه العنصرية ، الإنسان إما إنساني أو عنصري .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل هذه :

﴿ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾

[سورة الروم : 21]

وما شاء الله مدلولاتها عميقة ، لو انتقلنا إلى كلمة من الآية قال تعالى :

﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾

[سورة الروم : 21]

ما معنى السكنة ؟

التكامل بين الزوجين :

الدكتور راتب :

الإنسان يسكن إلى ماذا ؟ إلى ما يفتقده ، أنا أرى أن عاطفة المرأة متأججة ، والرجل إدراكه عميق ، هي تسكن إلى قيادته ويسكن هو إلى عاطفتها ، هما متكاملان ، فالإنسان يدخل البيت هناك محبة ورغبة في الخدمة ، و تألق عند المرأة ، هذا الموقف الكامل من زوجته يسكن إليها ، السكنة أساسها أنك مفتقر إلى شيء فسكنت إليه ، مفتقر إلى العاطفة ، فالزوجة عندها عاطفة فأنت سكنت إلى عاطفتها ، كان بينكما هذه المودة ، والزوجة تثق بقدرة زوجها القيادية ، وبحكمته ، وبفهمه العميق ، لذلك تسكن إلى قراره ، أعلم يقيناً أن زوجات كثيرات تعتز بأنها تطيع زوجها ، القيادة له ، أنا أقول : المرأة حينما تفهم حقيقة الأنثى من حيث التكليف والتشريف واحد ، من حيث التشريف المرأة مساوية للرجل ، وقد خطر على بالي مرة أن أقول :

الرجل مساو للمرأة تكريماً لها ، هي أصل ، وهي إنسان ، أما حينما نتحدث عن الخصائص ، فخصائصها كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها ، وخصائصه كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به ، إذاً هناك تكامل بين الزوجين .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل ، وقد فصلتم في هذه الآية تفصيلاً أصبح واضحاً للأخوة الكرام ، أخوتي الأكارم مازل لدينا المزيد في هذا اللقاء الطيب ، ولكننا نسعد بلقائكم بعد فاصل قصير ...

السلام عليكم نتابع الحديث عن حقوق الزوج على زوجته ، ننتقل إلى آية ثانية تخص الموضوع ، أستاذنا الكريم نتحدث عن حقوق الزوج ، ولكن نريد أيضاً أن نبدأ بهذه الآية التي تؤصل بأن للزوج حقاً وهي قوله تعالى :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

[سورة النساء : 34]

ما هو مفهوم القوامة شرعاً ، أي ما معنى أن الرجال قوامون على النساء ؟

مفهوم القوامة شرعاً :

الدكتور راتب :

إذا تصورنا طائرة فيها أربعمئة راكب ، وفي مقصورة القيادة ربان ، فهذا الربان إذا كان موجوداً في غرفة صغيرة ، وهو في قيادته للطائرة يحقق السلامة لأربعمئة راكب ، هل نعده محبوساً في هذه الغرفة أم يقوم بأخطر عمل ؟ فالمرأة حينما تقبع في دارها ، قال تعالى :

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾

[سورة الأحزاب: 33]



حينما تربي اولادها ليكونوا عناصر في المجتمع متفوقين ، أنا أقول باجتهادي الشخصي : قد تحمل المرأة دكتوراه في فرع ما، أنا أرى أن ابنها الذي ربته تربية صالحة ، علمته على الاستقامة ، والأمانة ، والتواضع ، والتفوق الدراسي ، هذا ابنها أكبر شهادة لها ، أعلى شهادة تحملها المرأة أولادها ، لذلك المرأة حينما تعرف قيمتها عند ربها ينبغي أن تعبد

الله فيما أقامها ، أنا أضرب هذ المثل لعله يوضح ، لو فرضنا أن امرأة تحب الله كثيراً قامت الساعة الثانية ليلاً وصلت قيام الليل ، وبكت بكاءً شديداً من كثرة محبتها لربها ، ودموعها سالت على البلاط ، الساعة الخامسة تعبت أوت إلى فراشها ، وعندها خمسة أولاد ، قالت لهم : اهتموا بأنفسكم ، هذا وضع الشطيرة من دون كيس نايلون وصل الزيت للكتاب فعوقب في المدرسة ، هذا ثيابه غير نظيفة ، هذا حذاؤه غير جيد ، الأولاد الخمسة تلقوا عقوبات من المدرسة لأنها أهملت أن تجهزهم بهذه الساعة ، التي تستيقظ بعد صلاة الفجر تدفئ الغرفة ، تهيئ الطعام ، تتابع وظائف أولادها ، تتابع هندامهم ، هذه أقرب إلى الله ألف مرة من الأولى ، لأن الثانية عبدت ربها فيما أقامها ، أقامها أماً ، وقد تكون أقامها زوجة ، أو أقامها جدة ، البطولة أن أعبد الله فيما أقامني ، مثلاً هناك عبادات عامة كالصلاة والصوم والحج والزكاة ، لكن ما هي عبادة الغني ؟ وأنا أقول ما جعل الله الغني غنياً إلا ليصل بإنفاق ماله إلى أعلى درجات الجنة ، وما جعل الله العالم عالماً إلا ليصل بعلمه إلى أعلى درجات الجنة ، وما جعل الله القوي قوياً إلا ليصل بقوته لأعلى درجات الجنة .

إذاً القوامة تحتاج إلى أن يكون الزوج على علم بحقوق الزوجة وحقوقه أيضاً ، فهذا الزواج فيه قيادة ، والقيادة لا بد لها من أن يكون الزوج على مستوى رفيع ، لذلك قلت مرة في حلقة سابقة : فاقد الشيء لا يعطيه ، الرجل هو الذي أنيطت به القوامة ، لا بد من أن يكون هذا الزوج على علم بحقوق الزوج وحقوق الزوجة ، بهذه المؤسسة التي هي الخلية الأولى في المجتمع ، ما الذي يسلمها ؟ وما الذي يسعدها ؟ وما الذي يشقيها؟ وما الذي يضعفها ؟ فلا بد من قيادة حكيمة لهذه المؤسسة ، أنا أرى دائماً أن في كل طائرة قائدين ؛ مرة قرأت خبراً لفت نظري أن أحد القائدين أصيب بجلطة الثاني موجود ، إذاً هناك تبادل أدوار أحياناً ، فالزوجة حينما تعرف حق زوجها عليها ، الزوج حينما يعرف حق زوجته عليه المركبة تمشي بدقة بالغة .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم فهمت من كلامكم القوامة هي درجة القيادة ، وهي تكليف قبل أن تكون تشريفاً ، مكلف أن يقود هذه المسيرة إلى بر الأمان .

محبة كل إنسان للسلامة و السعادة و الاستمرار :

الدكتور راتب :

وكأن هناك شفافية في هذا التعريف ، أي ينبغي أن تُعلم حقوق الزوجة ، وحقوق الزوج .



أنا أذكر مرة في بلد في شرق آسيا إسلامي حالات الطلاق كثرت فأنشؤوا مدرستين ، مدرسة للإناث ومدرسة للذكور ، لا يتم عقد زواج في هذا البلد الإسلامي إلا إذا نجح الطرفان في الامتحان يقال : إن نسب الطلاق هبطت للعشر ، فيجب أن نعلم ما حق الزوج وما حق الزوجة ، و هذا من مهمات الأم حينما تزوج ابنتها ، ومن مهمات الأب حينما يزوج ابنه ، حينما يقصر الولدان الابن أو البنت بحقوق الزواج تقع المشكلات ، أنا أذكر أن نسب الطلاق هبطت للعشر بسبب العلم ، وأزمة أهل النار في النار أزمة علم ، قال تعالى :

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

[سورة الملك: 10]

كل إنسان يحب سلامته ، وسعادته ، واستمراره ، هذه الأهداف الثلاثة تتحقق في هذا الدين العظيم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل إذاً الرجال قوامون على النساء ، ربنا عز وجل يذكر سبب القوامة ، هما سببان :

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

[سورة النساء : 34]

لو بدأنا بالسبب الأول ما الذي فضل الله به الرجل على المرأة ؟

أسباب تفضيل الرجل على المرأة :

الدكتور راتب :



أنا مضطر أن أضرب مثلاً ، عندي خمسون راكباً أريد أن آخذهم إلى بلد بعيد ، أنسب مركبة لهم مركبة بولمان السياحية ، هذه المركبة من خصائصها أن أكبر مساحة فيها للركاب ، وأقل مساحة فيها لحاجاتهم ، أنا إن أردت أن أنقل خمسة طن من الأسمنت من مكان إلى مكان أحتاج إلى شاحنة ، والشاحنة أكبر مساحة فيها للبضاعة ، وأقل مساحة فيها للركاب ، فيها راكب وسائق ومعاونه فقط ، إذاً خصائص المرأة الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت بها ، وخصائص الرجل الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به ، إذاً الزوج أناط الله به القيادة ، هذا تفضيل ، هو القائد لأن إدراكه عام ، إدراكه من نوع آخر ، دون أن أقول : هو أفضل .



الأستاذ بلال :

هل التفضيل يقتضي الأفضلية ؟

الدكتور راتب :

لا هذه خصائص ، أنا أقول : أيهما أفضل البولمان أم الشاحنة ؟ السؤال خطأ ، البولمان لنقل الركاب أفضل ، والشاحنة للبضائع أفضل، كل طرف من الزوجين خصائصه الجسمية والنفسية والاجتماعية والفكرية كمال مطلق للمهمة التي أنيطت به ، هذا الفهم للخصائص مريح .

الأستاذ بلال :

السبب الثاني للقوامة بما أنفقوا من أموالهم .

الدكتور راتب :

المرأة تأخذ المهر ، الزوج يدفع وينفق على زوجته ، فالإنفاق كما مرّ بنا أحد مهمات الزوج ، لو فرضنا هو أنفق على زوجته مبلغاً كبيراً جداً ثم طلقها هو في مشكلة كبيرة ، الذي دفع المبالغ بيده الطلاق ، لكن بالمناسبة عندنا طلاق ، مخالعة ، تفريق ، الطلاق بيد الزوج ، والمخالعة بيد الزوجة ، والتفريق بيد القاضي.

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، أتمنى في اللقاء القادم أن نعود لنتابع هذه الآية ، وما زال فيها من الكنوز الكثير ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-4) : عدم الاختلاط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمُّ التسليم على سيّدنا محمَّد الصادق الوعد الأمين، اللهمَّ لا علم لنا إلا ما علَّمتنا، إنَّك أنت العليم الحكيم، اللهمَّ علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علَّمتنا، وزدنا علماً، وأرِنا الحقَّ حقّاً، وارزقنا اتِّباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتَّبعون أحسنَه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

أيُّها الإخوة المؤمنون، لا زلنا في الحديث النَّبويّ الشريف، ولا زلنا في باب حقِّ الزوج على المرأة.

أحاديث نبوية في حقوق الزوج على زوجته

الحديث الأول:

ورد في هذا الباب حديثٌ شريفٌ، فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

فتنتان لا قبل للإنسان بهما: المال والنساء

الإنسان أحياناً مِن أين يؤخَذ ؟ إذا كان مُستقيماً على أمر الله، أين تزِلّ قدمه ؟ من أين يؤخَذ ؟ كيف ينتكس؟ كيف يُحجب عن الله ؟ كيف يتقهقر ؟ كيف يتراجع ؟ كيف يفقد اتجاهه إلى الله في صلاته ؟ كيف يفقد إقباله على الله ؟ كيف يشعر أنَّ عبادته تافهة لا معنى لها ؟ حينما تدخل في حياته امرأةٌ بطريقٍ غير مشروع.
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْعَيْنُ تَزْنِي، وَالْقَلْبُ يَزْنِي، فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا الْقَلْبِ التَّمَنِّي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ مَا هُنَالِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ))

[أحمد]

الإنسان قد يزني بعينه، وقد يزني بلسانه، وقد يزني بأذنه، وقد يزني بيده، فهذه المُخالفات هي حجابٌ بين العبد وربِّه، بل لو سألنا إنسانا سؤالاً آخر: ما هي المزالق الخطيرة في طريق الإيمان ؟ أغلب الظنّ أنّ عامّة المسلمين لا يشربون الخمر، ولا يسرقون، ولا يقتلون، هذه الكبائر التي ذكرها الله عزَّ وجلّ في القرآن الكريم وذكرها نبيّه العظيم في سنّته، هذه الكبائر يبتعد عنها مُعظم المسلمين، ولكن هذا المسلم مِن أين يؤتى ؟

كيف ينتكس ؟ كيف تُصبح صلاته جوفاء ؟ كيف يُصبح صيامه لا معنى له ؟ يؤتى من بابين كبيرين، من باب النّساء، ومن باب كسب المال، لو تتبّعت المعاصي وتكرارها، واتّساع رُقعتها في ساحة النّفس الإنسانيّة، لوجدتَ أن أكبر مساحةٍ يشغلها حبُّ المال، وحبُّ النِّساء، لذلك أكبر مزالق الإنسان من جهة المال ومن جهة النّساء، بل إنّ النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث الشريف يجعل المرأة أكبر خطرٍ على الإنسان، بمعنى أن تعصي الله بها، أيّة شهوةٍ أودعها الله في الإنسان، جعل لها طريقاً مشروعاً، جعل لها قناةً نظيفةً، ربُّنا سبحانه وتعالى يقول:



﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * ﴾

(سورة المؤمنون)

أي مُعتدون، وإنه لعُدوانٌ أن تنظر إلى امرأةٍ لا تحِلُّ لك، وعُدوانٌ أن تُدير معها حديثاً، عُدوانٌ أن تتلطّف في مُحادثتها، هذا الذي يقطعُ عن الله عزّ و جلّ، فحين تقعُ عينك على امرأةٍ لا يحِلُّ لك أن تنظر إليها، وتستمرئ هذه النظرة، هنا بدأ الحِجاب، هذه هي تعليمات الصانع، ما من جهةٍ مؤهلةٍ أن تُقدّم لك التعليمات الصحيحة إلا الصّانع، لقول الله عزّ و جلّ:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴾

(سورة البقرة)

أي أن التعليمات النّافعة لهذه الآلة من الصّانع،

﴿ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ﴾

(سورةِ البقرة: من الآية 147)

والنبي عليه الصّلاة والسّلام أرسله خالقنا العظيم ليُبيِّن لنا تعليمات التّشغيل لهذه الآلة، يقول عليه الصّلاة والسّلام:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

لا بد من هامش الأمان بين العبد والمعصية

في بعض الأيام نظرةٌ، إذا لم يغُضّ الإنسانُ بصره كانت النّظرة سبيلاً إلى أكبر معصية، لذلك ربُّنا عزّ و جلّ في بعض الآيات يقول:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

(سورة البقرة: من الآية 187)

وفي آياتٍ أُخرى يقول:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾

(سورة البقرة: من الآية 229)

لماذا مرّةً:

﴿ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

ومرةً:

﴿ فَلاَ تَعْتَدُوهَا ﴾

هناك نوعٌ من المعاصي فيها جذبٌ، فكُلّ معصيةٍ تجذبك إليها بدافعٍ من شهوةٍ أودعها الله في الإنسان، هذه المعصية يجب أن تدع بينك وبينها هامش أمان، لا بُدّ من أن تدع بينك و بينها هامش أمان حتّى تنجو منها، لذلك جاءت الآية:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا ﴾

تيّار فيه ستة آلف فولط، هذا التيّار حوله ساحة مغناطيسيّة عرضها ستّة أمتار، فأيُّ إنسان دخل إلى هذه الساحة جذبه هذا التيّار، وأحرقه، فإذا علمت أن هذا التيّار خطر، وأن حوله ساحة مغناطيسيّة لا تدخل إلى هذه الساحة، لأنّك إذا دخلتها جذبتك هذه الساحة إلى التيّار فاحترقت .

معصية النّساء من هذا النّوع، تحتاج إلى هامش أمان، طريقٌ موبوء لا تمشِ فيه، صديقٌ مُغرمٌ بالزنى لا تُصاحبه، ولا تجلس معه، ولا تستمع إليه، قصّةٌ ماجِنة لا تقرأها، لقاءٌ مُختلط لا تأته، هذا هو هامش الأمان، لأنّ الله عزّ و جلّ يقول:



﴿ وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى ﴾

ولا تقربوا، أيْ يجب أن تدع بينك وبين الزنى هامش أمان، نظرةٌ، فابتسامةٌ، فموعدٌ، فلقاءُ.

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

ضع في ذهنك أن المرأة في الحرام لغمٌ مُتفجِّر، ربّما أطاح بدينك، ربّما أطاح بصلاتك، ربّما أطاح بوجهتك إلى الله عزّ و جلّ، ربّما أطاح بقُربك من الله عزّ و جلّ، أنت ذُقت طعم القُرب – المشكلة هنا – إذا ذاق المؤمن طعم القُرب حافظ على هذه الصِلة مهما بلغ الثّمن، أمّا إذا لم يذُق طعم القُرب، يرى أنّ أوامر الدّين عبئاً عليه، يرى أنّ الدين ثقيل، يرى أنّ الدين حِرمان، لكنّه إذا ذاق طعم القُرب من الله عزّ و جلّ فمن أجل الحِفاظ على هذا القُرب يضحي بكلّ غالٍ ورخيص، ونفسٍ ونفيس.

أحياناً يُوضع الإنسان في موقِفٍ حرجٍ، هذا الموقف يقتضي أن يُصافح، النبي عليه الصلاة و السلام يقول:

((إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ))

[أحمد عن أميمة بنت رقيقة]

أيُّهما أغلى عليك اتّصالك بالله أم أن تنجو من انتقاد بعض المُنتقدين،

﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ ﴾

القضيّة قضيّة موازنة، كلمة " الله أكبر" تعني: أنّك إذا رأيت أنّ الله أكبر من كلّ شيء، من كلّ هدف، من كلّ غاية، عندئذٍ تنضبط على أمر الله، حديثٌ يدعو إلى الوقوف والتّأنّي.

علاقة اتباع الشهوات بإضاعة الصلاة

ربّنا عزّ و جلّ ماذا قال عن المسلمين في آخر الزمان ؟ قال:

﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ﴾

(سورة مريم: الآية 59)

لماذا أضاعوا الصّلاة ؟ لأنّهم اتّبعوا الشّهوات، لماذا اتّبعوا الشّهوات ؟ لأنّهم أضاعوا الصّلاة، هناك علاقةٌ ترابطيّة، تارةً تكون إضاعة الصّلاة سبباً لاتّباع الشّهوات، وتارةً يكون اتّباع الشّهوات سبباً لإضاعة الصّلاة، وربُّنا سبحانه و تعالى يقول:

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

حينما يتّبعون الشهوات يُضيّعون الصّلاة، و حينما يُضيّعون الصّلاة يتّبعون الشهوات، هذا كلام الخالق، هذه قوانين حتميّة الحدوث،

﴿ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾

اتّباعٌ للشهوات، إضاعة للصّلاة، تحمّل البغي والعُدوان، والغيّ والضّلال.

أحياناً ندخل إلى محطّة وقود، يوجد مكان لوضع إعلان، يُمكن كتابة كلمات عديدة في هذا الإعلان، لو فرضنا كُتِب في هذا الإعلان: يُرجى أن تقف في الدّور، مُمكن، لو كُتِب في هذا الإعلان: يُرجى المُحافظة على نظافة المحطّة، كذلك إعلان مقبول، لكن هذا الإعلان ليس خطيراً، أمّا إذا كُتِب على هذا الإعلان: ممنوع التدخين، التدخين شيء مصيري قد يُحرِق المحطّة كُلّها، فهذا إعلان من نوع خاص، قد نكتب مكان هذا الإعلان ألف إعلان، كلّها لا تُقدّم و لا تؤخر، لكن إذا كتبنا في هذا الإعلان: ممنوع التدخين، فإنّ هذا الإعلان متعلّق بمصير هذه المحطّة، و ربّنا عزّ و جلّ في القرآن حينما يقول لك:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

(سورة النور: من الآية 30)

لا خيار للمؤمنين أمام أمر الله ونهيه

هذا أمر يُقدّم و يؤخّر، أمر مصيري، أمر يتعلّق بإقبالك على الله، إمّا أن تُقبِل إذا طبّقتَه، وإمّا أن تنقطع إذا خالفته، فكلّ أمرٍ في القرآن، وكلّ نهيٍ في القرآن هما أمرٌ ونهيٌ مصيريّان، يُحدّدان مصير علاقتك بالله عزّ وجلّ، لأن الآية الكريمة تقول:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 36)

أنت لك الخيار في المُباحات، بين هذا البيت وهذا البيت، بين هذه الفتاة وهذه الفتاة، تخطب هذه أو تلك، بين أن تعمل بهذه الوزارة أو بهذه الوزارة، بين أن تكون موّظفاً أو تاجراً، بين أن تُمضي أسبوعاً في هذا المصيف أو في هذا المصيف، هذا الخيار، لكنّك إذا عرفت الله عزّ وجلّ فليس لك خيارٌ فيما أعطى الله فيه حُكماً،

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

الآن بعض أنواع اللباقة والذوق الاجتماعي أن تُرحِب بامرأةٍ، أن تستقبلها في البيت، ولو أنّ الزوجة غائبة، لباقةً، تقول: هذه أخت زوجتي، هذه بنت عمّي، هذه بنت خالتي، معقول أن أرُدّها، مثلاً، هذه اللباقة، والذوق الرفيع في مُعاملة النّساء، هذا قد ينتهي بالإنسان إلى القطيعة عن الله عزّ و جلّ، هذه مُجاملة يُروّج لها إبليس، لكنّ المؤمن وقّافٌ عند حدود الله، الحلال ما أحللت، والحرام ما حرّمت، فإذا أحبّ المؤمن أن يُحافظ على هذه الصِلة بينه وبين الله، فليحفظ حدود الله، وإذا هان الله على النّاس هان النّاس على الله، يقول لك: الماء قليل، والأسعار مُرتفعة، وهناك ضائقة أحياناً، هذا كلام يُترجمه القول الشهير: هان الله عليهم فهانوا على الله، وهؤلاء لا يُبالون أحياناً أن هذا الأمر يجوز، أو لا يجوز، أو حرام، حلال، مسموح، أو غير مسموح، فيه معصية أو ليس فيه معصية، قال له: يا رسول الله عظني و أوجز، فقال عليه الصلاة والسلام:

((قُل آمنت بالله، ثمّ استقم))

[ورد في الأثر]

قال بدوي للنبي عليه الصلاة والسلام: عظني وأوجز، وفي حديثٍ آخر عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، قَالَ: قُلْ:

((آمَنْتُ بِاللَّهِ فَاسْتَقِمْ))

[مسلم]

قال أريد أخفّ من ذلك – هذه ثقيلة – فقال النبي عليه الصلاة والسلام:

((إذًا: فاستعِدّ للبلاء))

إذا تعاملت مع الله بقواعد واضحة ترتاح وتُريح، ربّنا عزّ و جلّ إمّا أن تأتيه طائعاً أو أن يسوقك إليه بالسلاسل، سلاسل المصائب، فإمّا أن تأتيه طوعاً، مُبادرةً، رغبةً، طمعاً، شوقاً، و إمّا أن يُؤتى بك إليه على أثر مُشكلة، على أثر مرض، على أثر ضائقة، على أثر ضغط، فالبطل هو الذي يأتيه طائعاً:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾

(سورة فصلت: الآية 11)

لأن الله خلقنا ليُسعدنا، هذا كلامٌ قطعيّ، فإمّا أن تقبل أن تسعد باختيارك، وإمّا أن تُساق إلى هذه السعادة بشكلٍ أو بآخر، لذلك الآية الكريمة:

﴿ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ ﴾

(سورة البقرة: من الآية 284)

إذا وجد مرض نفسي، إن أبديته أو أخفيته تُحاسب عليه، كيف المُحاسبة ؟

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾

(سورة البقرة: من الآية 284)

إن أقبلت عليه طواعيّةً يغفر لك، وإن أدبرت عنه، تُؤتى إليه من خلال مُضايقةٍ فعندئذٍ يُغفر لك أيضاً لكن على أثر عذابٍ لا على أثر إقبالٍ، المغفرة: إمّا أن تكون على أثر إقبال أو على أثر عذاب.

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة البقرة: من الآية 284)

يقول لك الطبيب: إمّا أن تستعمل الدّواء أو أن نجري لك عملية، الآن الدواء مُجدٍ، لكن بعد فترة لا بُدّ من عملٍ جراحي، أنت مُخيّر، فالإنسان يجب أن يقبل بالدواء قبل أن يُعالج بالجراحة، فإذا انطلقت من حبّك لذاتك، إذا انطلقت من حرصك على سلامتك، إذا انطلقت من رغبتك في كمال وجودك، في بقاء وجودك، فأطع الله عزّ و جلّ، لأنه:

﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 71)

الفائز بين مقاييس القرآن ومقاييس البشر

انظر إلى نظر الناس الآن، يقولون لك: هذا فلان هنيئاً له، عنده أرض ارتفع سعرها ثمانين ضِعفاً، قيمُ النّاس المال، فمن حاز المال بحجمٍ كبير وجهدٍ يسير، النّاس يرمقونه بأبصارهم، وإذا اشترى الإنسان بيتاً فخماً مريحاً في موقعٍ ممتاز، زيّنه تزيينات رائعة، أيضاً الناس يهنئونه، ويُثنون على شطارته وعلى ذوقه. وإذا تقلّد الإنسان منصباً رفيعاً، أيضاً يهنئونه، وإذا أنجب أولاداً مُتفوّقين في مقياس الدّنيا يُهنّأ، هذه مقاييس البشر.

لكنّ البطل هو الذي يبحث عن مقياس الله عزّ و جلّ، مقياس الله عزّ و جلّ شرحه الله في القرآن الكريم، قال:



﴿ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 71)

هل أنت مؤمن بهذا المقياس.

أضرب مثلاً للتقريب: لو أن صديقاً لك كان على مقعد الدراسة معك، وعمل بعملٍ حرّ فأصبح يملك ألوف الألوف، بل ألوف الملايين، وهو مُتفلّت من أمر الله، وأنت مستقيم على أمر الله، ولا تملك إلا قوت يومك، هل تشعر بأنّك محروم ؟ أو بأنّ هذا الصديق تفوّق عليك، وفاز عليك ؟ إن شعرت هذا فأنت لا تعيش هذه الآية، قد تفهمها، ولكن لا تعيشها، قد تفهم معناها، ولكن لا تعقلها، لا تعقل الآية إلا إذا عشتها، المؤمن الحقّ: يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُلقى في النّار، المؤمن الحقّ يقول: ليس في الأرض من هو أسعد منّي إلا أن يكون أتقى منّي، و لو كان طعامه خشناً، ولباسه خشناً، هذا الإيمان، الإيمان أن تسعد بمعرفة الله، أن ترى أن الهدى هو كلّ شيء، وأنّ الدنيا كلّها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وأنّ الله عزّ و جلّ إذا تجلّى على قلب الإنسان نسي الدّنيا وما فيها، ولا تنس خُطبة النبي عليه الصّلاة والسّلام:

((إنّ هذه الدّنيا دار التواء لا دار استواء))

[ورد في الأثر]

الدنيا لا تستقم لأحد

سبحان الله ! لا تستقيم الدنيا لإنسان، يأتيه المال ويفقد الطّمأنينة، تأتيه الطّمأنينة ويفقد المال، يأتيه المال والطّمأنينة ويفقد الزوجة الصّالحة، تأتيه الزّوجة الصّالحة ويفقد الأولاد الأبرار، يأتيه أولاد أبرار وليس له دخل يكفيهم، يأتيه دخل يكفيهم وأولاده أشرار، كلّ شيءٍ على ما يُرام لكن صحّته معلولة، إنّ هذه الدّنيا دار التواء –هكذا النبي قال – لا دار استواء، لا تستوي، مُحال أن تستقيم لك الأمور كلّها، رُكّبت على النّقص، رحمةً بنا لأنّه لو تمّت لكرهت لقاء الله عزّ و جلّ، لركنت إليها، لو جاءت الأمور كما تشتهي فهذه أكبر مصيبة، يقول الله عزّ و جلّ: عبدي، خلقت لك ما في السّماوات والأرض، ولم أعيَ بخلقهنّ، أفيُعييني رغيفٌ أسوقه إليك كلّ حين، و عزّتي و جلالي، إن لم ترض بما قسمته لك، فلأُسلّطنّ عليك الدّنيا، الدّنيا تأتيك من كلّ

جهة، فلأُسلّطنّ عليك الدّنيا تركض فيها ركض الوحش في البرّية،ثمّ لا ينالك منها إلا ما قسمته لك، و كُنت عندي مذموماً،أنت تريد،و أنا أريد، فإذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، و أن لم تسلّم لي فيما أريد، أتعبتك فيما تريد،ثمّ لا يكون إلا ما أريد .

إذا كان الإنسان مُنحرفًا، غارقا في المعاصي، وتأتيه الدنيا من كلّ جهة، هذه ليست نِعمة، ولكنّها نَعمة:

﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾

(سورة الدخان: الآية 27)

هذه ليست نِعمة، و لكنّها نقمة، يقول ابن عطاء الله السّكندري: " ربّما أعطاك فمنعك، وربّما منعك فأعطاك"، أحياناً يمنعك، فإذا منعك عن الدّنيا تتّجه إليه فتسعد بقربه، فيكون الخلاص بالحرمان من الدّنيا، وقد تأتي الدّنيا كما تريد فتكون حجاباً بينك وبين ربّ العزّة:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

هذا أوّل باب خطر، في بعض المرّات فلان لا يأتي إلى الدّرس، فما هو السّبب ؟ زار أقرباءه فالتقى بإحدى قريباته اللاتي لا ينبغي أن يراهُنّ، من حديثٍ إلى حديث تعلّق بها، قام ليُصلّي فرأى في نفسه تكاسلاً، شعر بالمُخالفة والمعصية، استمرأ هذه العلاقة وذلك التّكاسل حتى انقطع عن الله عزّ وجلّ، حالات كثيرة جدّاً سبب انقطاع الإنسان عن الله، و ن مجالس العلم أحياناً، أنّه وقع في مُخالفة متعلّقة بالنّساء، ولو على مستوى النّظر، أو مستوى الكلام، أو مستوى الحديث، حتى على هذا المستوى هذه معصية تقطع عن الله عزّ وجلّ.

الحديث الثاني:

بشارةٌ قالها النبي عليه الصّلاة و السّلام للنّساء كافّةً، أو للنّساء المؤمنات، عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ))

[الترمذي عن أم سلمة]

لأن رضاء الزّوج ربع دين المرأة، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ))

[أحمد]

طاعة الزوج في المعروف سبب دخول الجنة

فطاعة الزّوج وإرضاؤه فيما لا يُغضب الله عزّ وجلّ، هذا يكفي كي تدخل المرأة الجنّة، وقلّما تجد رجلاً راضياً عن زوجته كلّ الرضى، و لو تعلم المرأة حقّ الزوج ما قعدت ما لم يحضر طعامه أو غذاؤه، لكن طبعاً الزوج المؤمن، لأن الزوج المؤمن يعرف حقّ المرأة أيضاً.

هذا الحديث رواه الترمذي، وقال حديثٌ حسن.

الحديث الأوّل مُتّفقٌ عليه، وهو أعلى درجة من الصّحة، ما اتّفق عليه الشّيخان الإمام البخاري والإمام مسلم، وهذا الحديث كأنّه ضوء أحمر خطر، اجعل هذا الحديث بالقلم الأحمر:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنْ النِّسَاءِ))

[متفق عليه]

وجوب اتخاذ الأسباب لاتقاء فتنة النساء

فالإنسان يستعين بغضّ البصر، يستعين بترك الأماكن الموبوءة، يستعين بترك رفقاء السّوء، بترك الحفلات المُختلطة، بترك مكان فيه امرأة لا تخشى الله عزّ وجلّ، بقطع العلاقة مع كلّ قريبة لها تطاول من حيث الاختلاط مع الرّجال، هذا كلّه من أجل الحفاظ على الدّين

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-4) : القوامة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

آية قرآنية أصل في حقوق الزوجين

ننتقل أيها الإخوة في رياض الصالحين إلى بابٍ جديد، هو الباب الخامس والثلاثون، وعنوان الباب: حق الزوج على المرأة، وكما هي عادة الإمام النووي مؤلِّفُ الكتاب . رحمه الله تعالى . حيث يبدأ الباب بآيةٍ قرآنية متعلقةٍ بأحاديث هذا الباب، قال الله تعالى:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(سورة النساء: الآية34)

1- لا خيار للمؤمن أمام أمر الله ونهيه

الحقيقة أن الإنسان أمام كتاب الله جلّ وعلا، وأمام سنة رسول الله له موقف، هذا الموقف موقف التعبد، هذا أمر إلهي، أنت مخير في أمور الدنيا ؛ كمؤمن مخير أن تسكن في هذا البيت، أو في هذا البيت، أن تتزوج هذه المرأة أو تلك المرأة، أن تعمل عملاً حراً أو عملاً وظيفياً، لكنك كمؤمن صادق إذا كان هناك أمرٌ في القرآن فإنه:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 35)

إذا وُجد توجيه قرآني، حكم رباني، أو أمرٌ، أو نهي، في كتاب الله واضح الدلالة، قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، فأنت كمؤمن ليس لك خيار، فربنا سبحانه وتعالى هو الصانع، وهو الذي صمم نظام الزواج، هذا الزواج أو هذه الأُسرة لها نظام، من لوازم نظامها أنه لابد لها من قائد، والسؤال الآن: لماذا يعصي الناس ربهم ؟ والله هذا سؤال مهمٌّ، معظم الناس غارقون في المعصية، هناك توجيهات قرآنية، هناك توجيهات نبوية لا أحد يُقيم لها وزناً، أي ينساق وراء نزواته وشهواته، وساعةً يقوده الهوى، وساعةً تقوده المصلحة، وساعةً يقوده التقليد الأعمى، أما أن يتحرك الإنسان وفق أمر الله تماماً، أو ينتهي عما نهى الله عنه تماماً فهذا يحتاج إلى شيءٍ آخر.



الحقيقة أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعا إلى الله في مكة بقي ثلاثة عشر عاماً يدعو إلى معرفة الله، بعدئذٍ نزل التشريع، فكأن الطريقة المُثلى أن تعرف الآمر أولاً، ثم الأمر ثانياً، فإذا كان أمر الله بين يديك في الكتاب والسنة، ولم تعرف الآمر معرفةً كافية يسهُل عليك أن تخالف أمر الله عزّ وجل، يسهل عليك أن تعصيه، يسهُل عليك ألا تنتهي عما عنه نهاك، لأنه مجموعة أوامر في الكتاب والسنة، لكنك إذا عرفت من هو الله عزّ جل ماذا يعني أن تعصيه ؟ إذا عرفت ما عند الله من إكرام، ما عند الله من عقاب، إذا عرفت الله حق المعرفة، أي أن يُقَطع الجسم إرباً إرباً أهون من أن تخالف أمر الله عزّ وجل.

2- لا بد للزواج أن يكون مبنيا على شرع الله

لذلك الزواج في الإسلام هو شيء رائع جداّ، لكن إذا كان الزواج في جو من عدم التطبيق من أمر الله عزّ وجل يغدو جحيماً، لأن الزوجة تبتغي حظ نفسها، والزوج يبتغي حظ نفسه، وكلاهما وقد تتصادم هذه الحظوظ، ومن تصادمها تأتي المشكلات يأتي الشقاق، والنفاق يأتي الخصومات، لذلك شيءٌ مهمٌ جداً أن تعرف من هو الآمر، كما قال سيدنا بلال: **<< لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت >>**.

3- في الحياة ثوابت

في بالي مقدمة قبل أن أمضي في شرح هذه الأحاديث المتعلقة بحق الزوج على المرأة، هناك أشياء ثوابت في الحياة، فهذا الكون أليس كوناً عظيماً ؟ أي لو نظرت إلى المجرات لهالك هذا النظر لرأيت الأرض وما حولها من كواكب سيارة لا تعدو نقطةً في فراغ، فهذه المجرات التي تزيد على مَليون مليون مجرة، وفي كل مجرة ما يزيد على مليون مَليون نجم، والمسافات بين النجوم لا يعلمها إلا الله، وهي مسافاتٌ خيالية، هذا الكون بمجراته، بكازاراته، بمذنباته، هذا الكون بما فيه من آياتٌ دالةٍ على عظمة الله لمن سخره الله عزّ وجل؟

أليس هناك آياتٌ في كتاب الله محكماتٌ تؤكد أن الله عزّ وجل سخر هذا الكون للإنسان ؟ بلا شك إطلاقاً وبكل تأكيد الكون مسخر للإنسان، والدليل:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ ﴾

(سورة الجاثية: من الآية 13)

4- ماذا عليك أن تقدمه مقابل تسخير الله الكون لك ؟

فإذا كان هذا الكون كله مسخرا لي كإنسان، ماذا يُطالِبُني الله عزّ وجل ؟ يجب أن يكون هناك مطالبة بقدر هذا التسخير، فإذا أعطينا إنساناً أعلى راتب في الدولة، معنى هذا أنه هناك مسؤوليات كبيرةِ أمامه، إذا أعطيناه ميزات كبيرة جداً، معنى هذا أن مقابل هذه الميزات مسؤوليات، هذه النقطة الدقيقة، أي أن هذا الكون كله بما فيه، فكم من أنواع الأشجار ؟ وكم من أنواع الأزهار ؟ وكم من أنواع الأطيار ؟ وكم من أنواع الأسماك ؟



هذا الجسد بما فيه من أجهزة، من عضلات، من قلب، من رئتين، بما حولك من بيئة، ومن ظروف، من سماء، من هواء، من ماء، من بحار، من نجوم، من أطيار، هذا الكون كله مسخرٌ للإنسان، ماذا يقتضي هذا التسخير ؟ أن تعبد الله عزّ وجل، إذاً: أنت مقابل هذا الكون العظيم مكلفٌ أن تعرفه معرفةً عظيمة، وهذه المعرفة العظيمة من لوازمها أن تطيعه

طاعةً تامة، ومن نتائج هذه الطاعة التامة أن تسعد في الدنيا والآخرة، أي أن الهدف الأكبر من خلق السماوات والأرض، ومن خلق الإنسان هو أن يُسعدك في الدنيا والآخرة، هذا هو الهدف الأكبر، ولكن هذه السعادة لا متناهية، وهي تحتاج إلى عملٍ طيبٍ جداً منه وطاعةٌ وبذلٌ، هذا العمل الطيب يحتاج إلى معرفة طيبة، وهذه المعرفة الطيبة تحتاج إلى كون عظيم، هذا الكون العظيم هدفه أن تعرف الله من خلاله، هذه سلسلة ؛ كونٌ معجز، إذا تأملت فيه عرفت أن هناك إلهاً عظيماً لا حدود لعظمته، وأنه سخر لك هذا الكون لتعرفه ولتحبه، فإذا عرفته حق المعرفة أطعته حق الطاعة، إذا أطعته حق الطاعة سعدت بهذه الطاعة في الدنيا والآخرة.

لذلك عندما يمر معك أمرٌ، الآن أنت كزوج أو كزوجة إذا مر أمرٌ قرآني فالقضية خطيرةٌ جداً، هذا الأمر تنفيذٌ جزئيٌ لما يتوجب عليك تجاه خالق الكون الذي سخر لك الكون كله، هذه هي العقدة، فأنت تجد إنساناً لا يبالي بأمر الله عزّ وجل، الله هين عليه، وأمره هين، ومعصيته هينة، ومخالفة أمره هينة، وأن يخرق حدوده، فهذا شيءٌ سهلٌ بسيط، يقول لك: لا تدقق، ولا تعقدها، والله غفور رحيم، ونحن عبيد إحسان، ولسنا عبيد امتحان، والله عزّ وجل لا يضع عقله بعقلنا ويحاسبنا، فهذا كله كلام الجهلة، لكن ربنا عزّ وجل حينما خلق هذا الكون من أجلنا، فهو ينتظر منا أن نعرفه معرفةً صحيحة، وينتظر منا أن نشكره، فإذا عرفناه، وشكرناه فمن لوازم المعرفة والشكر الطاعة التامة، الطاعة التامة تنتهي بالسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة، من هنا جاء توجيه الله عزّ وجل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

(سورة النساء: من الآية 34)

5- قوامة الرجل على المرأة

أي أن هذه الأُسرة كسفينة ومركبة لها قائد واحد، لابد من أحد الطرفين أن يكون هو القائد، فربنا عزّ وجل قال:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

(سورة النساء: من الآية 34)

لقد جعل الله عزّ وجل الرجل متكاملاً مع المرأة، فالرجل والمرأة متساويان في التكليف وفي التشريف، في التكليف ؛ أي كلاهما كُلِّف بمعرفة الله عزّ وجل، وفي طاعته، وفي التقرب منه، والرجل كالمرأة في التشريف، أما التكليف في بقية التكاليف فهما مختلفان كالجهاد والجمعات وغيرها.

﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 35)

إلى آخر هذه الآيات، أي من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أُنثى فاستجاب لهم ربهم:

﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ﴾

(سورة آل عمران: من الآية 195)

6- الرجل والمراة: أوجه التشابه والاختلاف

المرأة والرجل متساويان في التكليف وفي التشريف، لكن هناك بونٌ شاسعٌ بين بُنية المرأة وبُنية الرجل، المرأة لها بنيةٌ نفسية، ولها بنيةٌ جسدية، ولها بنيةٌ عقلية، تتناسب مع أعظم وظيفةٍ خلقها الله من أجلها وهي رعاية الأطفال، والرجل له بنيةٌ عقليةٌ خاصة، وله بنيةٌ نفسيةٌ خاصة، وله بنيةٌ جسميةٌ خاصة، تتناسب مع دوره في الأسرة لكسب الرزق، ولإدارة دفة هذه السفينة، ولاتخاذ القرار لبُعد الرؤية، إذاً: هناك تكامل، فربنا عزّ وجل اختار الرجل على علمٍ وعلى تصميمٍ دقيق ليكون هو قائد هذه الأسرة، إذاً:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

الرجل عقله يغلب عاطفته، الرجل بُعد نظره أشد من بُعد المرأة في النظر، المرأة تنظر إلى ما يحيط بها، تنظر إلى المظاهر بشكلٍ يلفت النظر، لكن الرجل ينظر إلى حقيقة الحياة، فلا تعنيه المظاهر بقدر ما تعنيه جوهر الحياة، وليس هذا انتقاصاً من المرأة، فالمرأة لها دور، والرجل له دور، ولكل منهما مكانة عند الله، والنبي عليه الصلاة والسلام حينما قال للمرأة:

((اعلمي أيتها المرأة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرأة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[ورد في الأثر]

فوالله هناك امرأة صائمة قائمة مطيعة لزوجها تعدل ألف رجل، ألف بل عشرة آلاف، أو مئة ألف، فالقضية عند الله بالاستقامة والعمل:


بنية المرأة متناسبة مع وظيفتها في رعاية الأطفال

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

أي أن الرجل له القِوامة، وله الإدارة، وله الإشراف، وله القرار، وله القِيادة، إلا لو كان هو قد تخلى عن القيادة لزوجته مثلاً، تدخل هي على المحل قبله، وتتكلم، وهو يبقى ساكتا، هو لدفع الثمن، هناك حالات هو يتخلى عن دوره، وهذا بحث ثانٍ، أما ربنا عزّ وجل فقد صمم الأُسرة بنظام فقال:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

يروي عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه في إدارته لشؤون الرعية اتخذ قراراً من أحد الأشخاص، يبدو أن زوجته رضي الله عنها سألته في ساعة سرور أن هذا الرجل ما شأنه ؟ سؤال فقط، ولماذا فعلت معه هكذا ؟ وهي لم تتدخل في شؤونه، ولم تطلب منه توقيف هذا القرار، ولم تطلب منه اتخاذ قرار آخر، ولم تطلب العفو عنه أبداً، بل إنما سألته: ما شأن هذا الرجل ؟ فما كان منه رضي الله عنه إلا أن قال لها: << يا أمة السوء، وما شأنك أنت بهذا ؟ >>، وما علاقتك أنت بهذا الأمر، خليفة المسلمين يسمح لامرأة أن تتدخل بشؤونه ؟ امرأة على العين والرأس، ولها مكانةٌ عظيمةٌ جداً عند الله، لكن في دائرة اختصاصها، لذلك: " رحم الله عبداً عرف حده، فوقف عنده، ولم يتعد طوره ".

إذاً:

﴿ فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

هنا بمعنى أن الله آتى الرجل قوةً في العضلات، قوةً في الجسم، وآتاه قوةً في العقل، وآتاه قوةً في العقل على حساب العاطفة، لأن بعض المواقف يقتضي القسوة أحياناً، بعض المواقف تقتضي الجُرأة، المرأة بحكم عاطفتها الغالبة قد لا تستطيع أن تقف موقفاً متيناً من قضية مُعينة.

7- التعليل القرآني لقوامة الرجل على المرأة

الآن:

﴿ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

ربنا عزّ وجل ذكر تعليلين.

أول تعليل:

﴿ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾

والتعليل الثاني: بما أنفقوا من أموالهم.

9- من صفات المرأة الصالحة

الآن:

﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

(سورة النساء: الآية 34)

أي طائعات، هذه المرأة الطائعة حافظةٌ للغيب، أي تحفظ نفسها في غيبة زوجها، تحفظ نفسها وماله، أي أن أعلى صفة في المرأة أنها إذا غِبت عنها حفظتك في نفسها وفي مالك، في نفسها أي لا تسمح لأحدٍ أن ينظر إليها، ولا أن يكلمها كلمةً:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 32)

هناك نساء في غيبة أزواجهن يفتحن الباب لإنسان طرق الباب، ويحدثن هكذا بطلاقة، ولا يتحفظن باللباس أمامه، يفتحن الباب على مصراعيه باستهتار، فهذه لم تحفظ نفسها، وهذه كأنها تدعوا الناس إليها، وهذه كأنها على وشك أن تخون زوجها، لكن المرأة المؤمنة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

لذلك في المغرب عادات طيبة جداً، إذا طُرِق الباب فتعيد الطرق على الباب من الداخل، أي نحن هنا فتكلم ما تريد، أما أهلاً وسهلاً، تفضل الآن سيأتي، ارتح، وادخل لنقدّم لك فنجان قهوة، هذه ليست مسلمة، فالمرأة

المسلمة تحفظ نفسها في غيبة زوجها، لذلك عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:

((إِنَّ عِنْدِي امْرَأَةً هِيَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَهِيَ لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ، قَالَ: طَلِّقْهَا...))

[النسائي]

هذه المرأة التي لا تحفظ نفسها في غيبة زوجها لا تُؤتَمن، وهناك مفهوم عند النساء خاطئ، أنها شريفة، ولا أحد أن يستطيع أن يكلمها، ولا أحد يستطيع أن يتطاول معها، لكنها تظهر هكذا على الشُرفات من غير احتياط، ومن غير تستر، هذه التي تُبرز مفاتنها للناس ليست شريفة بالتأكيد، هذه التي تعرض مفاتنها على الناس باستهتار هذه ليست مسلمة، وإن صلت، وصامت، وزعمت أنها مسلمة، فالمرأة المسلمة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ ﴾

أي تحفظ نفسها في حضرة زوجها، وفي غيبة زوجها، وتحفظ ماله، أي أن البخل في هذا الموطن من صفات المرأة الفاضلة، لأن هذا المال مال زوجها هو الذي ينفق:

﴿ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

هذه المودة بين الزوجين، لذلك الوصية المرأة الثابتة لابنتها: " يا بنيتي، خذي عني عشر خِصال تكن لك ذخراً وأجراً، الصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، والتفقد لموضع عينه، والتعهد لموضع أنفه ؛ فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، والتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه ؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مبغضة، وإياك والفرح إن كان تَرِحاً، والترح إن كان فرحاً، فإن الأُولى من التقصير، والثانية من التكدير، ولا تعصي له أمراً، ولا تُفشي له سراً، إنك إن عصيت أمره أوغرت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غدره..." إلى آخر الوصية.

المرأة:

﴿ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾

(سورة النساء: من الآية 34)

هذا معنى الآية الكريمة:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ﴾

فإذا هو كان أقل منها ورِعاً، وأقل منها علماً، وأقل منها بُعد نظر، ولم ينفق من ماله عليها شيئا، والله هي القوّامة عليه، فإذا كان هو أعلى منها في الورع والعلم والتُقى والصلاح وأنفق من ماله عليها ملك القِوامة، فإن لم يفعل كانت هي التي تنفذ أمرها، وهو لا يحير جواباً.

لا يجوز إغاظة الزوجة

((لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا))



سبحان الله ! أنا أعجب أشد العجب كيف أن زوجاً أحياناً يتمنى أن يغيظ زوجته ؟ ينطلق بشكل واضح ومركز كي يغيظها، وكيف أن امرأةً تفكر في أن تغيظ زوجها ؟ هذا الوضع مَرَضي، لأنه خلاف الآية الكريمة:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

(سورة الروم: من الآية 21)

انظر إلى تصميم ربنا عزّ وجل، التصميم أن تسكن إليها، وأن تكون بينك وبينها المودة والرحمة، هذا تصميم ربنا، ما الذي يحدث ؟ تريد أن تغيظه ؛ يوم الجمعة الغسيل بأصعب وضع، مع توجيهات أن ضايقيه، هذا منتهى الحمق، ومنتهى الغباء، ومنتهى البعد عن الله عزّ وجل، لا يصح لامرأة أن تغيظ زوجها، ولا يصح لزوجٍ أن يغيظ زوجته، يقع خصام، ويقع سوء تفاهم، هذا شيء طبيعي، لكن لا ينطلق الإنسان من خلاف عفوي إلى خلاف مقصود، لا ينطلق من خلاف عفوي إلى خلاف مُركز.

نصيحتان غاليتان للمتزوجين

النصيحة الأولى:

والنصيحة التي أُقدِّمها لكل أخ، طبعاً لا يوجد زوجين من غير مشكلة إطلاقاً، هذا كلام غير واقعي، فهذه النفس غير هذه النفس، لها طلب، وهذا الطلب هو لم يوافق عليه، فصارت المشاحنة، أي أن هذا الشيء لابد منه.

فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

ومرة كسرت صحناً، جاءها طعامٌ من عند ضرتِها فكسرت الصحن، والنبي عليه الصلاة والسلام عاتبها. وسيدنا عمر جاءه شخص يشكو امرأته فسمع صياحاً فرجع، فسمع صوت طرق الباب، ذهب فرأى شخصاً راجعاً، فناداه، وقال له: **<<تعال، لماذا جئتني ؟ فقال له: جئتك أشكو مما أنت منه تشكو >>.**

هذا شيء طبيعي، ولكن الإنسان لا ينطلق من إغاظة الزوجة، فهذا لا يجوز، وهي بالمقابل لا تنطلق من إغاظة زوجها فتكون قد خالفت الآية الكريمة، خالفت نص القرآن الكريم.

النصيحة الثانية:

﴿ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ ﴾

تكون عندك فتنشأ مشكلة، أول كلمة يطردها إلى بيت أهلها، وفي بيت أهلها تغذية، هناك خالتها وعمتها، وابنة خالتها وأختها الصغيرة، وأختها الكبيرة، فيقولون لها: ماذا تريدين منه، وأنت تستحقين أحسن منه ؟ كان الأمر بسيطاً جداً، ويحل في يوم أو يومين، الآن وصل الأمر إلى الطلاق، وعندما لا يخبرونه بعد جمعة أو جمعتين يمتلئ من الغيظ، وهي أيضاً تمتلئ من الغيظ لأنه لم يخبرها، وهذه حلقة مُفرغة ومضحكة، هي تنتظر أن يتصل بها، وهو ينتظر أن تتصل به، وكل واحد منهما ركبه الشيطان، وأخذ منه كل مأخذ، وابتعد عن الآخر .

أليس الأحسن أن تبقيها عندك في البيت وثاني يوم تتصالحون ؟ وأنا أعني ما أقول بالضبط، أن أكبر مشكلة بين الزوجين تنتهي بعد أيام نهاية طبيعية إذا بقيت الزوجةُ في بيت زوجها، وأصغر مشكلة بين زوجين قد تنتهي بالطلاق إذا خرجت من بيت زوجها، فالأب العاقل لا يستقبل ابنته وهي غضبى، بنفس الليلة يحل الموضوع، يرجعها إلى بيت زوجها ويصالحهم،



ولا يطمعها، يقول لها: صدر البيت لكِ، كلي واركلي السفرة برجلك، هذا الكلام كله سخيف، أنا سمعت أن السلف الصالح إذا كانت ابنته غاضبة من زوجها، فيتفق مع الأم ؛ اليوم تعزلي البيت، وغداً تعملي مجدرة، وثاني يوم نعمل لك مشكلة، حتى تجد هذه الابنة أن بيت زوجها أفضل من بيت أهلها، فهناك آباء عقلاء جداً، إذا رأوا أن البنت حردت، ويوجد خِصام فيريها معاملة قاسية، ويريها اشمئزازاً، ويريها الخشونة في المعيشة، وأعمال مُرهقة، وخصام مُفتعل، وتمثلية بالخِصام، كي تكره الابنة أن تأتي إلى بيت أهلها، وهذه هي الحكمة.

وهناك آباء يطمّعون بناتهم، يقولون لها: ماذا تريدين منه اتركيه، غيظيه، هكذا حتى يقع الطلاق، وبعدها تقع المشكلة، فهذا كله من معاناة المجتمع المسلم، وهناك جهل كبير جداً.

أحياناً تجد أماً لا ترضى إلا وأن تبقى مسيطرة على ابنتها بعد الزواج، تجعل حياة ابنتها جحيماً بيدها، هذه أُم ؟ لذلك: عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ يَدْخُلُهَا الْفُقَرَاءُ، إِلَّا أَنَّ أَصْحَابَ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ، إِلَّا أَهْلَ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَوَقَفْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ))

[أحمد]

يجب أن يأخذ الرجل احتياطاً، الحقُ هو أن تقف على الحق تماماً، إذاً:

((لا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إلا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ: لا تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللَّهُ، فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا))

ألم يقل أحد الصحابة عندما طلبت منه زوجته ما فوق طاقته، قال لها: << اعلمي يا أمة الله، أن في الجنة من الحور العين ما لو أطلت إحداهن على الدنيا لغلب ضوء وجهها ضوء الشمس والقمر، فلأن أُضحي بكِ من أجلهن أهون من أن أُضحي بهن من أجلكِ >>.

هذه المرأة يجب أن تعرف حجمها وحدها.

وعن أُسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلَّم قال:

((مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ))

[صحيح مسلم]

أي أن المرأة أكبر مأخذ للشيطان، وإن إبليس طلاعٌ رصاد.

وما هو من فخوخه . عنده شباك كثيرة، فخوخ جمع فخ . وما هو من فخوخه بأوثق لصيده في الرجال من النساء ."

إن أضخم فخ عنده للرجال النساء، فليتقِ الله الإنسان، وليبتعد عن مواطن الشُبُهات.

نعمة عفة الزوجة وصلاحها لا تعدلها نعمة :



أحدنا يسافر شهراً لأمريكا مثلاً لا يخطر في باله لثانية واحدة أن رجلاً أجنبياً دخل بيته ، هذه نعمة لا تعدلها نعمة ، هي نعمة الإسلام ، نعمة الزوجة الصالحة ، أنا أرى ملايين مملينة من بني البشر المسلمين إذا سافروا لشهر أو شهرين لا يخطر في بال أحد منهم أن رجلاً دخل إلى بيتهم ، فنعمة عفة الزوجة وصلاحها لا تعدلها نعمة ، ولكن أريد أن أذكر أخوتي المشاهدين أن النعم التي ألفناها قد ننساها ، من هنا جاء دعاء النبي عليه الصلاة والسلام :" اللهم أرنا نعمك بدوامها لا بزوالها" . دخلت بيتك الزوجة صالحة ، مطمئن إلى عفتها واستقامتها ووفائها ، وأنها كما تتمنى ، هذه نعمة لا تعدلها نعمة .

على المؤمن أن يكون ذكياً لماحاً و يكتشف الخلل قبل أن يصل إليه :

والله هناك معنى عميق جداً ، الزوج الصالح عنده إدراك دقيق ، فإذا أدرك أن هناك في حياة زوجته جهة أخرى فيجب أن يدركها بوقت مبكر ، حتى يصلح ما فسد ، حتى يقوّم الاعوجاج ، حتى يطبب ، حتى يعالج، أما هناك من يغفل عن هذه الناحية ، إلى أن يقع المحظور ، تخافون أي لم تنشز بعد ، لكن هناك اهتمامات لا ترتاح لها ، كأن هذه الآية تريد من المؤمن أن يكون ذكياً ، يكون لماحاً ، أن يكتشف الخلل قبل أن يصل إليه ، وهذه بطولة في الإنسان ، هذه القيادة ، الحقيقة ما من مؤسسة في الأرض إلا وتحتاج إلى قيادة ، والزوجان متساويان في التكليف والتشريف والمسؤولية ، لكن هذه المؤسسة لا بد لها عند الأزمات من قائد واحد.


الزوج هو القائد الوحيد عند تتعرض أسرته للأزمات

أنا أقول : كيف أن الطائرة فيها طياران كلاهما يملك من المؤهلات ما يقود بها الطائرة ويقلع بها ويهبط بها ولكن عند الأزمة الشديدة القرار للقائد ، أنا أقول : هناك مشاركة مع الزوجة يسألها وتسألك ، تأمرها وتأمرك ، من باب المشاركة لكن هناك أزمة في البيت القرار للزوج ، أية مؤسسة في أي مكان لا بد لها من قيادة ، والقيادة أحادية ، أنا أضرب مثل الطائرة في الأزمات القرار لواحد .

أساليب و ضوابط قوامة الرجل على المرأة :

1 . الوعظ :

أولاً : فعظوهن ، أنا لا أتصور تكليفاً من دون بيان ، أنا أبين لها ما أريده منها ، أبين لها ما آلمني من تصرفاتها ، أبين لها تقصيرها ، حينما أبين أحاسب ، أما أن تحاسب على توهم منك أيها الزوج أنها خالفت ما تتمنى فهذا خطأ كبير ، أعلمتها بما تتمنى ؟

أعلمتها بما يزعجك ؟ أعلمتها بما يرضيك ؟ فلذلك أنا أتمنى أن يكون هناك حوار ، هذا الحوار بين الزوجين من حين لآخر ، هذا التصرف يؤلمني .



أنت امرأة غالية عليّ ، يثني عليها دائماً ، النقد يحتاج إلى مدح قبله ، حتى تطمئن ، أنا لست حاقداً لكن هذه حياة مشتركة ، وهذا زواج مشروع مستمر ، هذه الكلمة تؤلمني ، هذا التصرف يؤلمني ، فتح النافذة بهذه الطريقة يؤلمني ، مثلاً ، هذا الاتصال الهاتفي معه أشعر أنه لا ينبغي أن تتصلي مع أقربائك مثلاً يؤلمني ، أنا أريد أن يبين ، لذلك قالوا : البيان يطرد الشيطان ، بيّن ، إذا بينت حاسب ، لكن الحساب ليس من المرة الأولى ، ممكن من المرة الأولى أن يكون هناك استمرار للخطأ ، أو لا يوجد قصد بتنفيذ الأمر ، المرة الثانية ، الثالثة فيها محاسبة ، والبطولة في الزواج أن إعراض الزوج فقط يعد أكبر عقوبة لزوجته ، إعراضه عنها ، الإحسان إذا تتابع من الزوج يصبح الإعراض عقاباً شديداً ، كيف أن قوله تعالى بحق المؤمنين ، أحياناً يقصر المؤمن ، تزل قدمه في مخالفة في الشرع :

﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾

[سورة المطففين : 15]

والأثر معروف : تخلقوا بأخلاق الله ، فأنت ينبغي أن تعظها وتبين لها الصواب ، وهذا خطأ ، والبطولة مع الدليل :

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾

[سورة التوبة: 103]

دائماً أقنع ولا تقمع ، أنا هذا الموقف يؤلمني ، آثاره المستقبلية خطيرة ، هذا يسبب سمعة لا نرضاها لك مثلاً، دائماً أبين ، أقنع ولا أقمع ، أما حينما ترتكب الخطأ مرة ثانية نحن نبهناك سابقاً ، المرة الثالثة يجب أن تعرض عنها إلى حين ، وهذا يعد أكبر تأديب ، كلما ارتقت علاقة الزوجة بزوجته يصبح الإعراض عنها أكبر تأديب لها .

2 . الهجر في المضاجع :



الشيء الثاني فو قوله تعالى :

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[سورة النساء : 34]

هناك ملمح في الآية مذهل ، لو أنه تألم منها فنام في غرفة أخرى ، في غرفة الجلوس ، الأولاد اكتشفوا أن هناك مشكلة ، فكأن الله يريد منا إن كان هناك خلاف بين الزوجين أن يبقى في غرفة النوم ، فلو خرج من غرفة النوم ونام في غرفة الجلوس مثلاً علم الأولاد أن هناك مشكلة بين أبيهم وأمهم ، فكأن الله يريدنا أن تبقى هذه المشكلة محصورة بين الزوجين فقط:

﴿ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴾

[سورة النساء : 34]

3 . الضرب غير المبرح :

والله أنا أحاول أن أوضحها بالمثل التالي ، إذا كان هناك طفل يتيم ، ويعمل في محل تجاري ، والطفل ليس له أب ، وأمه تعيش من أجرته ، فلو أن هذا صاحب المحل كشف خطأ من أخطاء هذا الطفل فطرده ، فقد عمله ، لا ، أنت أدبه وأبقه عندك ، هذه أفضل بكثير ، أفضل بليون مرة ، الزوج يستطيع أن يطلق زوجته ، من لها غيرك ؟ أخطأت ، فالبطولة أن يحتمل هذا الخطأ ، أنا أذكر مرة أن رجلاً تزوج إنسانة ، بالشهر الخامس من زواجه كان حملها في الشهر التاسع .



واضح هناك خطأ مرتكب ، كان بإمكانه أن يطلقها ، أو أن يسحقها ، أو أن يفضحها ، فالدولة معه ، والقانون معه ، والشرع معه ، وأهلها معه ، ماذا فعل ؟ جاء لها بمن يولدها ، ولدت ، فحمل المولود تحت عباءته ، وتوجه إلى جامع الورد في ساروجة في دمشق ، وبقي واقفاً أمام الباب حتى نوى الإمام الصلاة ، قال: الله أكبر ، دخل ووضعه إلى جانب الباب ، والتحق بالمصلين ، فلما انتهت الصلاة بكى هذا الصغير ، تحلق المصلون حوله ، وتأخر هو حتى يكتمل تحلق المصلين حوله ، ثم اقترب ، قال : ما القصة ؟ قالوا : تعال انظر ! مولود لقيط ، قال : أنا أكفله ، فأخذه ، ودفعه إلى أمه من أجل أن تربيه ، فالذي يلفت نظري في القصة وصاحبها رجل له مكانة كبيرة رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قال له النبي في الرؤيا : بلّغ جارك فلاناً أنه رفيقي في الجنة .

أنا أستنبط من هذه القصة المؤثرة أن العدل مطلوب ولكن الإحسان فوق العدل ، الإحسان فوق العدل ، وأنت أيها المؤمن كما أن الله أمرك أن تكون عادلاً أمرك أن تكون محسناً، أنا أقول هذه رسالة ، عندك ابن ، عندك زوجة ، عندك شريك ، هناك خطأ فك الشركة سهل ، والطلاق سهل ، والضرب المبرح سهل ، لكن البطولة أن تصلح ، فالإصلاح فيه أجر كبير ، بلّغ جارك فلاناً أنه رفيقي في الجنة .

غير المؤلم من أجل جرح ، إعطاء خبرة مؤلمة ، أحياناً الأستاذ يترك الطالب واقفاً على الحائط ، هو لم يضربه ، الكل جالس وهو واقف لأنه لم يكتب وظيفته ، العقاب ليس المهم منه الإيلام لكن الغرض منه أن تضعضع المكانة الاجتماعية .

مرّ معي نص لطيف :

((والله لولا خشية القصاص لأوجعتك بهذا السواك))

[ورد في الأثر]

استيعاب الزوج لزوجته و تأديبها إن أخطأت :

لكن أعداء الدين يأتون لهذه الآية ويكبرونها ، هؤلاء قناصون ، يريد أن يقنص ، أعيد مرة ثانية : هذا اليتيم الذي يعمل عندك لو أخذ من مكان المال مبلغ مئة ليرة ، أنت بإمكانك أن تطرده لكن هو ليس له أحد غيرك، لو أدبته وبقي عندك أفضل بكثير ، أنا أقول : الزوجة أخطأت ممكن أن تطلقها ، لكن لو طلقها وانكشف الخطأ الذي وقعت به ربما تعاني ما تعاني من أهلها ، وقد تنتهي حياتها أحياناً ، حينما استوعبها وأدبها ، والله له أجر لا يعلمه إلا الله ، فهذا الذي اكتشف أن زوجته وقعت بفاحشة ثم سترها ، وأخذ المولود، وقدمه لها بعد ساعات على أنه لقيط وسترها قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾

[سورة النحل: 90]

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-4) : الطاعة و المؤانسة و التزين

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ، من حقوق الزوج على زوجته أن تطيعه إذا أمرها ، كيف تكون طاعة الزوجة لزوجها ؟ ما هي حدود هذه الطاعة ؟ وكيف يعين الزوج زوجته على طاعته ؟ وما المؤهلات التي ينبغي توافرها عند الرجل ليأمر فيطاع ؟ تابعوا هذا اللقاء لنجيبكم على هذه الأسئلة ، وترقبوا في نهاية الحلقة قصة زواج ناجح تضيء لنا طريق الزواج .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، بسم الله ، الرحمن علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على نبينا العدنان ، وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان .

أخوتي الأكارم ؛ نحن معكم في حلقة جديدة من برنامجكم درر ، وما زلنا في القيم في تعامل الزوجة مع زوجها ، نتناول حقوق الزوج على زوجته ، وقد أسلفنا في الحديث عن حقين ؛ وهما حق القوامة ، ثم نتحدث اليوم إن شاء الله عن حق ثان وهو حق الطاعة ، اسمحوا لي أن أرحب بفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي، حياكم الله .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم نحن اليوم مع الحق الثاني وهو مرتبط تماماً بالحق الأول ، ولكن لا بأس أن نعرج عليه قليلاً وهو حق الطاعة ، أن تطيع الزوجة زوجها ففي الترمذي حديث شريف:

((أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة))

[المستدرك عن أم سلمة]

ما حدود طاعة الزوجة لزوجها ؟ وكيف تكون الطاعة ؟

حدود الطاعة :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .

هناك قصة قصيرة يمكن أن تضيء لنا هذا الموضوع ، أنصاري أمّر على سرية بعد أن جاوز المدينة ، قال: أضرموا ناراً عظيمة فأضرموها ، قال : اقتحموها، قالوا : كيف نقتحمها وقد آمنا بالله فراراً منها ؟ قال : ألست أميركم ؟ أليست طاعتي طاعة رسول الله ؟ حصل جدال بينهم ، عرضوا هذه القضية على النبي الكريم فقال : والله لو أطعتموه لازلتم فيها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في معروف . والآية تقول :

﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الممتحنة : 12]

ما المعروف ؟ الشيء الذي تعرفه بفطرتك من دون تعليم ، من دون توجيه ، هذا معنى كلمة المعروف والمنكر ، المعروف نعرفه ابتداء بفطرتنا ، والمنكر ننكره ابتداء بفطرتنا ، حينما نقول :

﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الممتحنة : 12]

الزوج يخرج من البيت يبذل جهداً كبيراً في كسب المال ، يعود لا بد من أن يكون البيت نظيفاً من زوجة أنيقة ، أولاد يأخذون حظهم من أمهم الكامل ، هذا المعروف ، هذا المطبق ، هذا يفهمه أهل الأرض ، أنا أريد أن يكون الدين بسيطاً ، ينبغي ألا نعقده ، قال تعالى:



﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الممتحنة : 12]

أي يجب أن تطيعه ، هذا البيت قيادة ، هذا البيت مؤسسة له قائد واحد ، هو يستشيرها وتستشيره ، بل يأمرها وتأمره :

﴿ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الطلاق: 6]

والفعل مشاركة ، لكن في الأزمات في الموضوعات الكبرى القرار للزوج ، هذه هي القيادة ، وهذه القوامة ، وهي عليها أن تطيع زوجها لأن الله أمرها بذلك .

الأستاذ بلال :

الطاعة في معروف هذه هي حدود الطاعة .

الدكتور راتب :

والمعروف يعرف ابتداء .

الأستاذ بلال :

أي لو أمرها ، زوجة تتصل بنا أو تبعث شكوى تقول : والله زوجي أمرني بترك الحجاب .

لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق :

الدكتور راتب :

هنا موضوع آخر ، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، هنا القرآن أورد قصتين، امرأة عمران ، وقصة آسيا امرأة فرعون ، امرأة فرعون زوجها أكفر كفار الأرض ادعى الألوهية :

﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾

[سورة النازعات: 24]

وحينما سمح الله لامرأته أن تكون مؤمنة كبيرة، أراد الله أن نعتقد أن المرأة مستقلة في دينها عن زوجها ، تحاسب وحدها ، فلذلك :

﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾

[سورة الممتحنة : 12]

المرأة حينما تطيع زوجها تطيع ربها لأن ربها أمرها بذلك ، أما الطاعة ففي معروف، فيما هو مألوف ، معروف بالفطر السليمة .

الأستاذ بلال :

ننتقل سيدي للحق الثالث مباشرة بعد حق القوامة والطاعة في معروف يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

((إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ))

[البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ"]

لماذا هذا الوعيد الشديد على المرأة التي تمتنع عن زوجها ؟

الوعيد الشديد للمرأة التي تمتنع عن زوجها :

الدكتور راتب :

لأن الله عز وجل أودع في الإنسان هذه الطاقة ، هذا الميل إلى الجنس حله الوحيد الزواج ، ما من شهوة أودعها الله بالإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة طاهرة تسري خلالها ، أي بتعبير آخر بالإسلام لا يوجد حرمان إطلاقاً .



ما من شهوة أودعها الله بالإنسان إلا جعل لها قناة نظيفة طاهرة ، والإنسان يتزوج لوجود دافع جنسي عنده ، ولولا هذا الدافع لانقرضت البشرية والحكمة البالغة أن هذا الدافع هو الذي يجعل البشرية تستمر ، لو ألغي هذا الدافع لانقرضت البشرية ، والإنسان تلبية لحاجته ، لغريزته ، لشهوته التي أودعها الله فيه يتزوج دون أن يشعر ، يحقق هدفاً كبيراً هو استمرار الجنس البشري .

الأستاذ بلال :

فإذا أبت وامتنعت لها هذا الوعيد .

الدكتور راتب :



عفواً كمؤمن ليس عنده إلا قناة واحدة لإرواء هذا، إنها زوجته ، ما عنده قنوات أخرى ، في المجتمعات المتفلتة هناك قنوات كثيرة جداً ، أما في المجتمع المؤمن فهناك شيء دقيق جداً، يوجد قيم و مبادئ ، فهذه الشهوة التي أودعها الله فيه لها قناة نظيفة واحدة هي الزوجة ، إذاً هي حينما تمتنع عن أن تنام معه، أو عن أن تلبي رغبته ، هي وقعت في خطر كبير ، كأنها ألغت حقيقة الزواج ، الإنسان يحضر خادمة أحياناً ، أخته تخدمه أحياناً ، أما الزواج فله معنى آخر ، فلذلك لا نقول : أن تستجيب له ، بل و أن تتزين له ، أن تتجمل له ، أن تعتني بصحتها من أجله ، أن تعتني بقوامها من أجله ، هذا نوع من العبادة والله ، هذا نوع من العبادة وتعفه عن الحرام ، لذلك المشكلة أن هناك نساء كثيرات تتزين أبهى زينة في حفلاتها مع بقية النساء أما ثيابها العادية والأقل من عادية لزوجها وهذا خطأ كبير ، حتى مرّ معي في بعض أحكام الفقه لا يجوز للمرأة إذا اشترت ثوباً جديداً أن تلبسه لغير زوجها أول مرة ، أول مرة لزوجها ، هو الذي ينبغي أن تحصنه بأناقتها ، وثيابها ، وعنايتها بجمالها .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل بعض الحقوق البسيطة التي نعرج عليها قليلاً مثل ألا تأذن لأحد أن يدخل بيته إلا بإذنه .

ضرورة توفر منظومة مبادئ وقيم يقدمها الزوج إلى زوجته عند زواجهما :

الدكتور راتب :

هذا البيت له قيادة سيدي ، مثلاً هو لا يرضى أن يأتي رجل أجنبي ، معنى الأجنبي بالفقه ليس من محارمها، وأن تسمح له بدخول البيت ، هذه ليست واردة .

أنا أعيد مرة ثانية : الزوج إذا تزوج يجب أن يبين لزوجته كل ما يريده منها ، هذه لا تجوز، هذه تجوز ، هذا مسموح ، هذه مسموح حضورها بغيابي ، فلا بد من منظومة مبادئ وقيم يقدمها الزوج إلى زوجته ، دخول رجل أجنبي إلى البيت غير مسموح به .



الأستاذ بلال :

حتى لو خشي من بعض النساء ، قال : هذه المرأة أو هذه الجارة ليس في تدينها شيء جيد فلا أريد أن تدخل البيت .

الدكتور راتب :

هناك امرأة تورث العداوة والبغضاء بين الزوجين ، وحينما تأتمر الزوجة بأمر زوجها تطيع ربها ، لأن الله أمرها أن تفعل ذلك .

الأستاذ بلال :

أخوتي الكرام ما زال للكلام بقية وبقية ممتعة إن شاء الله ، ولكن نعود إليكم بعد فاصل...

نتابع معكم حقوق الزوج على زوجته ، أستاذنا الفاضل بقي حق وهو في كتب الفقه معروف وهو أنه لا يجوز للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه كما صح في الحديث ، ما هو هذا الصوم الممنوع وما سبب ذلك ؟

الصوم الممنوع :

الدكتور راتب :

هو معها في البيت إن صامت اختل نظامه الغذائي ، و قد يكون بحاجة إليها أيضاً فلا يستطيع .



ممكن أن تصوم في غيابه ، أما في حضوره فينبغي أن تستأذنه ، وأنا فيما أرى معظم الأزواج لا يمانعون ، لكن أن تصوم تحدياً له أنا صائمة ، هذا الصيام لا يرضي الله عز وجل .

الأستاذ بلال :

على صوم النفل ؟

الدكتور راتب :

طبعاً شيء بديهي ، ولعلي أضيف إلى الفرض أداء الفرض المكسور ، حينما تفطر في رمضان لسبب أو لآخر ، يمكن أن تعوض هذه الأيام بعد رمضان ، ينبغي أن يسمح لها بذلك .

الأستاذ بلال :

جميل جداً ، أستاذنا الفاضل لعلنا انتهينا من هذه الحقوق ، وإن كنا أجملنا بعضها بما يسمح به الوقت ، أريد الآن أن أختم بقصة عن زواج ناجح تعطي للأخوة الكرام ومضة جميلة جداً عن الزواج الناجح الإسلامي .

ومضة جميلة عن الزواج الإسلامي الناجح :

الدكتور راتب :

روت كتب الأدب والسيرة أن القاضي شريح لقيه صديقة الفضيل فقال له : يا شريح كيف حالك في بيتك ؟ قال : منذ عشرين عاماً لم أجد من يعكر صفائي ، قال : وكيف ذلك يا شريح ؟ قال : خطبت امرأة من أسرة صالحة ، فلما كان يوم الزفاف وجدت صلاحاً وكمالاً – يقصد صلاحاً في دينها وكمالاً في خَلقها – فصليت ركعتين شكراً لله على نعمة الزوجة الصالحة، فلما سلّمت من صلاتي وجدت زوجتي تصلي بصلاتي ، وتسلم بسلامي ، وتشكر شكري ، فلما خلا البيت من الأهل والأحباب يوم عرسه ، دنوت منها ، فقالت لي : على رسلك يا أبا أمية – أي انتظر – ثم قامت فخطبت ، قالت : أما بعد ، يا أبا أمية إني امرأة غريبة لا أعرف ما

تحب ، ولا ما تكره ، فقل ما تحب حتى آتيه ، وما تكره حتى أجتنبه ، ويا أبا أمية قد كان لك من نساء قومك من هي كفء لك ، وكان لي من رجال قومي من هو كفء لي ، ولكن كنت لك زوجة على كتاب الله وسنة رسوله ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ، فاتقِ الله فيّ وامتثل قوله تعالى :

﴿ فإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾

[سورة البقرة: 229]



قال : فألجأتني إلى أن أخطب ، وقفت وقلت : أما بعد ، فقد قلت كلاماً إن تصدقي فيه وتثبتي عليه يكن لك ذخراً وأجراً ، وإن تدعيه يكن حجة عليك ، أحب كذا وكذا وأكره كذا وكذا – الآن الشاهد – و ما وجدت من حسنة فانشريها وما وجدت من سيئة فاستريها . قالت: فمن من الجيران تحبَّ أن أسمح لهنَّ بدخولِ بيتك ومن تكره ؟ قال : بنو فلان قومٌ صالحون، وبنو فلان قومٌ غير ذلك ، قال : ومضى عليَّ عامٌ جئت إلى البيت فإذا أم زوجتي عندنا فلمَّا دخلت رحَّبتُ بها أجمل ترحيب ، وكانت قد علمت من ابنتها أنها في أهنأ حال ، قالت لي أمها: يا أبا أمية كيف وجدت زوجتك ؟ قلت : والله هي خير زوجة ، قالت : يا أبا أميَّة ما أوتي الرجال شراً من المرأة المدلَّلة فوق الحدود ، فأدِّب ما شئت أن تؤدِّب ، وهذِّب ما شئت أن تهذِّب، ثم التفتت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة ، ومضى عليّ عشرون عاماً لم أجد ما يعكر صفائي إلا ليلة واحدة كنت فيها أنا الظالم . أنا أريد من هذه القصة المؤثرة أن أقول : إذا بني الزواج على طاعة الله يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، أما إذا بني على معصية الله فيتولى الشيطان التفريق بينهما ، لذلك هذه قاعدة :

((والذي نفس محمد بيده ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما))

[أحمد عن ابن عمر]

هذا الزواج حياة والحياة لها قواعد وسنن ، فأنا حينما أتقي الله في زواجي أسعد بزوجتي ، وتسعد بي .

الأستاذ بلال :

جميل ، لفت نظري في القصة أريد أن تعقبوا عليه لو تفضلتم وهو الفتاة الصالحة ، تزوجت من أسرة صالحة ثم جاءت أم زوجتي والتفتت إلى ابنتها تأمرها بحس السمع والطاعة ، ما دور أهل الزوجة في إسعاد الزوج وفي جعل هذا البيت ناجحاً ؟

دور أهل الزوجة في إسعاد الزوج :

الدكتور راتب :

والله أهل الزوجة لهم دور كبير في إسعاد ابنتهم ، حينما تشكو الفتاة المتزوجة حديثاً زوجها الأم العاقلة : لا يا بنيتي زوجك جيد جداً ، زوجك مؤمن ، صالح ، هذا شيء بسيط عرضي ، فهناك أم تخفف عن ابنتها أخطأ زوجها ، وهناك أم تكبر هذا الخطأ ، وتسهم هذه الأم أحياناً بالطلاق دون أن تشعر ، فلذلك أم الزوجة مظنة صلاح وتجربة وخبرة وكمال ، وأحياناً نجد أمهات للزوجات يسهمن بشكل أو بآخر في تطليق بناتهم .

الأستاذ بلال :

وكيف ينبغي أن يعامل أم زوجته والعكس ؟

كيفية معاملة الزوج أم زوجته :

الدكتور راتب :



والله أنا أقول كلاماً أرجو أن يكون واضحاً لدى الأخوة المشاهدين : لك آباء ثلاثة؛ لك أب أنجبك ، ولك أب زوجك ، ولك أب دلك على الله، فالأب الثاني زوجك هذه ابنته ، جهد في تربيتها ، جهد في إعدادها ، جهد في تعليمها ، وقدمها لك هدية ، هذا أب لك ، ونحن في التقاليد الإسلامية القديمة العم والد ، أبو الزوجة والد ، وأنا أؤكد ذلك ؛ لك أب أنجبك ، ولك أب زوجك ، ولك أب دلك على الله ، فإكراماً لهذا الأب الذي اعتنى بابنته عشرين عاماً ثم قدمها لك بصحة جيدة ، ومتعلمة ، وتربيتها عالية ، هذه هدية من الأب ينبغي أن تقبل هذه الهدية مع

التكريم ، تكريماً لها ولأبيها ، أنا أرى أن الأحمق هو الذي يسيء علاقته مع أهل زوجته ، هؤلاء أقرباء جدد، أما إذا انتقد أمها باستمرار وهي دافعت عن أمها نشب الخلاف ، كما أنك تحترم أمك جداً هي أمها أيضاً .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب الذي سعدنا فيه بصحبتكم ، نشكر لكم طيب متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الفصل السادس : حق الزوجة على الزوج

الدرس (5-1) : الإنفاق و عدم الإساءة

الدرس (5-2) : هدايتها ورعاية دينها

الدرس (5-3) : النفقة والمعاشرة بالمعروف

الدرس (5-4) : حسن المعاملة

الدرس (5-5) : كتم أسرارها

الدرس (1-5) : الإنفاق و عدم الإساءة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

مقدمة

أيها الإخوة الأكارم، قبل عدة أسابيع عقد مرَّ معنا فصلٌ في رياض الصالحين حول حق الزوج على زوجته، وذكرت وقتها مجموعة من الأحاديث الشريفة حول حق الزوج على زوجته، وقد وعدتكم إثر ذلك الدرس أن أتحدث في درس قادم عن حق الزوجة على زوجها، لأن أساس نجاح الإنسان في الحياة سعادته الزوجية، والإنسان قد ينزعج من بيته، بإمكانه أن يغيره، وقد ينزعج من عمله، وفي إمكانه أن يبدله، وقد ينزعج من مركبته، وفي إمكانه أن يبدلها.

الاصل في العلاقات الزوجية المودة والرحمة


الفراق بين الزوجين تعني التشرد للأولاد

لكن الحياة الزوجية حياة مصيرية، بمعنى ؛ أنك إذا رزقت من هذه الزوجة بأولاد فإن الفراق يعني تشرد الأولاد، فلهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام حريصاً حرصاً لا حدود له على أن يكون الوفاق بين الزوجين تنفيذاً للمخطط الإلهي الذي يبدو من قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(سورة الروم: الآية 21)

إن الأصل في العلاقات الزوجية المودة والرحمة، هذا هو التخطيط الإلهي هذا هو الوضع الطبيعي، هذه هي الصحة النفسية بين الزوجين، فلو أن بين الزوجين مشاحنة أو بغضاء، أو جفاء، إن هذا حالة مرضية تقتضي المعالجة.

حرص النبي عليه الصلاة والسلام على سلامة الحياة الزوجية

إن النبي عليه الصلاة والسلام حرصاً منه، وقد أنبأنا الله عز وجل بأنه حريص علينا.

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

(سورة التوبة: 129)

من حرصه صلى الله عليه وسلم على أن يكون في كل بيت مسلم، أن يكون في كل بيت من بيوت المسلمين سعادة مظللة، من حرصه هذا عليه الصلاة والسلام وجهنا توجيهات كثيرة فيما يتعلق من حقوق الزوج على زوجته، وحقوق الزوجة على زوجها.

الحقيقة أن الأزواج دائماً يتحدثون عن حقوق الزوج على زوجاتهم، هذا من قبيل أن الأحاديث في مصلحتهم، ولكن لكل حق واجب، فإذا كنت تعتز بما قاله النبي عليه الصلاة والسلام من حق على امرأتك، فيجب أيضاً أن تلقي أذناً صاغية، أن تصيغ السمع إلى الأحاديث الأخرى التي تتحدث عن حق الزوجة على زوجها، كما أنك تبدي اهتماماً بالغاً بالأحاديث التي تتعلق بحق الزوج على زوجته يجب أن تلقي بالاً، وأن تصيغ السمع، وأن تلقي أذناً مصغية لحقوق الزوجة على زوجها، والبحث قد لا يكفيه درس واحد، لكن نبدأ هذا الموضوع في هذا الدرس، وعلى الله التوفيق.

واجبات الزوج نحو زوجته: الاطعام والكسوة

الحديث الأول:

الاحسان في الكسوة والطعام

النبي عليه الصلاة والسلام بيّن في بعض الأحاديث الشريفة أن أول حقٍّ للزوجة على زوجها أن يحسن إليها في كسوتها، وطعامها هذا الحق الأول.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بنِ حَيْدَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ: مَا حَقُّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ؟ قَالَ:



من حق المرأة الإنفاق عليها في المطعم

((تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ...))

[أحمد]

لكن العلماء قنّنوا أن هذا الإحسان في الكسوة وفي الطعام يجب أن يكون في الحدود المعتدلة، تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾

(سورة الإسراء: 29)

الإنفاق له حد معتدل، إذا زاد عن هذا الحد انقلب إلى الضد، وكان الفساد في الأرض.

لا لإرضاء الزوجة بمعصية الله

في الحديث إشارة خطيرة جداً، هؤلاء الذين يتحملون معصية ربهم من أجل إرضاء زوجاتهم ما قرؤوا هذا الحديث، ما كلفك الشرع أن تطعمها طعاماً لا تستطيعه، أن تطعمها إذا طعمت، إذا طعمت فأطعمها، أما إذا لم تقدر أن تأكل ما تشتهي فلا عليك شيء، لذلك كانت الصحابيات الجليلات يخاطبن أزواجهن قبل أن يغادر أزواجهن البيت، تقول له: يا فلان، نصبر على الجوع، ولا نصب على الحرام.

إنّ أيّ إنسان يقول لك: أنا أفعل هذا من أجل زوجتي، من أجل أولادي، من أجل أن أرضيها، يجب أن أحصنها، يجب أن أرضيها لا، النبي عليه الصلاة والسلام يقول: أن تطعمها إذا طعمت، يعني لا ينبغي للزوج أن يأكل ما لذا وطاب، وأن يجعل طعام زوجته في مستوى أدنى، أن يطعمها إذا طعم، أن تطعمها إذا طعمت، وأن تكسوها إذا اكتسيت.

((وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ))

لأن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان في وجهه، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن ضرب الوجه، فقال عليه الصلاة والسلام:

((وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ))

وإذا ذكر الله فأمسكوا ولا تضرب الوجه، ولا تقبح بالكلام، هذا من حقها عليك:

((تُطْعِمُهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبْ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ))

يجب أن تبقى في البيت، لأنها إذا بقيت في البيت فالقضية سهلة الحل، أما إذا انطلقت إلى بيت أهلها، طردتها من البيت فالأمر يتفاقم، وقد ينتهي إلى الطلاق.

والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾

إذاً: الله عز وجل أمر الزوج أن ينفق على زوجته بقدر ما أعطاه الله، إذا وسع الله عليه ينبغي أن يوسع على عياله، لهذا قال عليه الصلاة والسلام:

((ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله))

[الجامع الصغير عن جبير بن مطعم]

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾

(سورة الطلاق: من الآية 7)

الحديث الثاني:

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود وأحمد]

يعني يكفيه هذا الإثم العظيم أن يضيع من يقوت، هؤلاء عيالهم مَن لهم ؟ ليس لهم إلا الزوج، فإذا ضيع هذا الزوج من يقوت فقد ضيع أهله، وقد ألجأهم إلى التطلع إلى غيره، وقد حملهم على بغضائه، وقد حملهم على كراهيته، لذلك العاقل إذا آتاه الله مالاً.



﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ﴾

من غير إسراف، ولا تبذير، ولا مخيلة.

الإمام مسلم في صحيحه روى حديثاً عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ...))

[مسلم]

وفي رواية أحمد عن ي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

[أحمد]

أي في عتق رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، باب ثالث ودينار أنفقته على أهلك، من منكم يظن أو يتوقع أي هذه الدنانير الأربعة هي أفضل عند الله ؟

قال عليه الصلاة والسلام:

((أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

الدينار الذي أنفقته على أهلك، لماذا ؟ لأنك إذا أنفقت دينارا في سبيل الله، ربما أنفق غيرك هذا الدينار، إن لم تنفق أنت أنفق غيرك، وإذا أنفقت دينار في عتق رقبة ربما أعتقها غيرك، وإذا أنفقت دينار على مسكين ربما أنفقه عليه غيرك، ولكنك إذا امتنعت على إنفاق المال على أهلك فمن ينفق عليهم ؟ من لهم غيرك ؟ أعيد عليكم رواية الحديث: روى الإمام مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده، واللفظ له:

((دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، دِينَارٌ فِي الْمَسَاكِينِ، وَدِينَارٌ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ فِي أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الدِّينَارُ الَّذِي تُنْفِقُهُ عَلَى أَهْلِكَ))

فهنيئًا للذي يسعى، ويجد، ويكد، وينفق على أهله، هذا نفقة هي عند الله أفضل من الأنواع الثلاثة التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث.

الحديث الثالث:

وفي حديث آخر روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

((أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله))

[الجامع الصغير عن جابر]

يجب أن تعلم الزواج جملة وتفصيلاً إنما شرع الله عز وجل من أجل أن يكون لك فرصة لعمل صالح تتقرب به إلى الله عز وجل، كيف أن الله سبحانه وتعالى خلق في الأرض معايش، وأبواب لكسب الرزق، هل رفع الحرارة، الحر باب من أبواب كسب الرزق، معامل المكيفات، معامل المراوح، المرطبات، هذا كله، هذا باب كبير من أبواب كسب الرزق، والبرد أيضاً باب من أبواب كسب الرزق، وطول الشعر باب من أبواب كسب

الرزق، والمرض باب من أبواب كسب الرزق، وجرثومة تصيب بعض النباتات باب من أبواب كسب الرزق، مهندسون، وأخصائيون، وأدوية، ومرشات، واستيراد بضاعة، وتحويل ثمن البضاعة و... كله بسبب هذه الجرثومة التي خلقها الله من أجل أن تكافحها.

ربنا عز وجل جعل في الأرض أبواب للرزق لا تعد ولا تحصى، وفي المقابل جعل أبواب للعمل الصالح لا تعد ولا تحصى، إن من أعظم هذه الأبواب موضوع الزواج والأسرة، جهدك في عملك كسب الرزق.

((من بات كالاً في طلب الحلال بات مغفور له))

[الجامع الصغير عن المقدام بن معدي كرب]

من أجل أن تنفق على زوجتك وعلى أولادك، من أجل أن تجعلهم يطمئنون إليك، ويلتفتون إليك، هذا كله من العمل الصالح.

لذلك قال عليه الصلاة والسلام:

((أول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على أهله))

[الجامع الصغير عن جابر]

الزوج الصالح الذي يكسب مالاً حلالاً ينفق على أهله، يلبي لهم حاجاتهم، التدفئة، الأثاث المعقول، اللباس المعقول، الطعام المعقول، أنا أقول: المعقول من دون إسراف، ولا تبذير ، ولا مخيلة، الشيء المعقول.

الحديث الرابع:

لا زلنا في الحديث عن حقوق الزوجة، عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنْ الْمَاءِ أُجِرَ))

[أحمد]

هذا تشجيع للزوج أن يقيم مودة بينه وبين زوجته، من خلال أن يرعاها، وأن يحفظها، وما إلى ذلك. وفي حديث آخر:

((وأن يضع الرجل اللقمة في فم زوجته هي له صدقة))

[ورد في الأثر]

والعلماء قالوا: إن الزوج يجب أن ينفق على زوجته الموسرة، هذا حق، وإنْ كانت موسرة غنية، أو فقيرة، هذا ليس من شأنك، وإذا طابت لك عن شيء فكُلْهُ هنيئاً مريئاً، والعلماء قالوا: يُسمح للزوجة أن تدفع زكاة مالها لزوجها الفقير، لكنَّ الزوج لا يحِقُّ له أن يدفع زكاة ماله لزوجته، لكنَّ الزوجة الموسِرة يُمكِن أن تدفع زكاة مالها لزوجها.

الحديث الخامس:

روى الإمام البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ يَحْتَسِبُهَا فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ))

[البخاري]

صدقة بكلِّ ما في هذه الكلمة من معنى.

ما هي أفضل الصدقات ؟

مثلاً: زوجته بحاجةٍ إلى معطفٍ في الشتاء، معطفها السابق لا يليق، يجعلها تشعر بأنها وضيعة، فاشتريت لها معطفاً يتناسب مع دخلك، ومع مستواها، إن هذا الذي تفعله يُعدُّ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نصِّ هذا الحديث صدقةً، وأعود و أُكرِّر: من دون إسرافٍ، ولا تبذيرٍ، ولا مخيلة، العلماء فرَّقوا بين الإسراف والتبذير، فالإسراف في الحلال، والتبذير في الحرام، والمخيلة هي الكِبر، أن تُطلِع الناس على ما عندك من أجل أن تجعلهم يتصاغرون، هذا أحد أنواع الفساد.

والإمام مسلمٌ في صحيحه أيضاً يروي حديثاً عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ))

[مسلم]

إذا كان أخوك المؤمن بحاجة إلى شيء، هذا عمل طيِّب جدّاً، لأنَّ المؤمن له مكانته، له كرامته، له مروءته، له حياؤه، له خجله، فإذا لبَّيت له حاجته، وحفِظت له ماء وجهه، وكففته عن السؤال، هذا عمل عظيم، فأفضل دينارٍ يُنفقه الرجل دينارٌ ينفقه على عياله، ودينارٌ يُنفقه على دابَّته في سبيل الله، ودينارٌ يُنفقه على أصحابه في سبيل الله.

ألا تعلمون أن إنفاق المال على الزوجة أحد أسباب القِوامة عليها، لقول الله عز وجلّ:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾

(سورة النساء: من الآية 34)

الإنفاق من مقتضيات قوامة الرجل على المرأة

أحد أسباب القِوامة على زوجتك أنَّك تنفق عليها، فلو أنك امتنعت من الإنفاق عليها، شعرَت أنك لا تُنفِق عليها، وأنَّك تضِنُّ بمالك عليها، وعندئذٍ تستعصي عليك، وتبتعد عن تنفيذ أمرك، وقد تعصي، و قد تستفزُّك، لأن أحد أسباب القِوامة أن تُنفِق على زوجتك، لذلك الزوجة التي لها دخلٌ – لا أقول: مُطلقاً – في الأعمِّ الأغلب، التي تشعر باستقلاليّتها عن زوجها كثيراً ما تُسيء مُعاملته، تقول لك: أنا أُنفِق على نفسي. بالمناسبة ؛ أنت إذا طلبت من الله الرزق، لا تريد أن يأتيك رزقكَ عن طريق زوجتك، أطلب من الله أن يكون الرزق عن طريقك وحدك، هذا من فضل الله عز و جلّ، إذا قسم الله لك رزقاً حلالاً يكفيك، ويكفي أهلك كان أكثر عَونًا لك على إدارة هذه الزوجة.

العلماء يقولون: يسقط هذا الواجب – الإنفاق على الزوجة واجب – إذا فوّتت الزوجة على زوجها الهدف من الحياة الزوجية، وحينما تفوّت الزوجة على زوجها الهدف الكبير من الحياة الزوجية يسقط حقُّها في الإنفاق عليها.

مثلاً: إذا امتنعت عنه، هو لماذا تزوَّج ؟ من أجل أن يُحصِن نفسه، فإذا امتنعت عنه سقط حقُّها في الإنفاق عليها، وإذا هجرت بيته، وذهبت إلى بيت أهلها يسقط حقُّها في الإنفاق عليها، وإذا خرجت من البيت من دون إذنِهِ يسقط حقُّها في الإنفاق عليها، لذلك المحاكم الشرعيّة تعُدُّ هذا نشوزاً من الزوجة، لا تستحِقُّ النفقة إلا إذا دُعيَت إلى بيت زوجها، فإذا أبَتْ يسقط حقُّها في الإنفاق عليها.

الحديث السادس:

عَن أبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى))

[البخاري]

أي ما جعلتَ الذين تنفق عليهم في غنى.

((وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ))

تقول المرأة لزوجها: إمّا أن تطعمني، وإمّا أن تطلّقني، ويقول العبد: أطعمني، واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى مَن تَدَعُني ؟.

هذا الذي يبخل على زوجته أو على عبده أو على أولاده، هذا عند الله آثمٌ إثماً كبيراً، تقول له الزوجة: أطعمني أو طلِّقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى مَن تدعني ؟

الحقيقة أنّ بعض الفقهاء استنبطوا من هذا الحديث أن المرأة يجوز لها أن تطلب الفراق من زوجها إذا لم يُنفِق عليها، لعِلّة عدم الإنفاق، وعلماء آخرون آثروا أن تصبر المرأة على زوجها، فلا يُعقل أن تأخذ خيره حين كان دخله كبيراً، وأن تطلب الفراق منه إذا كبا به جواده، أو ضعفت قواه، أو قلَّ رزقه، ليس هذا من الوفاء، لذلك الأرجح أن تصبر المرأة على زوجها، لأن هذه بتلك.

وقد أجاز العلماء أن تستقرِض المرأة من أجل أن تأكل الأكل الأساسي الضروري على ذِمّة زوجها إذا امتنع من أن يُنفق عليها، فإذا يسَّر الله له وفّى هذا الدين، لقول الله عزَّ وجلّ:

﴿ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

(سورة البقرة: الآية 280)

ويقول الله عزَّ و جلّ:

﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرا ﴾

(سورة الطلاق: الآية 7)

الشيء الذي أحبُّ أن أقوله لكم: الإنفاق يجب أن يكون باعتدالٍ في المسكن والملبس والمطعم والمشرب. بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام فاطمة الزهراء جاءت أباها، طلبت منه خادمةً تُعينها على عمل البيت، فعَلِيٌّ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ، فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا، وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: عَلَى مَكَانِكُمَا، فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ:

((أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ))

[البخاري ومسلم]

النبي الكريم ما أحبَّ خادمةً لابنته فاطمة، هذا من باب الاعتدال.

الحقيقة هذا كلُّه عن الإنفاق على الزوجة، هذا أوَّل حقٍّ من حقوق الزوجة على زوجها، أن يُحسِن إليها في مطعمها ومشربها وكسوتها، وأن يُطعِمها إذا طعِم.

واجبات الزوج نحو زوجته: حسن المعاملة والعشرة

لكنَّ الحقَّ الثاني: والذي يبدو لي أخطر من الأوَّل، لأنَّه ما من بيتٍ إلا والطعام والشراب متوافرٌ فيه – في الأعمِّ الأغلب – ولكن المشكلة الآن في إساءة المعاملة، الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يقول في آيةٍ محكمةٍ واضحةٍ صريحةٍ لا تحتمل التأويل:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً﴾

(سورة النساء: من الآية 19)

عن عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ أَنَّهُ شَهِدَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ، وَوَعَظَ، فَقَالَ:

((أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ . العوان: جمع عانية أي ضعيفة، المرأة في الأصل ضعيفة . لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ، إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا...))

ما دامت هذه الزوجة لم تقترِف الفاحشة، وهي تحفظ نفسها، وتُطيع زوجها، وتُصلّي خمسها، و صوم شهرها، هذه زوجةٌ يجب أن ترعى حقوقها.

قال بعضهم: إنَّ المرأة التي تحبس نفسها على راحة زوجها حتى تكون لديه كالأسير، خروجها بإذنه، كلُّ علاقاتها منضبطة بموافقته، إذًا: هي كالأسيرة، مُقابل أنها أسيرةٌ عنده ينبغي أن يغمرها بالعطف والمودّة، واللُّطف والإحسان، ما دامت عندك أسيرة فيجب أن تعاملها معاملةً تُنسيها أنها أسيرة.

معنى المعاشرة بالمعروف

هذا من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

العلماء فسَّروا المعروف تفسيرات كثيرة:

المعنى الأول:

من هذه التفسيرات: العفو والمُسامحة، هناك زوجٌ لا يعفو، استُرضيَ ولم يرضَ، اعتذَرَتْ له، توسَّلتْ إليه، رَجَتْهُ، هو حقود، إن كنتَ حقوداً، إن لم تُسامح، إن لم تعف، فأنت عاصٍ لله عزَّ و جلّ في نصّ هذه الآية.

المعنى الثاني:

من معاني:

﴿وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

نسيان الهفوات، وترك تتبّع العثرات، هذا من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

المعنى الثالث:

من معاني:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

العقوبة على قدرِ الذنب تماماً، تأديباً لا انتقاماً، أحياناً أزواج يستخدمون سلطتهم استخداماً تعسُّفيّاً لسببٍ تافه، لذنبٍ صغير، لهفوةٍ يحلف عليها بالطلاق و يطردها من البيت في منتصف الليل، لا، لا يجوز هذا، أساساً الحمقى لهم ردود فعلٍ عنيفة جدّاً، ردّ الفعل عنيف لا يتناسب مع الفعل، أمّا الموفَّقون في حياتهم الموصولون بالله، يُلقي الله في قلبهم الحكمة، فلا يُعاقب إلا بقدر الذنب، والنبي إذا كان أعرض عن زوجاته، فإذا كنت زوجاً ناجحاً جداً يجب أن يكون إعراضك عن زوجتك أكبر عقابٍ تعاقبها به، الإعراض فقط، أمّا

السُباب والشتائم فإنك ستتلقّى المثيل، ليس هذا من الحكمة، وليس من المعروف والإحسان، ولا من هذه الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة التي توصي الرجال بالنساء.

المعنى الرابع:

لكن أجمل تفسير لهذه الآية: ليست المُعاشرة بالمعروف كفُّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، لذلك تروي القصص أن رجلاً عنده زوجة سيئة جداً، فقيل له: طلّقها يا أخي، قال: والله لا أُطلّقها فأغُشَّ بها المسلمين، قد أُطلّقها، ويأتي إنسان يتزوَّجها، إن فعلت هذا غششتُ بها المسلمين، فصبرُ الزوجة على زوجها أو صبر الزوجِ على زوجته بابٌ من أبواب الجنّة، هذه الدُّنيا دار ابتلاء لا دار استواء، منزِلُ تَرَحٍ لا منزل فرح، من عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عُقبى، فجعل بلاء الدُّنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدُّنيا عِوَضاً، فيأخُذُ ليُعطي، ويبتلي ليجزي. إذاً: ليست المعاشرة بالمعروف كفَّ الأذى عنها، بل احتمال الأذى منها، والحِلم عند طيشها وغضبها، في بعض الأيام يختلُّ توازن الزوجة، فتتكلَّم بكلامٍ منه ما يُسمَع، ومنه ما لا يُسمَع.

النبي عليه الصلاة والسلام هو المثل الأعلى، فعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

[البخاري]

هو قدوتُنا، لا تصدِّق أن إنساناً لا يوجد بينه وبين زوجته بعض المشكلات، هذه سُنَّة الله في الخلق، ليمتحِن عفوك وحِلمك، وحكمتك وصبرك، واتّزانك وضبط نفسك، النبي عليه الصلاة والسلام كان قدوةً لنا، فكان يقف موقِف الحليم الرحيم من زوجاته، لا تُصدِّق أن النبي الكريم عنده زوجات لم يسمع منهن كلمة، بل كانت زوجاته يُراجِعنه الكلام، ويهجُرنَهُ إلى الليل أحياناً، وكان يحلُم عليهم، هكذا ورد في السيرة.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام ينزل إلى مستوى زوجاته، إلى مستوى عقولهنَّ، و قد ذكرت لكم من قبل كيف أن النبي عليه الصلاة والسلام تسابق مع زوجته عائشة فسبقته لأنها شابّة، بعد سنوات تسابق معها فسبقها فقال: هذه بتلك، تعادُل، هذه بتلك.

النبي عليه الصلاة و السلام إذا دخل بيته بسّاماً ضحّاكاً، فإذا كنت مرحاً، وكنت لطيفاً، وكنت ليّن العريكة مبتسماً، والله هذا شيء جميل، هذه أخلاق النبي عليه الصلاة والسلام.

المعنى الخامس:

من حُسن المُعاشرةِ التي أمر الله بها أن تنظر إلى مزاياها إذا نظرت إلى مساوئها، لا يوجد إنسان كامل، وهناك أزواج يركِّزون على المساوئ فقط، بعض العيوب في شكلها، بعض العيوب في أخلاقها، في طباعها، لكنها حَصَان، عفيفة، شريفة، نظيفة، مِطواعة، يتجاهل ميّزاتها، ويُبرز أخطاءها، ليس هذا من حُسن المُعاشرة.

المعنى السادس:

من حُسن المُعاشرةِ إذا نظرتَ إلى عيوبها، أو إلى بعض عيوبها، انظر إلى مزاياها أيضاً، هذا هو العدل والإنصاف، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))

قال تعالى:

﴿ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً ﴾

[سورة النساء: من الآية 19]

قد لا يُعجبك شكلها، لكن قد تُنجب لك أولاد أذكياء، موفَّقين، قد تكون الزوجة طيِّعة، قد تكون صبورة، قد تكون متواضعة، طلباتها معقولة، لو أنَّك تزوَّجتها كما تريد لأتعبتْك تعباً لا حدود له، فالله عزَّ و جلّ هو الحكيم، هو اختارها لك، اختياره، ألا ترضى باختياره ؟.

المعنى السابع:

من حُسن مُعاشرة الزوجة – هذه كُلُّها معاني حُسن المُعاشرة – أن لا تُسيء الظنَّ بها، هناك أزواج عندهم سوء ظنّ، طبعاً سوء الظنِّ ضروري و غير ضروري، ضروري إذا شككت بشيء، إنسان نبَّهك: انتبه، في منزلك حركة غير طبيعية، لا أنا حَسَن الظنِّ بزوجتي، فأنت إذا أجدب، إذا كان هناك ملاحظات، دلائل، ريب، فيجب أن تُسيء الظنّ و أن تبحث، لكن عندما لا يوجد أي دليل على وجود خطأ، ولا يوجد لفت نظر،

عندها نهانا النبي عليه الصلاة والسلام عن أن لا نُسيء الظنّ بالزوجة، لأنّ إساءة الظنِ بالزوجة يُحطِّمها، يُفقدها معنويَّاتها، فنهى النبي عليه الصلاة والسلام عن سوء الظنِ بها، وأن يتَّبَّع زوجها عوراتها.

مثلاً: دخل إلى البيت فجأةً من دون أن يطرق الباب، جاء من سفر فداهم البيت مُداهمةً فجأةً، هذا يعني أنه يشُكُّ بها ؟

هذا يفعله من يُسيء الظنَّ بزوجته، فالنبي كان إذا قَدِمَ من سفر أعلم أهله قبل أن يدخُل البيت، هكذا علَّمنا النبي عليه الصلاة والسلام، الآن هناك هاتف، أخبرهم من المطار أنك وصلت، أمّا المُداهمة، والمُفاجأة فتعني أنَّك تشُكُّ بها، لذلك ورد في الحديث عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

((نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَطْرُقَ أَهْلَهُ لَيْلًا))

[البخاري]

أن يطرُق أهله ليلاً يتخوَّنهم – كأنّه يتخوَّنهم – أو يطلب عثراتهم، لأن هذا يوَفِّر الأمن للزوجة والسلام، ويوَفِّر لها كرامتها ومودَّتها معك.

كلُّ هذه المعاني مُستنبطة من آيةٍ واحدة:

﴿ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ ﴾

ربَّما كان هذا الحقّ أبلغ من حقِ الطعام والشراب، لا يوجد بيت ليس فيه طعام وشراب، والزوجة تأكل طعاماً خشناً، ولا تحتمل أن تُسيء الظنَّ بها، تأكل طعاماً خشناً، ولا تحتمل أن تكون قاسياً معها، تأكل أخشن الطعام، ولا تحتمل أن تهجرها، لذلك حُسنُ العُشرة مع الزوجة ربّما كان مُقدَّماً على واجب الطعام و الشراب. و هناك حقوق كثيرة للزوجة، لأنه كما قُلت في بداية الدرس: الأزواج يطرَبون طرباً لا حدود له لحقوق الزوج على زوجاتهم، يقول لك اللهم صلّ عليه... هكذا قال... هكذا قال... اصبر، هناك أحاديث أخرى، كما أن لك عليها حقّ، لها عليك حقّ، والإنسان إذا عرف ما له و ما عليه و أعطى كلّ ذي حقٍ حقَّه، ساد السلام في البيت.

بقي علينا نماذج من مواقف النبي عليه الصلاة والسلام، الآن ننتقل إلى السيرة المتعلِّقة بهذا الموضوع.

نماذج نبوية في معاملة الزوجة

الحديث الأول:

عَن عَائِشَةَ قَالَتْ:

((لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عَلَى بَابِ حُجْرَتِي، وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ بِحِرَابِهِمْ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ أَنْظُرُ إِلَى لَعِبِهِمْ))

[متفق عليه]

تطييباً لخاطرها.

الحديث الثاني:

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ:

((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ ـ يعني بالدُمى ـ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي))

[متفق عليه]

هناك من يتزوَّج بنتاً صغيرة، فتقول له: أريد لعبة، فيسُبُّها، اجلب لها لعبة، وحُلَّ المشكلة، فالسيدة عائشة تقول:

((كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ ـ أي بلعب الأطفال ـ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ لِي صَوَاحِبُ يَلْعَبْنَ مَعِي، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ يَتَقَمَّعْنَ مِنْهُ، فَيُسَرِّبُهُنَّ إِلَيَّ فَيَلْعَبْنَ مَعِي))

فالنبي يسمح لهُنَّ فيلعبنَ معي، بموافقته، هذا تطييبٌ لخاطرها، فإذا كانت زوجتك صغيرة، وطلبت منك شوكولا مثلاً فلماذا الانزعاج ؟ حنَّت إلى طفولتها، هكذا فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُريدها في سنٍ صغيرة و عقلٍ كبير.

الحديث الثالث:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى، قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟ فَقَالَ: أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَى قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَجَلْ . أي هذا الأمر صحيحٌ . وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ))

[متفق عليه]

الحديث الرابع:

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى النِّسَاءِ، تَعْنِي فِي مَرَضِهِ فَاجْتَمَعْنَ فَقَالَ:

((إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَدُورَ بَيْنَكُنَّ، فَإِنْ رَأَيْتُنَّ أَنْ تَأْذَنَّ لِي فَأَكُونَ عِنْدَ عَائِشَةَ فَعَلْتُنَّ، فَأَذِنَّ لَهُ))

[أبو داود]

انظر إلى الأدب، ما رضي أن يبقى عند عائشة إلا بعد أن جمع نساءه كُلَّهُنّ، واستأذنهُنَّ في ذلك، لأنها لها حقّ.

الحديث الخامس:



عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي الْبَيْتِ ؟ قَالَتْ:

((كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ خَرَجَ))

[البخاري]

كان إذا فَرَغَ كان في خِدمة أهله – أي يُساعدهم في أعمال البيت – من دون أن يشعُر أنه مُهان، كان في مَهنة أهله، فكان يحلِبُ شاته، ويكنُسُ أرضه، ويخصِف نعله، وكان في مَهنة أهله.

الحديث السادس:

فعَنْ أَنَسٍ قَالَ:

((كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتْ الَّتِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهَا يَدَ الْخَادِمِ، فَسَقَطَتْ الصَّحْفَةُ، فَانْفَلَقَتْ . أي انكسرت . فَجَمَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: غَارَتْ أُمُّكُمْ، ثُمَّ حَبَسَ الْخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ الْمَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ))

[البخاري]

كان عادلاً، تلك أرسلت صحناً جديداً فكُسر، فأرسل لها صحناً بدلاً عنه.

كان عليه الصلاة والسلام لا يسمح لزوجةٍ من أمّهات المؤمنين بأن تقول عن الأخرى من زوجاته كلمة نقص في مجلسه، لا يسمح أبداً، هناك شخص يسمح لزوجته الأولى أن تتكلّم عن الثانية، يقول لها: والله معك حقّ، ثُمَّ يذهب مساءً إلى البيت الثاني فتتكلم زوجته الثانية عن الأولى، فيُصغي لها، النبي عليه الصلاة والسلام لا يسمح لزوجةٍ من أمّهات المؤمنين بأن تقول عن الأخرى من زوجاته كلمة نقص في مجلسه،

الحديث السابع:

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: حَكَيْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا فَقَالَ:

((مَا يَسُرُّنِي أَنِّي حَكَيْتُ رَجُلًا، وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ صَفِيَّةَ امْرَأَةٌ، وَقَالَتْ بِيَدِهَا هَكَذَا، كَأَنَّهَا تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ مَزَجْتِ بِكَلِمَةٍ لَوْ مَزَجْتِ بِهَا مَاءَ الْبَحْرِ لَمُزِجَ))

[الترمذي]

الحديث الثامن:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ))

[البخاري]

الحديث التاسع:

وفي رواية عن سَمُرَةَ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّكَ إِنْ تُرِدْ إِقَامَةَ الضِّلْعِ تَكْسِرْهَا، فَدَارِهَا تَعِشْ بِهَا))

العملية تحتاج إلى مُداراة.

الحديث العاشر:

وفي روايةٍ أُخرى في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((الْمَرْأَةُ كَالضِّلَعِ، إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ))

الحديث الحادي عشر:

و في روايةٍ لمسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا))

[مسلم]

الحديث الثاني عشر:

في خِتام هذا الدرس، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((خِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ))

[ابن ماجه]

قصة وعبرة: أشكو مما منه تشكو

بقيت قصّةٌ قصيرة: كان أعرابيٌّ يُعاتِبُ زوجته، فعلا صوتُها صوتَه، فساءه ذلك منها، وأنكره عليها، ثُمَّ قال: و الله لأشكوَنَّكِ إلى أمير المؤمنين عُمَر، وما أن كان بباب أمير المؤمنين ينتظر خروجه حتى سمِع امرأة أمير المؤمنين تستطيل عليه، وتقول له: اتَّقِ الله يا عُمَر فيما ولاّك، و ساكتٌ لا يتكلَّم، فقال الرجل في نفسه و هو يهُمُّ بالانصراف: << إذا كان هذا هو حال أمير المؤمنين، فكيف حالي أنا ؟، و فيما هو كذلك خرج

عمر، ولمّا رآه قال: ما حاجتك يا أخَا العرب ؟ فقال الأعرابي: يا أمير المؤمنين، جئتُ إليك أشكو خُلُق زوجتي، واستطالتها عليّ، فرأيت عندك ما زهّدني إذ كان ما عندك أكثر مما عندي، فهممتُ بالرجوع، وأنا أقول: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته، فكيف حالي ؟ قال، فتبسَّم عمر رضي الله عنه و قال: يا أخَا الإسلام، إنّي احتملتها لحقوقٍ لها عليّ . إنّي احتملتها، أنا قادر أن أكون لئيماً، وأن أحطِّمها، ما أكرمهُنَّ إلا كريم، ولا أهانهُنَّ إلا لئيم، يغلِبنَ كلَّ كريم ويغلبهُنَّ لئيم، وأنا أحبُّ أن أكون كريماً مغلوباً لا أن أكون لئيماً غالباً . قال له: يا أخا العرب، إنّني احتملتها لحقوقٍ لها عليّ، إنّها طبّاخةُ لطعامي، خبّازةٌ لخُبزي، مُرضعةُ لأولادي، غاسلةٌ لثيابي، وبقدر صبري عليها يكون ثوابي، ألا يكفي هذا الكلام من سيّدنا عمر ؟ وبقدر صبري عليها يكون ثوابي >>.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (2-5) : هدايتها ورعاية دينها

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الخبير، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علما، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

مقدمة



يبدو أن الإنسان إذا أدى ما عليه من حقوق وجد الطريق إلى الله سالكا، فأيّ تقصير أو أيّ مخالفة إنما هي عقبة في الطريق إلى الله، فإذا أديت ما عليك من حقوق لزوجتك أو لأولادك أو لجيرانك، أو لمن حولك، لعل الله سبحانه وتعالى بتأدية الحقوق يزيل كل العقبات التي في طريق الإنسان إلى الله عز و جل.

معنى حسن المعاشرة

تحدثت في الدرس الماضي عن حق الزوجة في الإنفاق عليها، وقد تحدثت أيضا عن حقها في حسن المعاشرة، لأن الله سبحانه وتعالى أمرنا في القرآن الكريم فقال تعالى:



﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

(سورة النساء: من الآية 19)

وقد تحدثت حول هذه الآية كثيرا، و لعل من أبرز ما كان الحديث عنه في هذه الآية أن حسن المعاشرة لا تعني أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها، بل تعني أن تحتمل الأذى منها،

وشتان بين الفهمين والموقفين، إذا تحدثنا عن حقين من حقوق المرآة على زوجها.

وقد قلت أيضا: إن الإنسان يحلو له أن يبحث عن حقوقه، وعن واجبات الآخرين له، ولكن البطولة أن تبحث أيضا عن واجباتك تجاه الآخرين، والبطولة أيضا أن تبحث عن حقوق الآخرين التي تطالب بها يوم القيامة.

من حقوق الزوجة على الزوج: حفظ الدين والسلوك وحسن التوجيه

الحق الثالث من حقوق الزوجة: أن تحافظ على دينها، وأن ترعى سلوكها، وأن تحسن توجيهها، لأن الأزواج في هذه الأيام ما دامت الزوجة تروق له، وتقدم له خدمات جيدة , نظيفة , مرتبة , تعرف ما ينبغي أن تفعله الزوجة , فهذا في المرتبة الأولى، أما أمر دينها ففي المحل الثاني، إذا خرجت بطريقة لا ترضي الله يتساهل, إذا استقبلت الرجال يتساهل، وهذا لا يرضي الله يتساهل، لكنه قد لا يتساهل في أمر يمسّ علاقته بها، أو نصيبه منها، هذه المرأة إذا تركتها مع رقة في دينها، و تقصير في معرفة ربها، وضبطها في النواحي المادية، هذه لها حق عليك كبير يوم القيامة، وربما صدق على هذا الزوج أن هذه المرآة تقول: يا رب، لا أدخل النار حتى أُدخل زوجي قبلي، لأنه لم يوجهني، ولم يبصرني، ولم يعرفني، ولم يأخذ بيدي إليك. طبعا ما من زوج إلا ويهتم بسلامة جسم زوجته، ويخشى عليها من الأمراض، لأنه هو سيدفع الثمن، فأيّ مرض عضال يصيبها هو وحده سيدفع الثمن باهظا، لذلك ترى معظم الأزواج حريصين حرصا لا حدود له على صحة زوجاتهم، وعلى سلامة أعضاء زوجاتهم، وعلى رفاهية زوجاتهم، هذا الحرص يجب أن يقابله حرص آخر على سلامة دين زوجتك، وعلى حسن معرفتها بالله، وعلى حسن علاقتها بالله... وإلا فأنت تخونها، هي شريكة حياتك، لماذا هي شريكتك في الطعام، في المسكن ؟ وفي نصيبك منها ؟ وليست شريكتك في معرفة الله ؟ وليست شريكتك في فهم القرآن الكريم ؟ وليست شريكتك في التفقه في سنة رسول الله؟

لذلك فهذا الذي يهمل دين زوجته، ويهمل معرفتها بالله، ولا يعلق أهمية على تعليمها العلم الشرعي، لا يقيم وزنا لفهمها لدينها، هذا مقصر أشد التقصير في حقها، هذا كلام طيب ومقنع، ومنطقي ومعقول.

الأدلة القرآنية على وجوب حفظ الزوج دين الزوجة

ولكن أين الدليل ؟ وكما عودتكم ما من إنسان بعد النبي عليه الصلاة والسلام يقبل منه أن يقول كلاما بلا دليل، كلام طيب، ولكن هل له دليل ؟ نعم:

الآية الأولى:

يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: من ا لآية 6)



﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ﴾

أي: أنت مأمور أن تقي نفسك نار جهنم، ومأمور أيضا وفي الدرجة نفسها، وبالمستوى نفسه أن تقي أهلك نار جهنم، وكيف تقي أهلك، والأهل هم الزوجة والأولاد ؟ تقيهم بتوجيههم، بتعريفهم، بإرشادهم ومراقبتهم، ومحاسبتهم.

شيء آخر، ولعله مهم جداً، وهو أن الله سبحانه وتعالى جعل المؤمنين بعضهم أولياء بعض، فأنت ولي أخيك المؤمن، فإذا رأيت منه اعوجاجا أو انحرافا، أو تقصيراً أو مخالفة، أو معصية فلا بد من أن تنصحه، ولا بد من أن توجهه، ولا بد من أن تأخذ بيده، ولا بد من أن تعاونه، لماذا ؟ لأنه أخوك في الله، وله حق عليك، فإذا كان المؤمنون بعضهم لبعض أولياء، وكل واحد منهم له حق على الآخر، فمن باب أولى أن يكون الزوج وزوجته من أول من تطبق عليهم هذه الآية.

الآية الثانية:

يقول الله عز و جل:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

(سورة التوبة: من الآية 71)

ما معنى:

﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

أي: إذا كنت راكباً سيارة، وأمامك أخ يركب مركبة، وشعرت أن هناك بوادر احتراق بالسيارة، وصاحبها لا يدري، أنت كأخ له، أنت كمؤمن، وهذا الذي أمامك مؤمن أكبر حق له عليك أن تنبهه أن تلفت نظره، والأصح من هذا أنت مكلف بأي إنسان، الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله انفعهم لعياله، ولكن الحديث هنا عن المؤمنين لسبب، وهو أن غير المؤمن لا يستمع إليك، فلو رأيت إنساناً في الطريق يعصي الله، يشرب الدخان في رمضان، فربما لو نصحته أسمعك كلاما لا يرضي، وهذا ليس هو المقصود، فالحديث هنا عن المؤمنين، يقول ربنا سبحانه و تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾



فأنت ولي أخيك، وأخوك وليك، من كان منكم أكثر علما، وأقرب إلى الله، وأكثر ورعا وفهما فلينصح الأخ الآخر.

إذاً: المؤمنون بعضهم لبعض نصحه متوادون، والمنافقون بعضهم لبعض غششه متحاسدون، كما قال عليه الصلاة والسلام:

((المؤمنون بعضهم لبعض نصحه متوادون، ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعض غششه متحاسدون، ولو اقتربت منازلهم))

[ورد في الأثر]

وقد مر بنا قوله سبحانه و تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ ﴾

ولكن ما معنى: بعضهم أولياء بعض ؟

﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

(سورة التوبة: من الآية 71)



فإذا كان أخوك المؤمن له حق عليك ؛ أن تنصحه، له حق عليك، أن ترشده، له حق عليك، أن تأخذ بيده، له حق عليك أن تبصره، وأن تنور بصيرته، فهذه شريكة حياتك، هذه التي نذرت نفسها لخدمتك، هذه التي حبست نفسها من أجلك، هذه التي شاركتك في الضراء والسراء، أليس لها حق عليك أن تأخذ بيدها إلى الله عز وجل ؟ أليس لها حق أن تعرفها أمر دينها، أن تبصرها سنة النبي عليه الصلاة والسلام، أن تصلح اعوجاجها، وأن تقيم انحرافها، من باب أولى، إذا كان أخوك المؤمن العادي له حق عليك فهذه زوجتك، لذلك إن شئت على قوله عز وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

(سورة التحريم: من ا لآية 6)

وإن شئت على قوله تعالى:

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

أحاديث نبوية في وجوب حفظ دين المرأة

ذالآن من أقوال النبي عليه الصلاة و السلام:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))



[أبو داود، النسائي، ابن ماجه]

شيء رائع جداً فوق مستوى الروعة أن ينهض الرجل ليصلي قيام الليل، وأن يقيم زوجته معه.

((رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّى ثُمَّ أَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ وَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنْ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ثُمَّ أَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّى فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ))

هذه المشاركة.... فقد تكون الزوجة أكثر نشاطا من زوجها، وقد يكون الزوج أكثر نشاطا من زوجته، فلا بد من التعاون، لا يقلّ قدرك، ولا يقلل من شأنك أن توقظك زوجتك على الصلاة، فهذا شيء لطيف.. فإما أنت وإما هي، فأنت تشتهي زوجتك بالطعام، فالذي ذاق حلاوة الطاعة، وحلاوة القرب ألا يشتهي زوجته بهذا القرب ؟



هذا هو حق التوجيه والإرشاد , حق التعريف بالله عز وجل، وحق أن تأخذ بيدها إلى الله.

مما روي أن امرأة قالت لابنتها يوم زفافها وزوجها يسمع: يا آبا أمية، ما أوتى الرجل شرا من المرأة المدللة . فوق الحدود . فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب , ثم التفت إلى ابنتها تأمرها بحسن السمع والطاعة ".

لذا فإن قال بعض الأزواج تحت غطاء " يجب أن نأخذ بيدها إلى الله ": يجب أن نكرمها، فيعطيها شيئاً يفوق الحد المعقول، فتستطيل على الناس، وتفخر عليهم، وتوقع في قلوبهم اللوعة...لا:

لكل شيء إذا ما تم نقصانُ

***

وقد قال تعالى:

﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَّحْسُوراً ﴾

[سورة الإسراء: الآية 29]

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام:

((اخشوشنوا، وتمعددوا، فإن النعم لا تدوم))

[الجامع الصغير عن ابن أبي حدرد]

فالإنسان يجب أن يعوّد أهله على الأحوال كلها.

الحق الرابع للزوجة على الزوج: التزين لها

الحق الرابع للزوجة على زوجها أن يتزين لها كما تتزين له، فهذا أمر الشرع، فكما أنك تريد أن تظهر لك بمظهر حسن فهي إنسان أيضا تتمنى أن تكون أنت في مظهر مقبول، ومظهر حسن، والدليل قوله تعالى:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

(سورة البقرة: من الآية 228)

إنها درجة القوامة.

أتت امرأة إلى سيدنا عمر بن الخطاب، وزوجها أشعث أغبر، فقالت: يا أمير المؤمنين، لا أنا ولا هذا، خلصني منه، فنظر إليه عمر، وكان لماحا فطنا، فعرف ما كرهت منه، فأشار إلى رجل، وقال له: اذهب بهذا، وحممه، وقلم أظافره، وخذ من شعره، وائتني به، فذهب، و فعل ذلك، ثم أتاه به، فأومأ عمر إليه، أن يأخذ بيدها فقالت: يا عبد الله، سبحان الله ! أبين يد أمير المؤمنين تفعل هذا ؟ فلما عرفته أنه زوجها ذهبت معه، فقال عمر رضي الله عنه: هكذا فاصنعوا لهن، فإنهن يحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزين لكم. فهذه القصة تبين أن للزوجة حقا في أن يتزين لها زوجها، والنبي عليه الصلاة والسلام رأى رجلا أشعث الشعر، فقال:

((احلق، فإنه يزيد في جمالك))

[ورد في الأثر]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ فَلْيُكْرِمْهُ))

[أبو داود]

والنظافة من الإيمان، فالمؤمن نظيف ؛ نظيف في أخلاقه، نظيف في البدن، نظيف في الملبس، وسيدنا على كرم الله وجه يقول: >> إن الله يكره من عباده القاذورة.

و يقول ابن عباس: **>> إنني ألبس، وأتجمل، فان الله جميل يحب الجمال >>.**



والنبي صلى الله عليه و سلام كان يعرف بريح المسك إذا مر.

وكان يقول:

((إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ وَلِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا فِي النَّاسِ كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ))

[أحمد عن أبي الدرداء]

والنبي عليه الصلاة والسلام كان له ثياب خاصة جديدة يلبسها في أيام الجمع، وإذا حضرته الوفود، وقد كانت علية قومه تفعل ذلك.

فالمؤمن يحتاج إلى ثوب نظيف أنيق، والمؤمن يمثل الدين الإسلامي، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك.

يقول أبو الحسن: " هيئة الرجل لامرأته مما يزيد في عفتها ".

فتراك في مظهر حسن , نظيف , شعرك مرجّل، فهذا مما يصونها، ويجعلها تعتز بك، و تعف عن الآخرين.

الحق الخامس للزوجة على الزوج: عدم الزهد فيها وهجر مضجعها

الحق الخامس من حقوق المرآة على زوجها: ألا يزهد بها، وألا يهجر مضجعها.

فهذا الذي قال لزوجته: أنت علي كظهر أمي، هذا عاقبه الله عز وجل بأنه حرَّمها عليه ما لم يصم ستين يوما، أو يطعم ستين مسكينا، فكما أن له عندها حاجة فلها عنده حاجة، ومن الظلم أن تتجاهل حاجتها.
عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ:

((جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ، فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))

[متفق عليه]



فأي منهج يطبقه المسلم خلاف هذا المنهج فإنه يخالف به سنة النبي الكريم، فأولئك الذين تركوا الزواج نهائيا، أو تركوا العمل، هؤلاء قد خالفوا سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فسنة النبي تضمن لك أن تصل بها إلى أعلى مستوى، فقد كان له زوجات كثر، وكان يطوف عليهن جميعاً، فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْسِمُ فَيَعْدِلُ، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلَا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ))

[الترمذي]

وفي عهد عمر بن الخطاب أتت امرأة إليه وقالت: يا أمير المؤمنين، إن زوجي قوام، فقال سيدنا عمر: بارك الله لك في زوجك، فقالت: إن زوجي قوام، وإني أكره أن أشكوه، فكان عند سيدنا عمر صحابي اسمه كعب الأسدي فقال: إنها تشكو زوجها، فقال عمر: هكذا فهمت من كلامها ؟ فإذا فهمت هكذا فاحكم بينها وبينه، فقال كعب: علي بزوجها، فأتوني به، فقال له: إن امرأتك هذه تشكوك، فقال: أفي طعام أو شراب ؟ قال: لا، فقالت المرأة، و قد صاغ أحد الشعراء شكواها بأبيات شعرية:

يا أيها القاضي الحكيم رَشَدُه ألهى خليلي عن فراشي مسجده
زهَّده في مضجعي تعبُّده فاقضِ القضا كعب و لا تَردّه
نهاره و ليله ما يرقده فلست في أمر النساء أحمده

فقال زوجها:

زهدني في فرشها وفي الحجل أني امرؤ أذهلني ما قد نزل
ففي سورة النحل وفي السبع الطوال و في كتاب الله تخويف جلل

فقال له القاضي كعب:

إن لها حقا عليك يا رجل نصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العِلل

***

أي أن الله عز و جل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فكل ثلاثة أيام تعبد بها ربك، ولها الليلة الرابعة , فقال عمر: والله ما أدري من أي أمريك أعجب، أمن فهمك أمرها، أم من حكمك بينهما , اذهب فقد وليتك قضاء البصرة.

الحق السادس: إرشادها الى الخير وإبعادها عن الشر وصيانة نفسها

ومن حق الزوجة على زوجها أن يرشدها إلى طريق الحق، وأن يبعدها عن مواطن الشر.

ومن حقها عليه أن يأمرها بأن تصون نفسها، فمثلا: هناك شرفة في المنزل، خرجت الزوجة إليها بملابس البيت، و لمارة ينظرون، فلم يتأثر الزوج، فرأته ساكتا، فاستمرت، و إذا رأته تساهل استمرأته، فمن حقها عليك أن تأمرها أن تستر نفسها، فلو لم تفعل لحوسبت حسابا شديدا، والدليل قوله تعالى:



﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 59)

و قوله تعالى:

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾

(سورة الأحزاب: من الآية 33)

يعني هذا أن المركز الأساسي أن تبقى في البيت لتقدم للمجتمع أكبر خدمة، فما من وظيفة أخطر من أن تربي أولادها، تماما كالطيار الذي لا بد من التزامه بغرفة القيادة للحفاظ على أرواح الركاب، فالبيت مركز قيادة المرآة، ويقول النبي عليه الصلاة و السلام:

((أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة))

[لجامع الصغير عن أنس]

((أي اعلمي أيتها المرآة، وأعلمي من دونك من النساء أن حسن تبعل المرآة زوجها يعدل الجهاد في سبيل الله))

[كنز العمال عن أسماء بنت يزيد الأنصارية]

﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾

و هذا لنساء الرسول صلى الله عليه و سلم، فإذا كان نساؤه قد قررن في بيوتهن، وهن المحصنات التقيات الطاهرات فلأن يكون هذا الأمر موجها لنساء المؤمنين من باب أولى. وهذا مبدأ في الفقه، وقاعدة أساسية. مثلا: قوله تعالى:

﴿ فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ ﴾

(سورة الإسراء: من الآية 23)

فمن باب أولى أن يكون الضرب ممنوعاً.

و قوله تعالى:

﴿ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾

(سورة النور: من الآية 31)

إذ أن هناك مشية للمرأة تلفت النظر، وهذه مشية المرأة مأمورة أن تبتعد عنها، كما أن هناك ثيابا ذات ألوان زاهية، وكذلك هناك أحذية ذات صوت يلفت نظر الرجال إليها، وأشد من ذلك كله أن تكون متعطرة، فإذا خرجت المرأة متعطرة لعنتها الملائكة حتى تعود، فكل شيء يلفت نظر الرجال إلى المرأة محرم بشكل قطعي. أحيانا تهمل المرأة زينتها فيتضايق زوجها، وقد يصل الأمر إلى الطلاق، فالمذنب هو الرجل، إذ يجب أن يأمرها أن تصلح من هيئتها، ويجب أن يدقق عليها، فقد تكون صغيرة لا تعلم، أو لا تهتم، أو لا تبالي، فإذا استمرأت إهمال زينتها، وانزعج منها من دون أن يعرفها، ومن دون أن يلفت نظرها، ثم اتخذ منها موقفا صارما، وأرسلها إلى بيت أهلها من دون أن تعلم السبب فهو آثم، لذلك يجب أن يذكرها بواجبها تجاهه، ومن أولى هذه الواجبات أن تكون حسنة المظهر أمامه من أجل أن تعفه عن النظر إلى الحرام، ألم يقل النبي عليه الصلاة و السلام

((يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ...))

[متفق عليه]



فهذا هو الهدف الأول من الزواج للمؤمن، أن يكون عفيفاً عن الشهوة، فإذا أهملت نفسها، وأهملت ثيابها، وأهملت زينتها، ثم كرهها، وأبغضها، وطردها فقد أخذها على غرة، إذ يجب أن ينبهها، وأن يلفت نظرها، وأن يأمرها، وأن يدقق عليها لكي تبقى على مستوى طموحه، والدليل: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:

((كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ، فَلَمَّا قَفَلْنَا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ الْمَدِينَةِ تَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرٍ لِي قَطُوفٍ، فَلَحِقَنِي رَاكِبٌ مِنْ خَلْفِي فَنَخَسَ بَعِيرِي بِعَنَزَةٍ كَانَتْ مَعَهُ، فَسَارَ بَعِيرِي كَأَحْسَنِ مَا أَنْتَ رَاءٍ مِنْ الْإِبِلِ، فَالْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ، اللَّهِ إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: أَتَزَوَّجْتَ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَبِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: فَهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ ؟ قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ فَقَالَ: أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا، أَيْ عِشَاءً، لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وتستحدث الْمُغِيبَةُ))

[متفق عليه]

فلم يرض النبي صلى الله عليه وسلم أن يباغت الزوج زوجته إذا كان مسافراً، فقد تكون غير مستعدة لاستقباله، وقد تكون هيئتها دون الوسط، فالنبي عليه الصلاة والسلام علمنا ألا نأتي من السفر إلى البيت مباشرة، فلا بد من إعلام الزوجة بأنك قد حضرت من أجل أن تأخذ المرأة من شعرها، ومن زينتها، ومن هيئتها، هذا من السنة النبوية. فقال:

((أَمْهِلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا، أَيْ عِشَاءً، لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وتستحدث الْمُغِيبَةُ))

قد لا يترك الزوج لزوجته وقتا لتعتني بنفسها، وهنا تظهر المشكلة، فلا بد من أن ترضيه، ولا يوجد وقت لترضيه، فلا بد من أن تتجاهل بعض الوقت حتى تكون كما يريد، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنْ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنْ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ))

[البخاري]

ويتبادر إلى الذهن هنا أن تتكلم المرآة كالرجال، أو أن ترتدي لباسا مما يرتديه الرجال عادة، أضف إلى هذا إذا أهملت المرأة زينتها، وآثرت الخشونة على النعومة والرقة، فقد تشبهت بالرجال، لذلك فقد أمر النبي النساء بالتزين حتى لا يتشبهن بالرجال في الخشونة والشدة.

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

((كَانَتْ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ تَخْتَضِبُ، وَتَتَطَيَّبُ، فَتَرَكَتْهُ، فَدَخَلَتْ عَلَيَّ فَقُلْتُ لَهَا: أَمُشْهِدٌ أَمْ مُغِيبٌ ؟ فَقَالَتْ: مُشْهِدٌ كَمُغِيبٍ، قُلْتُ لَهَا: مَا لَكِ ؟ قَالَتْ: عُثْمَانُ لَا يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَلَا يُرِيدُ النِّسَاءَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ، فَقَالَ: يَا عُثْمَانُ، أَتُؤْمِنُ بِمَا نُؤْمِنُ بِهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَأُسْوَةٌ مَا لَكَ بِنَا... فَاصْنَعْ كَمَا نَصْنَعُ))

[أحمد]

فاعتنى بزوجته، وأعطاها حقها، فجاءت الزوجة في اليوم الثاني إلي السيدة عائشة، وقالت: لقد أصابنا ما أصاب النساء، فإهمال الزوجة مسؤولية.



عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

((أَنَّهَا اشْتَرَتْ نُمْرُقَةً . وسادة . فِيهَا تَصَاوِيرُ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ عَلَى الْبَابِ فَلَمْ يَدْخُلْهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الْكَرَاهِيَةَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَاذَا أَذْنَبْتُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ هَذِهِ النُّمْرُقَةِ ؟ قُلْتُ: اشْتَرَيْتُهَا لَكَ لِتَقْعُدَ عَلَيْهَا، وَتَوَسَّدَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ، وَقَالَ: إِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لَا تَدْخُلُهُ الْمَلَائِكَةُ))

[متفق عليه]

ففي عهد النبي عليه الصلاة والسلام كان المصور ينحت الصنم، وكان الصنم يعبد من دون الله، ومن معاني التصوير النحت، وهو التجسيم، وقد كان الناس يعبدون هذه الأصنام من دون الله، فلذلك سدًّا للذرائع قال النبي الحديث الشريف:

((إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ))

[متفق عليه عن ابن مسعود]

الحق السابع: الغيرة على الزوجة

ومن حق الزوجة على زوجها أن يكون غيوراً عليها، إذ إن هناك بعض الأزواج ليس لديهم الغيرة على زوجاتهم، اذهبي وحدك، تعالي وحدك، عند الطبيب وحدها، عند البائع وحدها، ومن حق الزوجة أن يغار عليها، وأن يوجهها إلى ما يحفظ عليها شرفها وشرفه، ولكن ليس معنى هذا أن يشتطّ الزوج في الغيرة عليها، فالشطط في الغيرة مرض فلا بد من غيرة سوية، والنبي عليه الصلاة والسلام قال:



((أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ ؟ وَاللَّهِ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، وَمِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ))

[متفق عليه عن المغيرة]

الغيرة قسمان: محبوبة وغير محبوبة

فالغيرة مطلوبة، ولكن هناك غيرة سوية، وغيرة مَرَضية، والنبي عليه الصلاة والسلام فصل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((مِنْ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يَكْرَهُ اللَّهُ، فَأَمَّا مَا يُحِبُّ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ، وَأَمَّا مَا يَكْرَهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ رِيبَةٍ))

[ابن ماجه]

فهناك غيرة يحبها الله ورسوله، وهناك غيرة يكرهها الله ورسوله.

فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، مثلا: أنت ارتبت، جاءتك معلومات مقلقة، شعرت أن هناك تصرفات عير صحيحة، تدعو للشك، فما دام دخل الريب إلى قلبك فالغيرة الآن يحبها الله ورسوله، وأما الغيرة التي يكرهها الله ورسوله فالغيرة من غير ريبة، فليس هناك دليل، ولا داع، ولا عبارة، ولا أي شارة، ولا تصرف مقلق، والأمور كلها طبيعية، فالآن إذا غرت فهذه الغيرة يكرهها الله ورسوله.

هناك حالات كثيرة اطلعت عليها لغيرة في غير موضعها تسبب نفور الزوجة، وهناك غيرة من الزوجة في غير موضعها تسبب نفور الزوج، إذ أن هناك زوجات غيورات، فزوجة مؤمنٍ إذا تأخر تسأله: أين كنت ؟ ومع من كنت ؟ وزوجها مؤمن، فمع من سيكون ؟ مع رفاقه، أو في شغله، أو قد يكون هو أيضا فيسألها: هل دخل أحد في غيابي ؟ ما هذا الكلام ؟ فغيرة من دون ريب، من دون سبب، من دون دليل، من دون إشارة، من دون تنبيه، من دون لفت نظر، هذه غيرة يكرهها الله ورسوله، أما الغيرة مع الريب، مع تصرف مشبوه فمطلوبة.



مثلا: دخلت البيت، اضطربت، تسألها: لماذا هذا الاضطراب ؟ باب أغلق فجأة ....شيء خرج ... شيء دخل، في مثل هذه الحالات لا بد من أن تكون غيوراً.

بالمناسبة، إن كل إنسان لا يتفقه في الدين يدفع الثمن باهظا، والله قبل خمسة عشر عاما في هذا المسجد عقب خطبة أمسكني رجل من يدي، وقال: أريد أن أحدثك بحديث خطير، فقلت له: تفضل، فقال: لقد اكتشفت اليوم أن زوجتي تخونني مع جار لنا منذ سنين، فسألته: ما السبب ؟ فقال: لنا جار، ومرة زارني، فناديتها يا أم فلان تعالي فاجلسي معنا، هذا فلان مثل أخيك، فجهله بالشرع دفع ثمنه باهظا، لذلك حضور مجالس العلم كما قال النبي عليه الصلاة و السلام حتم واجب على كل مسلم، إذا أن هناك قواعد خطيرة جدا، فالاختلاط طريق إلى الزنى، فإنسان رأى في هذه الزوجة ما ليس عند زوجته فمال إليها، ومالت إليه، أغراها وأغرته، ومن وراء ظهر الزوج فعلوا الفاحشة، فكل إنسان يخالف الشرع يدفع الثمن باهظا.

مثلا: يقول أحدهم: جاءنا خاطب شاب راقٍ مؤدب، فيسأل: هل عقدتم العقد ؟ فيجيب بأن العقد ليس ضروريا، وأمامنا وقت، يدخل ويخرج الخطيب، ثم يختفي وينتفخ البطن، فكل إنسان يخالف الشرع يدفع الثمن باهظا، هذه غيرة يحبها الله ورسوله، وأما الغيرة التي يبغضها الله ورسوله فهي الغيرة من دون ريب .

دفع الزوج مواطن الريبة أمام الزوجة لاتقائها عن نفسها

و هناك شيء آخر، إذا كنت ماشيا مع زوجتك، وكنت تنظر إلى النساء من حولك، أو أن امرأة زارت زوجتك، فاستقبلت ورحبت، ونظرت، فأنت قمت بعمل خطير، فزوجتك رأتك، وأنت تخالف الشرع، فأنت الآن تعطيها مبررا لتعاملك بالمثل، فإذا رأتك في عفة وفي حشمة، وفي ورع وفي غض بصر اقتدت بك، وهنا نتدبر قول سيدنا موسى:

﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ﴾

[سورة القصص: من الآية 23]

فهل هناك في اللغة العربية بأكملها عبارة أشد اختصارا، وأكثر جدية، وأقطع لكل تعليق من هذه ؟ قالتا:

﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة القصص: من الآية 23]

و مرة أخرى:

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

[سورة القصص: من الآية 25]

فلم تقل له: أبي يدعوك، وسكتت، فسألها: لماذا ؟ وهذا حتى لا يكون هناك حوار مباشرة،

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

انتهى الأمر بكلمة.

﴿ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾

[الأحزاب: من الآية 32]

فلا كلمة زائدة، مثلا: سعرها كذا، ادفعي، وامشي، فإذا قالت: نحن جيرانك، فقد أصبح هناك حوار لا مبرر له، قال تعالى:

﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾

[الأحزاب: من الآية 32]

فحتى على الهاتف كلمة فقط، مثلا: فلان موجود؟ لا، بلغوه أن فلانا قد اتصل به، انتهى، دق الباب، فلان موجود ؟ لا، تفضل، هذا كلام مخالف للأصول، فالإنسان يجب أن يتعلم كيف يتكلم، وهذا الذي يقول عنه النبي عليه الصلاة والسلام فعليه أن يكون عفيفا أمام زوجته، وأمام الله، فحين يكون عفيفا على مرأى منها يعلمها أن تكون عفيفة مع غيره، مع البائع، مع الشاري، مع أي إنسان، أما إذا هو أخذ، وأعطى في الكلام، وكان لطيفا جدا، وكان لينا في الكلام، ونظر، وأدار حديثاً ممتعاً ومازحاً مع امرأة لا تحل له على مرأى من زوجته، فكأنه يعطيها مبررا لتشطط في الحديث.



ومن حق الزوجة على زوجها أن يأمرها بالصلاة، وأفضل شيء أن يصلوا سوية، ففي البيت الزوجة مع الأولاد، أصبحت الصلاة صلاة جماعة، فتوضؤوا، وصلوا جماعة، فمن حقها عليه أن يأمرها بالصلاة، وأداء الفرائض لقوله تعالى:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾

[سورة طه: الآية 132]

لذلك ورد في بعض الأحاديث أنّ الزوجة تتعلق يوم القيامة برقبة زوجها، وهي تقول: يا رب، خذ لي حقي من زوجي، لأنه كان يراني أفعل كذا وكذا من الموبقات فلم ينهني، وكان يراني أبتعد عن كذا وكذا من الخيرات وأداء الصلوات فلم يأمرني، يا رب، خذ لي حقي من زوجي.

إنّ الإنسان إذا لم يفعل فسوف يحاسب عن زوجته حساباً عسيراً.

الحق الثامن: عدم التحدث عن الأسرار الزوجية

شيء آخر، لا يجوز، ولا بأي شكل من الأشكال، ولا بأي تلميح أو تصريح، لا يجوز تحت طائلة أشد العقوبات أن يتحدث الزوج عن أسرار الحياة الزوجية للناس .



فهذا الذي يفعل ذلك لا يغار على عرضه، ما كان بين الزوج والزوجة يجب ألا يعلمه إلا الله، فالنساء في بعض المجالس يتحدثن عن أزواجهن، وعن أسرار الحياة الزوجية، والزوج أحيانا يتحدث عن زوجته، وأسرار العلاقة الزوجية، هذا الذي يفعل هذا فاقد للمروءة، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

((ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخَبَثَ))

[مسند أحمد]

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))

[مسلم]

ولكن هذا لا يدخل في نطاق السؤال: هل صار العرس ؟ فالنبي عليه الصلاة والسلام سأل أبا طلحة، فقال: أعرّستم الليلة ؟ ولم يقصد النبي إلا أن يسأله: هل دخل بامرأته ؟ فهذه ليس لها علاقة بالعلاقة الزوجية.

الحق التاسع: عدم تكليف الزوجة بعمل فوق طاقتها

ومن حق الزوجة على زوجها ألا يكلفها عملاً فوق طاقتها، فهناك أحيانا زوج يضع برنامجا لتنظيف البيت غير معقول، ويحاسب حسابا شديدا .

فالتدقيق سهل، والفحص سهل، أما الإنجاز فيتطلب جهداً كبيراً، فإذا كان لديها أولاد، وعندها عمل كبير، وأنت تحاسبها: لماذا لم تفعلي كذا ؟ ولماذا لم تفعلي ؟ فهذا خلاف الشرع، إذ لا يحل للزوج أن يكلف زوجته فوق استطاعتها، فقد تكون الأوامر في ذاتها مشروعة، ولكنها لظروف الزوجة تصبح غير



مشروعة، كحالة الدورة الشهرية، حيث تكون المرأة ضعيفة، فيكلفها فوق طاقتها، ويحاسبها، وكأنها شديدة عتيدة، فهذا أيضا مخالف للشرع، والنبي عليه الصلاة والسلام أوصى ألا يكلف الإنسان خادمه فوق طاقته، فلأن يمتنع أن يكلف الإنسان زوجته فوق طاقتها من باب أولى.

السيدة فاطمة رضي الله عنها اشتكت إلى أبيها صلوات الله وسلامه عليه ما تلقى من مشقة الخدمة، فأمرها عليه الصلاة والسلام أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا اله إلا الله، والله أكبر، فهذا إشارة إلى أن من واجب الزوجة أن تقوم بخدمة زوجها، وبيتها بالمعقول، إلا أن الرأي الدقيق أنه إذا كان هناك مودة ومحبة ترتفع التكلفة، إذ إن الزوجة قد تعمل فوق طاقتها اختيارا ومبادرة منها، والزوج يعين زوجته، فمادام هناك محبة وألفة وإخلاص فكل شيء يحل .

هذه بعض حقوق الزوجة على زوجها، والإنسان كلما أدى الحقوق كلما اقترب من خالقه، وكلما شعر أن الطريق إلى الله سالك.

والحمد لله رب العالمين

الدرس (3-5) : النفقة والمعاشرة بالمعروف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ كيف ينظر الإسلام إلى العلاقة بين الزوجين ؟ و كيف تبنى هذه العلاقة على مبدأ الحقوق والواجبات ؟ ثم ما هي حقوق الزوجة على زوجها ؟ وما هي النفقة الواجبة في مال الزوج تجاه زوجته ؟ لم كان أفضل دينار ينفقه الرجل هو الدينار الذي ينفقه على أهل بيته ؟ ثم إن الله تعالى يقول :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

[سورة النساء : 19]

فما معنى المعاشرة بالمعروف ؟ هذه الأسئلة وغيرها تجدون الإجابة عليها من خلال متابعتكم لهذا اللقاء الطيب مع درة من درر الشريعة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الكرام أينما كنتم أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته في مستهل هذا البرنامج برنامج درر ، في موسمه الثاني ، فبعد أن سعدنا بصحبتكم خلال الموسم الأول من خلال أخلاق الإسلام ودرر الإسلام في الأخلاق الفاضلة الحميدة ، أنتقل اليوم إلى درر هذا العام ، حيث نخصصها للحديث عن العلاقات ، وعن الحقوق والواجبات ، فالمجتمع أفراد ، وهؤلاء الأفراد تحكمهم علاقات ينظمها الإسلام وفق تعاليمه السمحة ، لذلك سنخصص هذا الجزء إن شاء الله للحديث عن الحقوق ، ونبدأ اليوم بعونه تعالى من الخلية الأولى في المجتمع وهي الأسرة ، للنظر كيف نظم الإسلام العلاقة بين الزوج والزوجة ، وسنبدأ اليوم بالحديث عن حقوق الزوجة على زوجها .

بادئ ذي بدء يسعدني وأتشرف أن أرحب بفضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله أستاذنا وبارك بكم .

أخوتي الأفاضل إذاً موضوعنا اليوم حقوق الزوجة على زوجها .

أستاذنا الفاضل ؛ حقيقة العلاقة الزوجية علاقة مصيرية ، لذلك لا بد أن نبدأ بمقدمة تتعلق بهذه العلاقة ، وكيف بناها الإسلام على مبدأ الحقوق والواجبات قبل أن ننتقل إلى الحديث عن حقوق الزوجة .

عقد الزواج أقدس عقد في عالم المسلمين :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



الحقيقة الدقيقة أن أقدس عقد في عالم المسلمين هو عقد الزواج الدليل قوله تعالى :

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

[سورة النساء: 21]

فعقد الزواج هو الميثاق الغليظ ، ذلك أن الحياة الزوجية حياة مصيرية ، بمعنى أنك إذا تزوجت امرأة ، ورزقت منها أولاداً ، هؤلاء الأولاد إذا كان الفراق بين الزوجين تشردوا ، فلذلك أقدس عقد هو عقد الزواج ، وهذا العقد له في الإسلام شروط ، هناك واجبات وهناك حقوق ، وهناك افعل ولا تفعل ، هذا هو منهج الله عز وجل ، فلذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام حريصاً حرصاً لا حدود له على أن يكون الوفاق بين الزوجين تنفيذاً للمخطط الإلهي الذي يبدو من قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ ﴾

[سورة الروم : 21]

أي ومن آياته :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴾

[سورة فصلت : 37]

من آياته الكون ، قال تعالى :

﴿ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

[سورة الروم : 21]



أي كما أراد الله ، وكما جاء التصميم الإلهي ، الأصل في العلاقات الزوجية المودة والرحمة ، هذا هو التخطيط الإلهي ، هذا هو الوضع الطبيعي ، هذه هي الصحة النفسية بين الزوجين، لو أن بين الزوجين مشاحنة أو بغضاء أو جفاء ، هذه حالة مرضية تقتضي المعالجة، فالنبي عليه الصلاة والسلام حرصاً منه أنبأنا بأن الله عز وجل حريص علينا ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

[سورة التوبة : 128]

من حرص الله علينا ، ومحبته لنا ، وسعادتنا أصل في خلقنا ، خلقنا للسعادة ، لذلك كان هناك توجيهات كثيرة جداً ، فكان عليه الصلاة والسلام يحب أن يكون في كل بيت من بيوت المسلمين سعادة مظللة لما تحتها ، هذا من حرص النبي الكريم عليه أتم الصلاة والسلام ، لذلك هناك توجيهات كثيرة تتعلق بحقوق الزوج على زوجته ، وحقوق الزوجة على زوجها ، والحقيقة أن الأزواج دائماً يتحدثون بشكل طبيعي أو انطلاقاً من عقلهم الباطن عن حقوق الزوج على زوجاتهم ، هذا من قبيل أن الأحاديث في مصلحتهم ، ولكن لكلّ حق واجب ، فإذا كنت تعتز بما قاله النبي الكريم من حق لك على امرأتك يجب أيضاً أن تلقي أذناً صاغية إلى الأحاديث الأخرى التي هي حق الزوجة على زوجها ، فكأن هذا اللقاء الطيب نتحدث به عن الحقوق بين الزوجين .

الأستاذ بلال :

إذاً أستاذنا الفاضل تطبيقاً لما تفضلتم به سنبدأ اليوم بالحديث عن حقوق الزوجة ، ثم نثني إن شاء الله بحقوق الزوج ، وأريد أن أبدأ بالحق الأول من حقوق الزوجة وهو ما يسميه الفقهاء حق النفقة :

((عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه و سلم : سأله رجل ما حق المرأة على زوجها ؟ قال : تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ...))

[سنن النسائي الكبرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه]

أريد أن أنطلق من هذا الحديث من الحق الأول وهو حق النفقة ، ما حدودها ؟ كيف هي تطبيقاتها ؟

النفقة أول حق من حقوق المرأة على زوجها :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن العلماء الأفاضل قرروا أن هذا الإحسان في الكسوة ، وفي الطعام ، يجب أن يكون في الحدود المعتدلة تطبيقاً لقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾

[سورة الإسراء: 29]



كأن هذه الآية تبين أن الاعتدال هو الأصل ، بتعبير معاصر الوسطية ، وفي الحديث إشارة خطيرة إلى أن هؤلاء الذين يتحملون معصية ربهم من أجل إرضاء زوجاتهم ما قرؤوا هذا الحديث ، وما كلفك الشرع أن تطعمها طعاماً لا تستطيعه ، أن تطعمها إذا طعمت ، إذا طعمت فأطعمها ، أما إذا لم تقدر أن تأكل ما تشتهي فلا شيء عليك ، الصحابيات قبل أن يغادر الزوج زوجته تقول له : اتق الله ، نصبر على الجوع ، ولا نصبر على الحرام . فهذا الذي من أجل أن يرضي زوجته يعصي ربه وقع في خطأ كبير .

الأستاذ بلال :

تقول له : اتق الله ، نصبر على الجوع ، ولا نصبر على الحرام .

الدكتور راتب :

أي الزوجة تعين زوجها ، إن أي إنسان يقول لك: أنا أفعل هذا من أجل زوجتي ، من أجل أولادي ، من أجل أن أرضيها ، يجب أن أحصنها ، يجب أن أرضيها ، نقول له : لا ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((..تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت ...))

[سنن النسائي الكبرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه]

وما كلفك الشرع أن ترتكب المعصية من أجل إرضائها .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم تتمة للحديث إتماماً للفائدة :

((...ولا تهجر إلا في البيت))

[سنن النسائي الكبرى عن حكيم بن معاوية عن أبيه]

أي لا تهجرها إلا في البيت .

هجر المرأة في البيت و عدم إخراجها منه :

الدكتور راتب :

لي إجابة دقيقة ، إنك إذا هجرتها وهي عند أهلها الأمر يتفاقم ، وقد ينتهي بالطلاق، أما إذا هجرتها في البيت فمعنى ذلك أن الصلح قريب ، وأنت بحاجة إليها ، وهي بحاجة إليك ، أنت منعت الأطراف الأخرى أن تتدخل في إصلاح ذات البين ، فإذا هجرتها في البيت معنى ذلك أن الصلح قريب ، وبلحظة ما يعود الوفاق والمودة بين الزوجين .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أخوتي الأفاضل سعدنا بالتواصل معكم ويسعدنا أكثر أن نعود إليكم بعد فاصل قصير فابقوا معنا ..

السلام عليكم ، من جديد نتابع الحديث في هذه الحلقة عن حقوق الزوجة على زوجها وما زلنا في حق النفقة ، ننتقل أستاذنا الكريم إلى حديث آخر في حق النفقة وهو يلفت النظر :

((الدينار الذي تنفقه على أهلك أعظمها أجراً))

[مسلم من حديث وكيع عن الثوري]



وفي حديث آخر :

((عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : دينار أنفقه في سبيل الله، ودينار في المساكين ، ودينار على أهلك ، ودينار في الرقاب ، أفضلها ديناراً دينار أنفقته على أهلك))

[سنن النسائي الكبرى عن أبي هريرة]

لم كان الدينار الأعظم أو النفقة الأعظم هي التي تكون في النفقة على العيال ؟

أعظم نفقة هي النفقة على العيال :

الدكتور راتب :

الحقيقة أن الآخرين أنت لهم وغيرك لهم ، أما أهلك فمن لهم غيرك ؟ لذلك : و أن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة ، يبدو أن هذه المودة بين الزوجين تمتن العلاقة بينهما، وكأن الأولاد يقطفون هذه العلاقة الطيبة ، فلذلك هنيئاً للذي يسعى ويجد ويكد وينفق على أهله ، هذه نفقة هي عند الله أفضل أنواع الإنفاق التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الحديث الشريف الذي ذكرته قبل قليل .



يجب أن نعلم الأزواج إنما شرّع الله عز وجل هذه المبادئ في العلاقة الزوجية من أجل أن يكون لك فرصة لعمل صالح تتقرب به إلى الله عز وجل ، إذاً هناك أعمال صالحة تنطلق من البيت وأنت في بيتك ، وأنت مع أهلك وأولادك هناك طرق إلى الله عز وجل سالكة ، لذلك الله عز وجل خلق في الأرض المعايش ،

المعاييش أي أسباب لكسب الرزق ، فالحر مثلاً هناك ملايين مملينة من البشر ينتفعون في كسب أرزاقهم من الحر ، وهناك ملايين مملينة من البشر ينتفعون في كسب أرزاقهم من البرد ، وهناك ملايين من طول الشعر ، المعاييش أي أسباب الرزق ، فكأن هذه العلاقة بين الزوجين سببت أيضاً أسباباً كثيرة جداً لمن يعيش من خلال هذا العقد المقدس الذي أراده الله عز وجل .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم هنا يحضرني حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا سَقَى امْرَأَتَهُ مِنْ الْمَاءِ أُجِرَ))

[أحمد عن العرباض بن سارية]

حتى شربة الماء التي يشربها الرجل لزوجته فيها أجر من الله تعالى ؟

الدكتور راتب :



والله هكذا النصوص ، نحن ديننا دين نص من عند الله عز وجل ، إن كان قرآناً من عند الله مباشرة ، وإن كان حديثاً نبوياً ، نبينا الكريم شرح كتاب الله بهذه الأحاديث ، فلذلك حينما يكون البيت متماسكاً جداً ، وهناك علاقة طيبة بين الزوجين ومودة ورحمة ، هذا الشيء يجعل الخلية الأولى في المجتمع متماسكة ، وإذا تماسكت الأسرة تماسك المجتمع ، فالمجتمع مجموعة أسر ، فحينما أرعى الخلية الأولى في المجتمع أنا رعيت المجتمع بأكمله .

الأستاذ بلال :

وهنا أستاذنا الكريم يحضرني حديث لأبي هريرة رضي الله عنه ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم :

((أفضل الصدقة ما ترك غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول))

[البخاري عن أبي هريرة]

كأن النبي صلى الله عليه وسلم يوجهنا إلى النفقة على الأسرة .

الأسرة هي الخلية الأولى ورعايتها هي رعاية للمجتمع بأكمله :

الدكتور راتب :


الإنفاق الوسطي من الزوج على زوجته من أولى واجباته

أي هناك أولويات في حياتنا ؛ الأسرة هي الخلية الأولى ، ورعاية الأسرة هي رعاية للمجتمع بأكمله ، فحينما يوصى الزوج بالإنفاق عن زوجته هذا الإنفاق ينبغي أن يكون من غير إسراف ولا تبذير ولا مخيلة ، والكلام دقيق جداً .

الإسراف في الحلال والتبذير في الحرام والمخيلة مع التباهي والاستعلاء ، فإذا كان الإنفاق بعيداً عن الإسراف و التبذير و الاعتداد بالنفس ، هذا الإنفاق هو الوسط الذي أراده الله عز وجل :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً ﴾

[سورة الإسراء: 29]


العلاقة الطيبة بين الزوجين تثمر بأولاد صالحين

أي في عبارة معاصرة : إنفاق معقول بالحد الوسطي ، بالحد الذي لا يهبط عن الحاجات الأساسية ، ولا يقترب من الترف ، الإنفاق المعقول الوسطي من الزوج على زوجته هذا من أولى واجباته ، ومن أولى تقوية العلاقة بين الزوجين ، وكأن الله في عليائه يريدنا أن تكون علاقاتنا بزوجاتنا متينة ونامية ، هذه حقيقة ، هذه الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع ، فإن صحت العلاقة بين الزوجين صحت تربية الأولاد ، وإن صحت تربية الأولاد قدمت هذه الأسرة للمجتمع مواطنين صالحين ، و الدين من عظمته أنه اعتنى بالأسرة ، والاتجاهات الأخرى الأرضية قد لا تهتم بالأسرة بل تحارب الأسرة في بعض المؤتمرات العالمية ، فالأسرة في هذا الدين العظيم قوام الأمة ، والخلية الأولى ، فلا بد من علاقة طيبة بين الزوجين ، ولا بد من إنفاق معتدل معقول ليس فيه إسراف ولا تبذير ولا مخيلة .

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً ، أستاذنا الكريم بما أننا وجهنا الأزواج إلى أن عليهم واجباً وهو الإنفاق على زوجاتهم ، ماذا نقول لبعض الزوجات اللواتي يلجئن أزواجهن إلى الحرام بكثرة الطلبات ؟

الزوجة الصالحة لا تكلف زوجها ما لا يطيق :

الدكتور راتب :

والله هذه الزوجة لا تدري ما المصير ، حينما ترهق زوجها بالإنفاق عليها ، فيستدين ويفتقر يعود السوء عليها ، البطولة أن يكون هناك تفاهم وتعاون بين الزوجين ، وأن يكون هناك نظرة موضوعية ، فهذا الزوج ليس بإمكانه أن ينفق كما تشاء الزوجة .



فإذا اعتقدت أن الوسط في الإنفاق هو الأصل، هو الشيء المقبول والمعقول ، كان هذا الزواج في توافق عجيب ، والتوافق ينعكس على الأولاد ، فحينما تكلف زوجها فوق طاقته تسهم في مصائب قادمة من كثرة الديون ، ومن ضعف الأداء ، هذا كله يعود على هذه الأسرة بالسلبيات ، إذاً الزوجة الصالحة لا تكلف زوجها فوق ما يطيق ، لذلك قال النبي الكريم :

((أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَؤونَةً))

[أحمد عن عائشة]

فالتي طلباتها معقولة و لا تطلب فوق ما يستطيع زوجها هي امرأة مؤمنة عفيفة طاهرة لها شأنها عند الله عز وجل .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم وهنا إتماماً للفائدة بعض النساء يعملن ولهن دخل ، لو أن المرأة لها دخل هذا يعفي الزوج من الإنفاق عليها ؟

من لوازم الشرع إنفاق الزوج على زوجته :

الدكتور راتب :

لا هو مكلف أن ينفق عليها ، لكن يمكن إن كانت الزوجة غنية أن تمده بالمال ، ولها أجر كبير ، أقرب الناس لها وأفضل أنواع الأجر أن تعطي زوجها ، أما فالزوج عليه النفقة وليست مكلفة أن تنفق هي ، هذا شيء من لوازم الشرع .

الأستاذ بلال :

أخوتي الأكارم سعدنا بالتواصل معكم ، ويسعدنا أكثر أن نعود بالتواصل بعد فاصل قصير فابقوا معنا .. السلام عليكم من جديد أحبابنا الكرام نتابع حديثنا مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، نتابع حديثنا عن حقوق الزوجة على زوجها ، وننتقل معاً إلى الحق الثاني بعد أن تحدثنا عن حق النفقة ، الحق الثاني أستاذنا هو حق حسن المعاملة ، وحسن العشرة ودليله قوله تعالى :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

[سورة النساء : 19]

كيف يعاشر الرجل امرأته بالمعروف ؟

الحق الثاني للزوجة على زوجها حسن المعاملة و العشرة :

الدكتور راتب :

الحقيقة أتمنى أن أقف وقفة متأنية عند كلمة المعروف ، المعروف شيء نعرفه بفطرتنا من دون تعليم ، المعروف هو تطابق خصائص النفس البشرية مع منهج الله عز وجل ، المعروف شيء نعرفه ابتداء من دون تعليم ، والمنكر شيء ننكره ابتداء من دون تعليم ، بالفطرة، فالشيء المعروف أن يكون هناك مودة بين الزوجين ، ومحبة بين الزوجين ، وإنصاف ، وتعاون، هذا كله مما يعرف بالفطرة من دون تعليم ، الإنسان حينما يخالف المعروف يشعر بالكآبة لأنه خالف أسس فطرته السليمة ، ولا ننسى أن تطابق المنهج مع الفطرة تطابق ثابت جداً مئة بالمئة قال تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[سورة الروم: 30]



المعاشرة بالمعروف ، بالمودة ، بالرحمة ، بالإنصاف ، بتجاوز بعض الجزئيات ، المعاشرة بالمعروف ، أن نفتح صفحة جديدة كل يوم ، وعقب أي زيارة ، وبعد مضي أي حدث ، أما لو أن الأخطاء بقيت في أذهاننا وتمثلناها باستمرار نقع في إشكال كبير ، فالمعاشرة بالمعروف تقتضي أن يكون بينهما حسن علاقة ، هذه الزوجة شريكة الحياة ، العيش مستمر معها ، فإذا كان هناك محاسبة غير معقولة ، وتدقيق على أشياء صغيرة جداً ، هذه المعاشرة بالمعروف نفيت عن هذه العلاقة الزوجية ، إذاً نحن حينما نتمنى على أخوتنا الكرام الأزواج والزوجات أن يكون التعاشر بينهم بالمعروف ، أي بمنهج الله أولاً ، وبالفطر السليمة ثانياً ، وبما أودعه الله فينا من معرفة للحق ابتدائية ، هذا كله ينطلق من المعاشرة بالمعروف ، والمعروف تعرفه الفطر السليمة ، والمنكر تنكره الفطر السليمة ، أي السلام ، المودة ، الثناء على جهد الزوجة في البيت ، الثناء على طبخ الطعام ، على رعاية الأولاد ، على حسن هندامها أمام زوجها ، هذه كلها بالمعروف ، البطولة أن طرفاً يطبق والثاني يقدر، طرفاً يطبق والثاني لا يقدر هناك مشكلة ، فلا بد من أن تلتزم الزوجة أن تكون بمظهر حسن أمام زوجها ، وهو يقدر ذلك بأن يسمعها كلمات الحب ، هذا شيء يقوي العلاقة بين الزوجين ، هذه شركة دائمة ، ومصيرية ، هذا الابن حينما يرى أباه على مودة مع أمه يسعد أيما سعادة ، وإذا رأى هناك مشكلة ، شجار ، شقاق ، خصومة ، يتحطم هذا الطفل ، أنا أقول كلمة لأخوتي : أنت حينما تتزوج ضع حظك من الزواج تحت قدمك إكراماً لأولادك ، فالذي يهتم بتربية أولاده ، الابن لا شيء يزعجه ويخلق عنده انفصام شخصية كأن يرى أباه ومه على خصام بينهما .

المعاشرة بالمعروف كما تفضلت قبل قليل فوق النفقة تأتي في المرتبة الأولى ، المودة معاشرة بالمعروف ، الثناء على الزوجة بما هو فيها ، المعاشرة بالمعروف تقدير جهدها في البيت ، أنا أقول لك كلاماً دقيقاً : الزوجة حينما تسمع كلمات لطيفة من زوجها تنسى كل تعبها ، تنسى كل جهدها ، تنسى كل معاناتها بدخل زوج المحدود ، ما دام هناك ود ، المعاشرة بالمعروف منهج في العلاقة بين الزوجين ، وقد أرادها الله عز وجل ، ربما يسعد الإنسان سعادة لا توصف إذا كان بين الزوجين مودة كبيرة ، وأنا أضيف وأقول : إن

المودة العالية بين الزوجين تمتص كل متاعب الحياة ، فإذا دخل إلى البيت نسي كل متاعب الحياة ، فإذا كان هناك خصومة في البيت تنشأ مشكلة كبيرة جداً .

الإنسان أحياناً يخرج من البيت وأنا لي نصيحة للأخوة الكرام ؛ الأزواج والزوجات ، خرج من البيت كان هناك مشكلة ، عاد إلى البيت انتهت المشكلة ، كان هناك مشكلة نمنا واستيقظنا لا يوجد شيء ، فلا بد للزوج من أن يعمل فواصل ، الخروج والرجوع إلى البيت انتهت المشكلة ، النوم والاستيقاظ انتهت المشكلة ، هذه الطريقة في العلاقة بين الزوجين تجعل هذا البيت في سعادة .

أنا أقول كلمة لأخوتي الكرام : بطولتك أن يكون العيد عند دخولك إلى البيت لا عند خروجك من البيت ، فالزوج الصالح والزوجة الصالحة وجودهما معاً في البيت أكبر سعادة للأولاد ، هذه معاشرة بالمعروف ، يطعمها مما يأكل ، لم يكلف فوق طاقته ، ولكن أي زوج بإمكانه بشكل دقيق أن يعاشرها بالمعروف بالكلمة الطيبة ، بالمودة الطيبة ، بالثناء الطيب ، طبعاً الثناء المعتدل الواقعي على أعمالها ، على طبخها ، على عنايتها بنفسها و بأولادها .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاكم الله خيراً أستاذنا الكريم ، وأحسن إليكم ، وأسأل الله عز وجل أن يوفق الأزواج والزوجات إلى بناء بيت إسلامي يرضى الله عنه ورسوله ، وأنتم أخوتي الكرام لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (4-5) : حسن المعاملة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

[سورة التحريم : 6]

كيف يقي الرجل أهل بيته من النار ؟ وهل من حق الزوجة على زوجها أن يعرفها بربها وأن يحملها على طاعته ؟ هل من حق الزوجة على زوجها أن يتزين لها كما تتزين هي له؟ هذه الأسئلة أيها الأخوة أسئلة مهمة جداً تحتاج إلى إجابة ، تابعوا الإجابة عليها بعد قليل في هذه الدرة المباركة .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الكرام أينما كنتم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، واسمحوا لي في مستهل هذا البرنامج برنامج درر، أن أرحب بضيفنا الدائم فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي، السلام عليكم سيدي .

الدكتور راتب :

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الأستاذ بلال :

أخوتي الكرام نحن مازلنا نتحدث عن حقوق الزوجة على زوجها ، وبدأنا بالحق الأول وهو حق النفقة ، إذ من واجب كل زوج أن ينفق على زوجته ، ويطعمها إذا طعم ، ويكسوها إذا اكتسى، وهذا حق ثابت فصلنا القول فيه في اللقاء الماضي ، ثم انتقلنا إلى الحق الثاني من حقوق الزوجة وهو حق حسن المعاملة والمعاشرة بالمعروف ، ومضينا في هذا الحق ونتابع اليوم في هذا الحق نفسه حديثاً ، أستاذنا الفاضل تحدثنا في اللقاء الماضي عن معنى المعاشرة بالمعروف ، بقي أن نسأل : بعض الأزواج يظن أن المعاشرة

بالمعروف يكتفى فيها أن يمتنع عن إلحاق الأذى بزوجته هل هذا صحيح أم أن هناك مفهوماً أوسع في المعاشرة بالمعروف ؟

المفهوم الواسع للمعاشرة بالمعروف :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .

الأخ بلال جزاك الله خيراً ؛ من أجمل ما قرأت عن معنى هذه الآية ، لا تعني المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها بل أن تحتمل الأذى منها ، أنا أقول دائماً : عظمة هذا الزواج الإسلامي أن الله بين الزوجين ، بمعنى أن كل طرف يخاف الله أن يظلم الطرف الآخر ، وأن كل طرف يتقرب إلى الله بخدمة الطرف الآخر ، كلمة دقيقة الله بين الزوجين ، فأنت تخشى الله أن تظلمها ، وتخشى الله هي أن تظلمك ، وأنت تتقرب إلى الله بخدمتها ، وهي كذلك تتقرب إلى الله بخدمتك ، فالله بين الزوجين من هنا كانت المعاشرة بالمعروف من أروع ما في القرآن ، المعروف شيء تعرفه الفطرة لا يحتاج إلى تعليم ، لو أن إنساناً غرقت السفينة التي كان يركبها فوجد نفسه مع والدته بجزيرة مثلاً ، لو أنه اصطاد أرنباً وأكله وحده ، ولم يتلقَّ أي توجيه بحياته يشعر بانقباض ، هذه الفطرة ، لذلك تطابق النص الشرعي مع الفطرة مذهل ، قال تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾

[سورة الروم: 30]



بمعنى أن أي أمر أمرك الله به برمجت على محبته ، وأي نهي نهاك الله عنه برمجت على كراهيته ، الإنسان حينما يصطلح مع الله يصطلح مع فطرته ، فلذلك ليس المعاشرة بالمعروف أن تمتنع عن إيقاع الأذى ، بها بل أن تحتمل الأذى منها ، فإذا كان الزوج يتقرب إلى الله بخدمة زوجته ، والزوجة تتقرب إلى الله بخدمة زوجها ، وكلاهما يخشى الله أن يظلم

الطرف الآخر هذا الزواج وجد ليبقى ، هذا الزواج برعاية الله ، لذلك إذا بني الزواج على طاعة الله يتولى الله في عليائه التوفيق بين الزوجين ، أما إذا بني الزواج على معصية الله فيتولى الشيطان التفريق بينهما .

((... مَا تَوَادَّ اثْنَان فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا))

[أحمد عن ابن عمر، وإسناده حسن]

في المعاشرة بالمعروف لا تعني أن تمتنع عن إيقاع الأذى بها ، بل أن تحتمل الأذى منها ، والأصح أن هناك مشاركة ؛ هو يحتمل الأذى منها ويصبر ، وهي تحتمل الأذى منه وتصبر ، هي تتقرب إلى الله بخدمته وهو كذلك ، هذا الزواج وجد ليبقى .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل هنا لو انتقلت إلى معنى من المعاشرة بالمعروف أظنه لصيقاً بحديثنا ، بعض الأزواج يسيئون الظن بزوجاتهم إلى حدّ مرضي هل هذا من سوء العشرة ؟

حسن الظن عصمة :

الدكتور راتب :

والله الآية تحسم هذا الموضوع ، قال تعالى :

﴿ إن بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

[سورة الحجرات: 12]



مثلاً لا يوجد أي مؤشر ، لا يوجد أي إشارة ، لا يوجد أي مظهر ، لا يوجد أي دليل ، وتسيء الظن بزوجتك ؟ هذا إثم كبير .

﴿ إن بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾

[سورة الحجرات: 12]

لكن تتكلم على الهاتف فلما دخلت أغلقت السماعة فوراً هذا مؤشر ، إذا كان هناك مؤشر فحسن الظن عصمة ، احترس من سوء الظن إذا كان هناك مؤشر ، إذا كان هناك دليل، إذا كان هناك ظاهرة ، فسوء الظن عصمة ، واحترس من الناس

بسوء الظن ، والحزم سوء الظن، أنا وسعت الموضوع ، سوء الظن إذا كان هناك دليل أو مؤشر أو ظاهرة ينبغي أن تكون دقيقاً في حسن علاقتك بالآخرين ، لذلك مع الزوجة أولى ، لا يوجد أي مؤشر ، لا يوجد أية ظاهرة ، لا يوجد أي خطأ ارتكبته ، تسيء الظن بها من دخل إلى البيت بغيابي ؟ ما هذا السؤال؟ هذا السؤال مرفوض كلياً ، بل إن هذا السؤال قد يجرح مشاعرها ، الإنسان حينما يجرح مشاعر زوجته يدفع الثمن هو .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل يحضرني حديث أيضاً يلتصق بموضوع المعاشرة بالمعروف يقول صلى الله عليه وسلم :

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة ، إن كَرِهِ منها خُلُقاً رضي منها آخَرَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

كيف نفهم هذا الحديث في ضوء المعاشرة بالمعروف ؟

لا تكليف بلا إعلام و لا معصية من دون تكليف :

الدكتور راتب :

والله هناك قصة لطيفة ؛ كنت مرة ألقي درساً في جامع النابلسي بالفجر يومياً ، مرة ولا أدري لماذا فعلت هذا وأنا أعطي درساً في رياض الصالحين وكل يوم أشرح حديثاً ، في أحد الأيام أمسكت الكتاب هكذا وقلبت صحائفه ، ووقفت عند مكان لا أعلم أي مكان فإذا عن العلاقات الزوجية ، شعرت بطلاقة لسان عجيبة ، والدرس امتد إلى نصف ساعة وانتهى الدرس فلما خرجت من المسجد أحد الأخوة عانقني وصار يبكي ، خير إن شاء الله قال : أنا اليوم موعدي مع القضاء الساعة العاشرة صباحاً كي أطلق زوجتي ، ومن خلال هذا الدرس كففت عن تطليقها.



فالإنسان أحياناً يتسرع ، أنا أقول : موضوع الطلاق موضوع خطير جداً فمن حسن المعاشرة أن تحتمل الأذى منها ، نبهها ، أعطها فرصة ، هناك أزواج لا يعطون أي توجيه ، فإذا خالفت ما يتوهمه صحيحاً يحاسبها ، لا تكليف بلا إعلام ، لا معصية من دون تكليف ، أنا أتمنى على الزوج أن يبلغ زوجته ما الذي يزعجه ، وما الذي يفرحه من زوجته ، أنت ما بلغتها أبداً ، فلذلك من أخطاء الأزواج أحياناً أنهم يغضبون بلا مبرر ، أنت ما بلغتها ، ولا معصية من دون تكليف ، كلفها ، قل لها ما تحب وما تكره ، فلذلك المرأة عندما تعرف ما يكره زوجها وتفعله قصداً هذا صار موضوعاً ثانياً .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أخوتي الكرام سعدنا بلقائكم ونسعد أيضاً بتتمة هذا اللقاء بعد فاصل قصير ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، عدنا كي نتابع حديثنا حول الحق الثاني من حقوق الزوجة على زوجها وهو حق المعاشرة بالمعروف ، وقد كنا انتهينا أستاذنا الفاضل إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم :

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة ، إن كَرِهِ منها خُلُقاً رضي منها آخَرَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

كيف نتابع ؟

بطولة الإنسان أن يقف موقفاً منصفاً في علاقته بزوجته :

الدكتور راتب :

والله أنا مرة جاءني رجل يريد أن يطلق زوجته ، وقد اتخذ قراراً قطعياً ، قلت له أتخونك ؟ قال : معاذ الله يا أستاذ ما هذا الكلام ؟ وأنا قصدت ذلك ، ليست نظيفة ؟ قال : بل جيدة جداً بنظافتها ، طبخها سيئ ؟ قال : أبداً طبخها جيد ، دون أن يشعر تحدث عن فضائلها، اعترف بفضائلها ، أنا بدأت بالخيانة ، ثم بالنظافة ، ثم بالطبخ ، ثم .. فخجل من نفسه وألغي الطلاق .

فالإنسان إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر، البطولة أن تقف موقفاً معتدلاً ، موقفاً منصفاً ، والإنصاف من صفات المؤمن ، لا أن تنسى كل فضائلها وتحاسبها على خطأ واحد ، أنا أسمي هذا الزوج قناصاً ، يبحث عن الخطأ ، أما أنت كما رأيت هذا الخطأ انظر إلى إيجابياتها ، فالإنسان بالسلبيات والإيجابيات معاً يتوازن ، أما أخذ السلبيات فقط فهذا قنص ، وأخذ الإيجابيات ونسي السيئات ما رباها أيضاً ، أنا أقول : إن البطولة في العلاقة الزوجية أن تحبك زوجتك بقدر ما تخافك ، قضية ليست سهلة ، هناك محبة واسعة ، من دون التزام ، من دون تطبيق اسمها سبهللة ، أحياناً تجد كراهية غير معقولة من شدة الضغط عليها ، أما البطولة فأن تحبها بقدر ما تخشى على دينها ، وأن تحبك هي بقدر ما تخافك ، أمسكت العصا من الوسط ، هذا موقف حكيم يحتاج إلى بذل جهد .


عدم الإنصاف أن تبحث عن خطأ واحد لزوجتك لتحاسبها

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم أستاذنا الكريم أريد أن أنتقل إلى موضوع التطبيق العملي ، النبي صلى الله عليه وسلم أسوتنا :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الأحزاب: 21]

كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيته من خلال المعاشرة بالمعروف ؟

الموضوعية أخلاق و وسطية و علم و فضيلة :

الدكتور راتب :

النبي وجهنا قال :

((لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة ، إن كَرِهِ منها خُلُقاً رضي منها آخَرَ))

[مسلم عن أبي هريرة]

أنت ابحث في شأنها مجتمعاً لا مفرقاً ، إيجابياتها وسلبياتها ، هذا نوع من الموقف الحكيم ، أنا أقول دائماً : الموضوعية هي قيمة أخلاقية وقيمة علمية ، أنت إذا كنت موضوعياً فأنت عالم ، وإذا كنت موضوعياً فأنت أخلاقي ، الموضوعية قيمة عظيمة جداً ، وهي بالحقيقة أصل بالتعامل مع الآخرين ، هناك إيجابيات و سلبيات ، أنا الذي أراه بحكم عملي في الدعوة وقد ترفع إليّ مئات القضايا في العلاقات الزوجية ، تجد كل إيجابيات الزوجة ينساها الزوج ، يعلق على تصرف واحد أزعجه ، وقد تنسى أن زوجها يحبها وينفق عليها ويحترم أهلها وقد تعلق تعليقاً كبيراً على موقف ارتكبه معها ، الموضوعية أخلاق ، الموضوعية وسطية ، الموضوعية علم ، الموضوعية فضيلة ، الموضوعية موقف الوسط .

الأستاذ بلال :

النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول :

((خيرُكُم خيرُكُم لأَهْلِهِ))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

أخلاق الرجل الحقيقية في البيت :

الدكتور راتب :



أنا الآن مضطر لأن أقول هذه الكلمة ، الإنسان خارج البيت يهمه مظهره ، يهمه علاقاته ، يهمه ابتسامته ، يهمه دماثة أخلاقه، سمعته ، لكن أين تظهر أخلاق الإنسان حقيقة؟ في بيته ، لا يوجد عليه رقيب ، ولا من يحاسبه ، لذلك الحديث الذي يذهل :

((خيرُكُم خيرُكُم لأَهْلِهِ ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

أنا أرى أن أخلاق الرجل الحقيقية في البيت ، بالعمل هناك شيء اسمه بالتعبير المعاصر رجل أعمال ، مصلحته تقتضي أن يبتسم ، وأن يسامح ، وأن يتجاوز ، وأن يرحب ، وأن يحترم ، كلها مصالحه ، لكن في البيت لا يوجد مصالح ، فأخلاقه الحقيقية تظهر في البيت، هذا الحديث من أدق الأحاديث :

((خيرُكُم خيرُكُم لأهْلِهِ ، وأنا خيرُكُم لأهْلِي))

[الترمذي عن عائشة أم المؤمنين]

الأستاذ بلال :

النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل بيته كان بساماً ضحاكاً .

من طبق توجيهات النبي في زواجه شعر بسعادة لا توصف :

الدكتور راتب :

والله هناك حديث دقيق جداً :

((أكرموا النساء فوالله ما أكرمهن إلا كريم ، ولا أهانهن إلا لئيم ، يغلبن كل كريم، ويغلبهن لئيم.....))

[ابن عساكر عن علي]

وهناك زيادة في بعض الروايات :

((.... وأنا أحب أن أكون كريماً مغلوباً ، من أن أكون لئيماً غالباً))

هذا من توجيهات النبي الكريم ، وهو المثل الأعلى في حياتنا ، هو القدوة المثلى ، فإذا طبقنا تعليماته ، نطبق تعليمات الصانع لأن الحقيقة توجيهات النبي مستقاة من توجيهات الله عز وجل :

﴿ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[سورة الحشر: 7]

أنا أقول لأخوتي المشاهدين : أي زوجين على سطح الأرض إذا طبقا توجيهات القرآن الكريم وتوجيهات النبي الكريم في الشأن الزوجي يتمتع بسعادة زوجية لا ترقى إليها سعادة، لأنه هو يطبق تعليمات الصانع ، والجهة الصانعة هي الجهة الوحيدة التي ينبغي أن تتبع تعليماتها ، مثلاً يمكن أن يمضي الزوج سهرة بأكملها في االكلام عن أم زوجته والسخرية منها ، في اليوم التالي تكلمت كلمة عن أمه فأقام عليها النكير ، غير موضوعي ، هذا الإنسان عنصري ، قاس الأمور بمقياسين ، عندما تحدث عن أمها أخذ حريته في الحديث عن أمها ، فلما تكلمت عن أمه كلمة أقام عليها الدنيا ، هذا إنسان عنصري ، وأنا أقول بالمقابل : وحق النقض في مجلس الأمن حق عنصري ، إحدى الدول تقول : لا ، التغى الأمر كله . فالعنصرية بالزواج هكذا ؛ هو يقيس بمقياسين أمه مقدسة لا يمكن لأحد أن ينتقدها ؛ وأمها له أن يقول عنها ما يشاء .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل بعض الأزواج يأنفون أن يساعدوا أهلهم في البيت ، و النبي صلى الله عليه وسلم كان في مهنة أهله .

بطولة الإنسان أن يحسن إدارة بيته :

الدكتور راتب :

سيد الخلق ، وحبيب الحق ، وسيد ولد آدم ، هذا النبي الكريم في قمم الكمال ، كان في مهنة أهله ، أنا أقول هذه الكلمة للأخوة المشاهدين : أنت لا تعلم أيها الأخ المشاهد مقدار الود الذي ينشأ بينك وبينها حينما تساعدها في بعض الأعمال ، ترى أنك تنازلت لها ، لا تنسى هذا الموقف وقد تحدث أهلها ، رأت محبته ، رأت تواضعه ، رأت خدمته ، البطولة أن تحسن إدارة البيت ، الآن يوجد مصطلح في إدارة الأعمال هو إدارة الذات ، إدارة الأسرة ، أنا أقول: الزوج الناجح يحسن إدارة أسرته بالموقف المعتدل غير العنيف .



العنف لا يلد إلا العنف، أنا أذكر مرة دخل رجل إلى بستان أنصاري ، وأكل من دون إذنه، فساقَه إلى النبي على أنه سارق، أجاب النبي صلى الله عليه وسلم إجابة مذهلة فقال له : هلا علمتَه إن كان جاهلاً ، وهلا أطعمتَه إن كان جائعاً .

قبل أن تحاسب ينبغي أن تبين ، قبل أن تعاقب ينبغي أن تبين ، فلذلك الزوج الصالح أنا هكذا أرى لأمد طويل يبين لزوجته ما الذي يزعجه ، يعجبه ، الآن لو أخطأت يحاسبها حساباً لطيفاً ، يقول لها : أنا ذكرتك بالمعتدل ، مرة ثانية تكون النبرة أشدّ بقليل ، الثالثة قد يكون هناك شدة بالغة ، أما من دون تعليم ، من دون تبليغ ، من دون بيان ، محاسبة على الزواج هذا سلوك مزاجي لا قيمة له إطلاقاً في الحياة الزوجية .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، سعدنا بالتواصل معكم ويسعدنا التواصل معكم أيضاً بعد فاصل قصير ..

عدنا إليكم من جديد في هذا الحوار مع أستاذنا الفاضل الدكتور محمد راتب النابلسي ، ونحن في الحق الثاني من حقوق الزوجة وهو حق المعاملة بالحسنى ، وحسن المعاشرة ، أستاذنا الفاضل أريد أن أختم هذا الحق بالحديث عن بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعاملته لزوجاته الطاهرات ؟

سنة النبي أبلغ في التعبير عن مواقفه من أقواله :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحقيقة الدقيقة أن سنة النبي صلى الله عليه وسلم هي أقواله :

﴿ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾

[سورة الحشر : 7]

وهي أفعاله ، قال تعالى :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

[سورة الأحزاب: 21]

وإقراره سكوته عن شيء رآه معنى ذلك أنه أقره ، فالسنة بالحقيقة هي أقواله وأفعاله وإقراره ، وقد أضاف بعضهم صفاته ، هذه السنة ، فلذلك النبي صلى الله عليه وسلم له أفعال مع زوجته تؤكد ما أكده لنا في العلاقة بين الزوجين ، مثلاً :

((أن عائشة قالت : لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه و سلم يوماً على باب حجرتي والحبشة يلعبون في المسجد بحرابهم ورسول الله صلى الله عليه و سلم يسترني بردائه أنظر إلى لعبهم))

[متفق عليه عن ابن شهاب]

وفي نص آخر :

((إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبى ، قالت : فقلت : من أين تعرف ذلك ؟ فقال : أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين : لا ورب محمد ، وإذا كنت غضبى قلت : لا ورب إبراهيم . قالت : قلت : أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك))

[متفق عليه عن عائشة]



هذه علاقته بزوجته ، لذلك هناك شيء بالسيرة رائع جداً ، لأن السيرة حقيقة مع البرهان عليها، شيء وقع ، أما النصوص شيء والسيرة شيء آخر .

أنا أقول السيرة أبلغ في التعبير عن مواقف النبي صلى الله عليه وسلم من أقواله ، المواقف قد تؤول يمنة ويسرة ، أما السيرة فحدية لا تأويل فيها .

الأستاذ بلال :

السيدة عائشة روت للنبي حديثاً طويلاً عن أبي زرع و أم زرع كيف طمأنها ؟

الدكتور راتب :

قال لها : أنا كأبي زرع لأم زرع غير أني لا أطلقك .

وأنا والله أعتب على كل أخ يمزح مع زوجته بموضوع الطلاق ، هذا المزاح له آثار سيئة جداً يهز كيانها ، في الطلاق لا يوجد مزاح ، فإما أن تصبر عليها ، وإما أن تدعها وشأنها بحسب منهج الله عز وجل ، أما أن تستخدم موضوع الطلاق من حين لآخر بشكل غير جاد لا هزل في الطلاق ، أنا أتمنى على الأخوة المشاهدين أن ينتبهوا لهذا الموضوع ، الطلاق يهز كيان الزوجة ، أنت إن أردت أن تطمئنها هذا شيء طيب جداً .

أعرف رجلاً يهدد زوجته بالطلاق طول حياته ، قلت له : طلقها أو اسكت ، هذا التهديد يخلق مشكلة بينكما، أنا أتمنى على الأخوة المشاهدين ألا يكون موضوع الطلاق داخلاً بمزاح إطلاقاً ولا بكلام عابث .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً أستاذنا الكريم ، وبارك بكم ، وأحسن إليكم ، كما تفضلتم بهذه القيم العالية في التعامل بين الزوجين ، وأنتم أخوتي الكرام أخواتي الكريمات لم يبق لي في نهاية هذا اللقاء الطيب إلا أن أشكر لكم حسن متابعتكم ، وطيب استماعكم ، سائلاً المولى جلّ جلاله أن ألتقيكم في أحسن حال مع الله ومع خلقه ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الدرس (5-5) : كتم أسرارها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

السلام عليكم ؛ هل يحق للرجل أن يهجر زوجته أو أن يزهد بها ؟ أم هل يحق للرجل أن يغار على زوجته ؟ ما حدود هذه الغيرة ؟ وما هو المحمود منها وما هو المذموم ؟ ثم ما حكم الإسلام في إفشاء الأسرار الزوجية؟ هل يحق للرجل أن يكلف زوجته فوق طاقتها ؟ تابعوا هذه الباقة من حقوق الزوجة على زوجها من خلال هذا اللقاء مع الدرر الشرعية .

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أخوتي الأكارم أخواتي الكريمات ؛ أينما كنتم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ونحن في مستهل حلقة جديدة من برنامجكم درر ، ومازلنا في القيم التي يضعها الإسلام للتعامل بين الزوجين ، ونحن في حقوق الزوجة على زوجها ، واليوم ننتقل بعون الله تعالى إلى الحق الثالث بعد أن بينّا الحق الأول وهو حق النفقة ، والثاني حق المعاشرة بالمعروف ، وننتقل إلى الحق الثالث وقبل ذلك يسعدنا أن أرحب بضيفنا الدائم فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله أستاذنا الكريم ، واسمحوا لي أن نبدأ بالحق الثالث من حق الزوجة على زوجها أن يحسن توجيهها ، وأن يرعى دينها ، الله تعالى يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

[سورة التحريم : 6]

كيف للرجل أن يرعى دين زوجته ؟

من حق الزوجة على زوجها أن يحسن توجيهها وأن يرعى دينها :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألوِيَتِه ، وارضَ عنّا وعنهم يا ربّ العالمين .



أخي الكريم الإنسان أحياناً تكون عنده زوجة صالحة ، تخدمه ، تطبخ له ، تغسل ثيابه ، ترعى شؤونه ، وقد لا ينتبه إلى مستوى دينها ، مصلحته محققة كما ينبغي ، هي سدت الفراغ الذي يطمح إليه في الدنيا ، لكن يا ترى هل سأل الزوج نفسه كيف هو المستوى الذي هي عليه زوجتي من حيث الدين ؟ هل تعرف الله معرفة تحملها على طاعته ؟ هل هي ورعة ؟ كيف تتعامل مع ربها ؟ فالذي يؤثر من زوجته مصلحته أنا أرى أنه قصر في حقها ، وكأنها تحاسبه يوم القيامة .

أذكر نصاً ، إنسان يقول يوم القيامة : يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي ، لأنه أساء إلي ، فهذه الزوجة التي غفلت عن الله ، وحققت حق زوجها بالتمام والكمال ، هو مرتاح معها لكن لا ينتبه لدينها ، كيف صلاتها ؟ كيف صيامها ؟ كيف طاعتها لربها ؟ كيف ورعها ؟ كيف خضوعها لمنهج الله ؟ كيف محبتها لله؟ هذه شريكة حياتك ، فكما أنت حققت هدفك المادي في العلاقة معها ينبغي أن تحقق لها الهدف الآخر ، إذاً حينما يهتم الزوج بإيمان زوجته ، بصلاة زوجته ، بطاعة زوجته لله ، بإقبال زوجته على الله ، هذا الاهتمام فيه وفاء ، وهذا أنا أراه أعلى درجة في الوفاء ، كما أنك ترتاح حينما تطيع الله عز وجل ينبغي أن تنقل إليها هذه الراحة بطاعة الله عز وجل .



إذاً أنا أقول : لا بد من لقاء حواري من حين إلى آخر مع الزوجة ، يمتحن إيمانها، يرى بأي مستوى هي مع الله ، يرى بأي مستوى هي بمحبتها لله ، أنا أقول : لا بد من حوار في البيت ، هذا الذي يأتي إلى البيت بساعة متأخرة ، ويغادر قبل استيقاظ الأولاد ، هذا فقد أهليته للزواج ، فأنا أقول : الحوار أحياناً يكون على الطعام ، بموضوع يطرح ، هناك من يقول : لا بد إلى أن تنصت إلى زوجتك ثلاثين دقيقة في اليوم ، تفهم فهمها للدين ، فهمها للدار الآخرة ، فهمها لحقيقة الحياة الدنيا ، فهمها لطاعة الله ، أنا لا أتمنى على الزوج المؤمن أن يكتفي من زوجته بتحقيق واجباتها الزوجية ، بل أتمنى على الأخ الكريم المشاهد أن يرعى مصلحتها الأخروية ، لذلك الآية تقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾

[سورة التحريم : 6]

مثلاً خرجت إلى الشرفة بثياب لا تليق بإيمانها ، غير منضبطة الثياب ، فأنت ينبغي أن تنتبه إلى هذه الناحية ، رأيتها لم تصلِّ العصر مثلاً ، رأيتها لا تقرأ القرآن كل يوم ، أنت حينما تضع لنفسك منهجاً في العلاقة مع الله ، أتمنى على كل زوج مؤمن أن يعاين هذا المنهج من حيث تطبيق زوجته له ، هذا مما يكمل العلاقة الزوجية .

أكبر عطاء للزوجة أن تصلها بالله :



الحقيقة أكبر عطاء للزوجة أن تصلها بالله ، للذاك :

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾

[سورة الشعراء:88-89]

ومن أدق ما قرأت عن القلب السليم هو القلب الذي لا يشتهي شهوة لا ترضي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يصدق خبراً يتناقض

مع وحي الله ، والقلب السليم هو القلب الذي لا يعبد غير الله ، يا ترى هذه الزوجة هل قلبها سليم ؟ هل لها أفكار تتناقض مع الشرع ؟ هل لها طموحات لا ترضي الله عز وجل ؟ أنت المصلحة تحققت ، الحاجات مؤمنة ، هي تروق لك منظراً ومعاملة وخدمة ، لكن هل يروق لك دينها ؟ إيمانها ؟ طاعتها لله ؟ إقبالها على الله ؟ أنا أرى أعلى درجة في الوفاء الزوجي أن تنهض بها إلى الله ، وأن تحملها على طاعة الله ، والحقيقة إن ذكرنا الزوجة بآلاء الله لتعظم الله ، إن ذكرنا الزوجة ببلاء الله كي تخشى الله ، وإن ذكرنا الزوجة بنعم الله كي تحب الله ، فلا بد من أن نحب الله ، وأن نخشاه ، وأن نعظم أمره .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل وكأني بكم توجهون الأزواج أيضاً في هذا الكلام الطيب إلى أن يكون هو أولاً في مرتبة علمية وسلوكية تحمله على أن يكون عند واجبه في رعاية دين زوجته .

ضرورة تمتع الزوج بمرتبة علميّة و سلوكيّة لينصح زوجته و يرعى دينها :

الدكتور راتب :

هذا الكلام له تعبير دقيق ، فاقد الشيء لا يعطيه ، أنا كيف أوجه زوجتي وأنا لم أتأكد من عقيدتي ؟ كيف أوجه زوجتي وأنا لست منضبطاً في طاعتي لله ؟ فأنا أقول : لمجرد أن نعقد عقد القران أنت مسؤول عن أخلاق زوجتك ، وعن دينها ، وعن علاقتها بربها ، الزواج مسؤولية كبيرة ، والإنسان إذا أراد أن يعيش كعامة الناس القضية انتهت ، أما إذا أراد أن يكون مؤمناً ، أن يرقى عند الله في أعلى عليين ، هذه المرأة التي هي شريكة حياته ينبغي أن ينصحها بمعرفة الله عز وجل .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الفاضل والنبي عليه الصلاة والسلام يرسم صورة رائعة للعلاقة الزوجية في طاعة الله ، يقول :

((رحِمَ اللهُ رجلاً قامَ من الليلِ فصلَّى ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ ، فَإِن أَبَتْ نَضَحَ في وَجْهِهَا الماءَ ، رَحِمَ اللهُ امرأة قَامَتْ من الليل فصلتْ وأَيقظتْ زوجَها ، فإنْ أَبَى نضحتْ في وجهه الماءَ))

[أبو داود واللفظ له والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة]

وهذا يدل على التكامل في طاعة الله عز وجل .

التكامل بين الزوج و الزوجة في طاعة الله :

الدكتور راتب :

والله أنا أتمنى أن أوضح هذه الفكرة .



حينما تذكرك الزوجة بالصلاة ينبغي أن تشكرها ، وأن تشجعها على أن تعيد الكرة ، وحينما يذكر الزوج زوجته بالصلاة لعله فاتك هذا الفرض ، فهي بالحقيقة ينبغي أن تحترمه كثيراً ، لأنه حينما تكون الأمور المادية محققة بقي الأمور الأخرى ، الإنسان أمامه حياة أبدية، حينما يأتي الزوج مذكراً والزوجة مذكرة ، هناك نوع من التواصي بالمعروف ، فعل مشاركة .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أخوتي الأكارم سعدنا بالتواصل معكم ويسعدنا أن تبقوا معنا بعد فاصل قصير ... السلام عليكم ورحمة الله وبركاته عدنا لمتابعة الحديث عن حقوق الزوجة مع فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي .

أستاذنا الكريم انتهينا من حقوق ثلاثة ، وننتقل إلى الحق الرابع وهو حق قد يستغربه البعض ويظنه أن الزينة خاصة بالمرأة ، يقول الفقهاء : من حق الزوجة على زوجها أن يتزين لها كما تتزين له ، وهذا قول سيدنا عمر رضي الله عنه وأرضاه : " إنهن يحببن منكم ما تحبون منهن فتزينوا لهن " . هل للرجل أن يتزين لزوجته في بيته ؟

من حق الزوجة على الزوج أن يتزين لها في البيت :

الدكتور راتب :

والله هذا من السنة ، لماذا يتمنى أن تكون بوضع مقبول ، وضع أنيق ؟ هذه حاجة عند الزوج ، لماذا أنت تشعر بهذه الحاجة أيها الزوج وتنسى أن زوجتك إنسان تحب ما تحب وتكره ما تكره ؟ فلذلك البطولة كما أنه يتمنى من زوجته أن تتزين له لتكون هذه الزينة أغض لبصره عن غيرها ، كذلك هو ينبغي أن يكون بمظهر

مقبول أو أنيق كي تسعد به ، ولا تفكر في غيره ، أحياناً هناك خيانة نفسية هي لا تفعل شيئاً ، ولكنها تتمنى أن يكون زوجها كهذا القريب مثلاً لطيف في المعاملة ، فأنا أقول دائماً : المظهر الحسن شيء ضروري .

((أصلحوا رحالكم ، وحسنوا لباسكم ، حتى تكونوا كأنكم شامة بين الناس))

[أحمد عن سهل بن الحنظلية]



الحقيقة أن الدين مرتبط بأشياء كثيرة ، أنا أقول دائماً : الدين مثل مثلث يقسم لأربعة أقسام ؛ قسم عقائد وهي الأصل ، قسم عبادات ، قسم معاملات ، قسم أذواق ، فكما أن الزوج يتمنى أن يرى امرأته بأجمل حال بثيابها ، وعنايتها بوزنها ورشاقتها ، وتجملها ، هي إنسان أيضاً تتمنى أن يكون زوجها موضع بصرها ، موضع تقديرها ، موضع إعجابها ، فالحقيقة البطولة ألا تستأثر بالحقوق وحدك ، كما أن لك حقاً عليها هي لها حق عليك ، هذا شيء طبيعي .

الأستاذ بلال :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

[سورة البقرة : 228]

الدكتور راتب :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾

[سورة البقرة : 228]

ما تعرفه الفطر السليمة ، ما عرفه الإنسان أصلاً .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل أريد أن أنتقل إلى الحق الخامس يسميه الفقهاء حق الغيرة ، حقيقة بعض النساء يردن من أزواجهن أن يغار عليهن ، والبعض يتململن من شدة غيرة الزوجة ، هناك غيرة مرضية وهناك غيرة محمودة ، والنبي صلى الله عليه وسلم أثنى على غيرة سعد :

((أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي))

[البخاري عن المغيرة]

فهل يغار الزوج على زوجته وإلى أي مستوى ؟

حقّ الغيرة :

الدكتور راتب :

بادئ ذي بدء ؛ الفضيلة وسط بين طرفين ، لو أخذنا القوة هي وسط بين التهور والجبن ، هناك إسراف وهناك بخل الفضيلة دائماً وسط بين طرفين ، وهذه حقيقة دقيقة ، أساساً أحد علماء النفس في بعض البلاد اكتشف منعكس غوس .



تسعون بالمئة من البشر بمستوى متوسط ، خمسة تفوق وخمسة تخلف ، الإنسان حينما يكون في كل علاقاته وسطاً ، معنى هذا أنه يتحرك وفق منهج صحيح ، الغيرة بلا سبب ، بلا مؤشر ، بلا خطأ مرتكب من قبل الزوجة لا معنى لها ، غيرة فيها ظلم للزوجة ، أما إذا كان هناك سبب فيجب أن يتابع الأمر ، هي تتكلم بالهاتف فلما دخل أغلقت الهاتف معنى هذا أن هناك مشكلة ، أما بلا مؤشر لا ينبغي أن يكون هناك غيرة مرضية ، والغيرة درسنا بعلم النفس ، كل إنسان معه جميع الأمراض النفسية بحد معتدل ، فإذا زادت عن حدها المعتدل أصبحت مرضاً نفسياً ، وإذا قلّت عن حدها الأدنى أصبحت لامبالاة ، فأنا أقول : الغيرة ضرورية ينبغي أن تغار عليها وأن تغار عليك ، لكن مثلاً لها زوج مؤمن ، طاهر ، يطلب العلم ، له مرجع ديني ، كنت مع منْ منَ النساء اليوم ! ما هذا الكلام ؟ هذا كلام غير معقول ، لا يوجد مؤشر ولا سبب أن تسأل سؤالاً ينم عن عدم معرفتها بزوجها .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل أريد أن أنتقل إلى حق آخر وهو عدم إفشاء الأسرار الزوجية ، النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

((إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا))

[مسلم عن سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ]

في أخلاق الإسلام ينبغي أن يكون الستر بين الزوجين ، كيف نفهم هذا ؟

عدم إفشاء الأسرار الزوجية :

الدكتور راتب :



الحقيقة أحياناً أستخدم كلمة مروءة ، وكلمة مروءة دقيقة جداً ، كل الخصال الحميدة ضغطت في كلمة مروءة ، وهناك كلمات أخرى مضغوطة فيها اللؤم ، البخيل لئيم ، والذي يكذب لئيم ، فلذلك أنا حينما أنتظر من زوجتي كل شيء وأنا لا أقدم لها شيئاً ، هذا فيه ظلم شديد ، كما أنني أغار عليها تغار عليّ ، فالغيرة الطبيعية مقبولة وضرورية ، أما الغيرة من دون سبب غيرة مرضية ينبغي أن يبتعد عنها الزوج والزوجة معاً .

الأستاذ بلال :

إذاً الذي يهتك الستر الذي بين الزوجين هذا من شرّ الناس منزلة .

الدكتور راتب :

من قلة المروءة ، أن تفضح نفسك وكأن الناس يرونك ، هناك شيء اسمه حياء ، الحياء من الإيمان ، الإنسان حينما لا يستحي من الله عز وجل فقد جانباً كبيراً من الإيمان ، العلاقة الزوجية سرّ ، قال تعالى :

﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

[سورة النساء: 21]

العلاقة الزوجية سرّ ومقدسة ، فإذا ذكر الإنسان لأصدقائه علاقته الحميمة بزوجته فهذا من قلة المروءة والله، وإذا ذكرت المرأة لصديقاتها ما بين الزوجين من علاقات زوجية فقد هتكت السر بينهما ، هذا أيضاً مما تفضلت به .

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل أريد أن أنهي بالحق الأخير من حق الزوجة على زوجها مما يسره الله لنا وهو قالوا : ألا يكلفها ما لا تطيق ، أن يكون التكليف ضمن المستطاع ، كيف يكون تكليف الزوج لزوجته ضمن طاقتها ؟

من حق الزوجة على الزوج ألا يكلفها ما لا تطيق :

الدكتور راتب :

إعطاء الأوامر سهل والمحاسبة أسهل ، لكن يا ترى الأوامر معقولة ؟ كلفتها بكذا وكذا فوق طاقتها ، فإذا أردت أن تطاع فائمر بالمستطاع ، أحياناً تكلفها بخدمة والدتك ، تكلفها بتفقد الموضوع الفلاني والفلاني والفلاني ، وأن تعد الطعام ، وأن تنظف الأولاد ، فوق طاقتها ، فإذا أردت أن تطاع فائمر بالمستطاع ، أنا أقول دائماً : الزوج الحكيم يغض بصره عن أشياء كثيرة ، يتجاوز تسعة أشياء ويحاسب عن واحدة ، أما المحاسبة الشديدة فتسبب الكراهية ، والذي ينتقد دائماً طبعاً أنا عندي قاعدة أساسية تقول : ما من أحد أكبر من أن ينقد ، وما من أحد أصغر من أن ينقد ، أحياناً ابن صغير ينتقد ، فإذا أنا سمحت لها أن تنتقد وهذه تسمى الآن روحاً رياضية ، روحاً موضوعية ، فإذا سمحت لها أن تنتقد فأنا أنتبه إلى بعض أخطائي التي تغيب عني ، وإذا سمحت لي أن أنتقدها أيضاً تتجنب هذه الأخطاء ، فدائماً أقول : حينما ننسى أن ننتقد النقد الموضوعي البناء قد تتفاقم الأمور ويكون الطلاق ، أما لو فرضنا هي آلامها منه هذه الكلمة ، ذكرت له ذلك ، وآلامه منها هذه الكلمة فذكر لها ذلك ، لذلك لا معصية من دون تكليف ، من دون تبيان ، والبيان يطرد الشيطان .

خاتمة و توديع :

الأستاذ بلال :

جزاك الله خيراً ، أستاذنا الفاضل وأحسن إليكم .

أخوتي الكرام ها قد انتهينا بفضل الله من حقوق الزوجة على زوجها ، لننتقل في اللقاء القادم إن شاء الله إلى حقوق الزوج على زوجته ، ليكون التكامل بين الزوجين ، إلى الملتقى أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين

الفصل السابع : حقوق الآباء

الدرس (1-1) : الحقوق المتبادلة بين الوالدين والأبناء

الدرس (1-1) : الحقوق المتبادلة بين الوالدين والأبناء

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[سورة الإسراء: 23-24]

هكذا صدر الأمر الإلهي من الله سبحانه وتعالى في قرآن يتلى إلى يوم الدين إلى الأبناء، بالإحسان إلى أبويهما، بالإحسان إلى الأب والأم، لماذا؟ لأنهما ربوهم وهم صغار، فكيف يعامل الآباء الأبناء إذا فهمنا أن الآباء قد يعقون أبناءهم؟ كيف يكون هذا العقوق؟ وهل يعق الآباء أبناءهم؟ أم أن الأبناء هم الذين يعقون الآباء والأمهات؟ كيف نترجم هذا العقوق؟ وكيف نحاول إصلاح هذا العقوق من خلال الشرع الرباني؟ وكيف نقوم من سلوكياتنا وشريعتنا نحن والعرف الاجتماعي الذي جبلنا عليه؟ وكيف يتوافق الآباء والأمهات مع تعليم الله سبحانه وتعالى؟ وهل لهذا العقوق من الآباء للأبناء صور من القديم أو من الحديث؟

ما قصة الرجل الذي اشتكى لسيدنا عمر بن الخطاب أن ابنه يعقه، فقال له سيدنا عمر: عققته قبل أن يعقك، كيف عق الرجل ولده؟ وكيف أصدر عمر بن الخطاب هذا المنهج ليجد لنا في الحياة منهجاً من برنامج:" ديناً قيماً"، مشاهدينا الكرام حلقة جديدة في برنامج:" ديناً قيماً " عقوق الآباء.

مشاهدينا الكرام نحييكم بتحية الإسلام، وتحية الإسلام السلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلاً بكم معنا إلى حلقة جديدة في برنامج:" ديناً قيماً " نرحب بحضراتكم، ونرحب بضيفينا الكريمين العالمين الجليلين السبتين العدلين أصحاب المعالي والفضيلة، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عمر عبد الكافي، وفضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، مرحباً شيخنا.

الدكتور عمر :

مرحباً، أهلاً وسهلاً.

الدكتور راتب :

بارك الله بكم، ونفع بكم.

المذيع:

وفيك بارك، فضيلة الإمام قلت في الحلقة المنصرمة عقوق الآباء للأبناء، اتهمت نفسي بالسماع خطأ لكن استمعت الحقيقة ماذا تقصد بهذا المصطلح؟

توضيح مصطلح عقوق الآباء للأبناء :

الدكتور عمر :

حمداً لله وصلاة وسلاماً على رسولك، درج الناس أن يستمع الواحد منا إلى العلماء الأجلاء والدعاة الفضلاء في قضية بر الوالدين، وهذا شيء جميل، ولكن يبدو أطلنا الحوار أو الحديث عن حقوق، وما تحدثنا عن واجبات، والدين حقوق وواجبات، فإذا كان للأب والأم حقوق فإن عليهم واجبات، في هذه الحلقة مع شيخنا الجليل أن نتكامل ونتواصل في قضية هل يعق الأب أولاده؟ وهل تعق الأم أولادها وبناتها؟ هذا منطق مهم جداً.

المذيع:



سؤال مطروح توافق فضيلة الشيخ الدكتور محمد على هذا؟

الدكتور راتب :

أوافق نعم.

المذيع:

ورد في آية في القرآن الكريم: ووصينا الإنسان بولديه، قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة الإسراء: 23]

إلى آخر هذه الآيات والأحاديث، كيف نفهم عقوق الآباء؟

الدكتور راتب :

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

يطعمه، يسقيه، يشتري له الثياب، يضعه في أحسن المدارس، لكن لا يهتم بدينه، ولا بإيمانه، ضيعه، فالبطولة أن تهتم بالإيمان، أي يدخل الأب مساءً هل كتب الأولاد؟

المذيع:

عذراً على المقاطعة، الضياع هنا عدم تعليم تعاليم الدين؟

الدكتور راتب :

طبعاً.

المذيع:

أنا أكلت أفضل الطعام، وسكنت في أفضل البيوت، ولبست أفضل الثياب.

أنواع القراءات و الغاية منها :

الدكتور راتب :

ماذا قال الله عز وجل؟

﴿ اقْرَأْ ﴾

[سورة العلق: 1]

أول كلمة لأول آية في أول سورة اقرأ، ما معنى اقرأ؟

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾

[سورة العلق: 1]

تعلم كي تؤمن.

المذيع:

علمه في الفرير، أفضل المدارس.

الدكتور راتب :

تعلم كي تؤمن، القراءة الأولى قراءة البحث والإيمان، وهناك قراءة الطغيان لا سمح الله، وقراءة الوحي والإذعان، وقراءة الشكر والعرفان، أربع قراءات، قال تعالى:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

[سورة العلق: 1]



قراءة بحث وإيمان، تعلم من أجل أن تؤمن، من أجل ان تعرف علة وجودك، وغاية وجودك، ثم تعلم أيضاً من أجل أن تشكر خالقك على نعم ثلاث، نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الهدى والرشاد، أول قراءة بحث وإيمان، الثانية شكر وعرفان، الثالثة وحي وإذعان، هناك منهج إلهي، خالق السموات له منهج، أما الطرف الآخر فعدوان وطغيان، القنبلة الانشطارية والعنقودية والحارقة الخارقة هذا كله شيء آخر.

المذيع:

شيخنا الدكتور عمر، باع كبير في مسألة التاريخ وتراثه عن رجل عق أبناءه، هل تتحفنا بهذا.

قصص عديدة عن عقوق الأب لأبنائه :

الدكتور عمر :

القصص كثيرة من هذا النوع حتى يقال في الطرائف إن رجلاً كبيراً في السن حتى صار في السبعين تزوج وأنجب، قالوا: عجباً ما الذي أخرك عن الزواج والإنجاب؟ قال: أعاجله باليتم قبل أن يعالجني بالعقوق. الولد يحصل على لقب يتيم أحسن من أن يكون عاقاً.

عمر رضي الله عنه وضع نقطة فوق حرف في التربية عندما جاءه من يشكو أباه، لأن أباه قد تزوج أمة يعير بها أمام أصحابه، ما حفظه القرآن، سماه جعراناً، والجعران هو نوع من الخنافس، الولد يستحي من اسمه، هنا قال عمر: عققت ولدك قبل أن يعقك، المسألة أصبحت معكوسة، هذا أمر، الأمر الثاني الآباء والأمهات نوعان، نوع يعتبر أن عنده كياناً إنسانياً يجب أن ينتج منه إنتاجاً صالحاً، ويترحم الناس عليه،

ويقولون: رحم الله فلاناً، رحم الله فلانة، وتترحم زوجة الابن على والد زوجها، وتترحم زوجة الابن على أم زوجها، بارك الله فيكما، نعم أحسنتما التربية، وفيهم من يدعو، هنا هذا المنتج، هل أضفت بصمة إنسانية تضاف إلى تاريخ البصمات؟ هذا أمر، النوع الثاني يعتبر أن عنده معذرة عاهة، هذه العاهة تضاف إلى العاهات، ويضاف الصفر إلى الأصفار، وسبحان الله العظيم يخرج لنا إنساناً معاقاً سلوكياً، معاقاً سلوكياً، والله ليست الإعاقة في فقد نظر، لا، لا ، سبحان الله هذا ابتلاء، لكن الإعاقة الحقيقية إعاقة تربية، هل يخرجون لنا سبحان الله معلماً أم بنوا مدرسة للتربية؟ كما أنت ذكرت فضيلة الشيخ أنا وضعته بأفضل مدرسة، وعلمته أحسن تعليم، هذا من باب ألف باء من الأول، لكن هو ما ربى، لم يحسن التربية، لماذا؟ لأن نتيجة هذه التربية يثني على الإنسان جيرانه في الحضر، ورفقاؤه في السفر، ومعاملوه في الأسواق، هل أثنى الأساتذة في المدارس على أبنائنا أدباً وعرفاناً؟ هل شعروا سبحان الله لما سلمنا البنت إلى زوجها هل سجد لله شاكراً؟ قال: الحمد لله الذي نشأت في هذا البيت؟ الذي تربت أحسن تربية؟ أحد الصالحين عبد الله بن زيد من التابعين لما تزوج وقفت العروس في أول لحظة على مصطبة عالية في البيت قالت: يا أبا عبد الله أريد ان أخطب فيك خطبة، ليلة العرس، أنا لا أعرفك وأنت لا تعرفني فخبرني بالله عليك ماذا تحب من الأمور حتى آتيه؟ وما تكره حتى أجتنبه؟ المهم بعد عام كاملة يقول أبو عبد الله: رأيت امرأة عجوز في بيتي، قلت: من هذه؟ قالت: أنا أمها – أي حماته– بعد سنة وليس الساعة السابعة في اليوم الثاني، قالت: يا أبا عبد الله هل أحسنا التربية فنسجد لله شاكرين أم أسأنا التربية تعطينا إياها كي نكمل التربية؟ أما أنا فأسلم عاهة إلى عاهة، ماذا تكون النتيجة؟

المذيع:

سيئة بالفعل، فضيلة الشيخ محمد راتب بارك الله بك، حتى نكون في التقارب وكل يعرف ما له وما عليه، ما حقوق الآباء على الأبناء وواجبات الأبناء تجاه الآباء، كيف حددها الشرع الحنيف؟

حقوق الآباء على الأبناء :

الدكتور راتب :

أولاً: هناك مقولة نحتاجها في هذا اللقاء الطيب، لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وراقبه سبعاً، ثم اترك حبله على غاربه، هناك مرحلة لا بد من الملاعبة، لاعب ولدك سبعاً، وأدبه سبعاً، وراقبه سبعاً، مرحلة المراهقة إن عاقبته يوجد مشكلة، إن أهملته يوجد مشكلة، راقبه سبعاً.

الدكتور عمر :

أو صادقه.

الدكتور راتب :

إذا كبر ابنك خاويه، فلاعبه وأدبه وراقبه، الإنسان عندما يسلك هذا الطريق الصحيح يسلم من عقوق الأبناء، هذه كلمة دقيقة جداً، فلذلك قال تعالى:

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾

[سورة الإسراء: 23]



لاعب ولدك سبعاً وأدبه سبعاً وراقبه سبعاً

دقق هل يمكن أن نعطف شراء مزرعة على ملعقة؟ من لوازم العطف التماثل، الله عز وجل رفع بر الوالدين إلى مستوى عبادته، وبالوالدين هذه باء الإلصاق، ممكن أن تقول للسائق: خذ هذه الفاكهة لأبي، الأصل أن تزوره أنت بنفسك الإلصاق، الحقيقة بر الوالدين أحد أكبر العبادات تأتي إلى جانب العبادة لله عز وجل، الله هو الخالق، وكان الأب والأم سبب وجودك.

المذيع:

هذا من حقوق الآباء على الأبناء، واجبات الأبناء تجاه الآباء؟

واجبات الأبناء تجاه الآباء :

الدكتور عمر :

أولاً: الآباء يجب أن يعين أحدهما أو كلاهما أبناءهم على برهم، أي لا ينفع أن أعطي الولد أوامر ونواه أن يبرني وأن يطيعني، من واجب الأب والأم أن يكون عندهم شيء يسمى الذكاء الاجتماعي، الذكاء العاطفي، الرسول صلى الله عليه وسلم أعلى قيمة الذكاء العاطفي في البيئة التي كانت لا تعرف العاطفة، كيف؟ أنا عندما أريد أن آمر ابني أو ابنتي أمراً، الأب والأم يتفقدون ماذا يعني يتفقدون؟ يجعل بينه وبين ابنه وابنته مسافة كي لا يقال له: لا، عند القطع أتوقف وأنظر، وأقرأ الوجه، هذا ذكاء الأب والأم، لماذا؟ أعين ابني كي يقول لي: نعم، لم يستطع أن يقول لي: نعم، أسكت، أنا هنا أتنازل عن جزء من حقوقي، هذا في الفقه الإسلامي الذي هو يدور حول ماذا؟ حول الاعتساف في طلب الحق، أنت من أجل أنك أب تأمر وتنهى في كل وقت، لا ينفع، من أجل أنك أب تملي إرادتك، الولد لا يحب عمه، يأتينا بعض الناس يقول: أنا لا أحب زوجة ابني، أحب طلاقها، لماذا يا عم؟ يقول: أنا لا أحبها، عدم حبك لها لا يبيح لك أن تطلب من ابنك تطليقها، يقول: أبو بكر أمر ابنه أن يطلق، عندما تصل إلى درجة أبي بكر سوف نطلق زوجة ابنك، أنت وصلت إلى أبي بكر قائد السيارة وليس إلى أبي بكر الصديق، فالقضية حق الابن على أبيه سبحان الله أنا أرى والله أعلم هل يتجرأ أحد المشاهدين والمشاهدات الآن ويقول: ابني عمره أربع سنوات أو خمس سنوات سوف أفرغه أو سأفرغ ابنتي لحفظ القرآن قبل أن تدخل الدراسة، والله سوف يتفوق هذا الولد أو هذه البنت على أقرانهما إذا التحق بالدراسة ولو تأخر عنهما سبحان الله كمثال.

المذيع:

الوقت معكم يمر سريعاً، أصحاب الفضيلة فضيلة الدكتور محمد راتب بارك الله بك، في القرآن الكريم:

﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾

[سورة الإسراء: 23-24]

الربط بين التربية في الصغر وبين عدم أن نقول لهما أف كيف نفهم هذه العلاقة؟

الربط بين التربية في الصغر وبين عدم أن نقول لهما أف :

الدكتور راتب :

بل لو أن في اللغة كلمة أقل من أف لذكرها الله، لذلك العلماء حملوا على كلمة أف ما برّ أباه من شدّ نظره إليه.

الدكتور عمر :

أي ينظر إليه شذراً.

للابن حق على أبيه أن يحسن اختيار أمه :

الدكتور راتب :

يحمل على هذه الكلمة مئات الحالات، هذا من بر الوالدين، لذلك أقول كلمة دقيقة: للأبناء حق على الآباء، هذا الحق قبل أن يولدوا أن يحسن الأب اختيار أمهم.

الدكتور عمر :



والعكس كذلك الأم.

الدكتور راتب :

أن يحسن الأب اختيار أمهم، فإذا لم يحسن اختيار الأم.

المذيع:

تخيروا لنطفكم.

الطبع و التكليف :

الدكتور راتب :

النقطة الدقيقة عندنا طبع وتكليف، محبة الآباء للأبناء طبع، لا يوجد آية تلزم الأب أن يطعم أولاده .



لكن هناك آيات كثيرة في بر الوالدين، يوجد فرق بين الطبع والتكليف، لا يوجد أمر لأي جهة حكومية أن تلزم المواطنين بتناول طعام الإفطار، هذا طبع، لكن هناك أشياء كثيرة فيها إلزام.

المذيع:

هذا طبع وهذا تكليف.

الدكتور راتب :

لذلك الطبع:

((يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ))

[أحمد عن أبي أمامة]

المذيع:

لكن التكليف قدر من الله للأبناء بالإحسان إلى الآباء هذا تكليف.

الدكتور راتب :

إحسان الأب للابن طبع، وإحسان الابن للأب تكليف، الإنسان عندما يتزوج هواه مع زوجته، وأمه عبء عليه، يوجد أمر أن يعتني بأمه، هذا تكليف، أما الأم فعنايتها بابنها طبع، ادخل إلى مستشفى المحجبة تبكي لأجل ابنها، السافرة كذلك، وأي امرأة، هذا شيء أودع في نفوسنا، أكاد أقول: الأجر ما كان طبعاً أقل مما كان تكليفاً.

المذيع:

في عجالة هل عقّ جريج أمه حتى يصيبه ما أصابه؟

ضرورة الإنصات للأبناء و الاهتمام بهم :

الدكتور عمر :

جريج فهم نصاً معيناً وتوقف عنده، انظر مازلت أؤكد نعين أبناءنا على برنا، قال تعالى:

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

[سورة يوسف: 4]



لو قالت الآية: إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر لي ساجدين، لكانت الجملة صحيحة، الرؤيا مكررة مرتين، إني رأيت، رأيتهم، من شدة إنصات يعقوب لولده واهتمامه به، نحن نستمع لأبنائنا لا ننصت لأبنائنا، هو أنصت، فلما أنصت سأل عن كيفية الرؤيا، قال تعالى:

﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾

[سورة يوسف: 4]

كأنما يعقوب من شدة إنصاته يسأل كيف رأيتهم يا يوسف؟

﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾

[سورة يوسف: 4]

هذا تناغم هرموني ما بين الأب وابنه، هذا الأب عندما يقول لولده كذا سوف يطيعه، لأنه عمل أرضية، نحن نجيد الاستماع لأبنائنا ولكن لا نجيد الإنصات، وهناك طرفة سريعة، يا أبت ما اسم الحفرة التي أمام بيتنا؟ قال: أشاهد مباراة كرة قدم اذهبي واسألي أخاك، ذهبت لأخيها وهو جالس على الكومبيوتر، ما اسم الحفر؟ قال: اسألي أختك، ذهبت للأخت اسألي أمك، قالت: أنا أطبخ، ذهبت لأختها الصغيرة، الحفرة اسمها بئر، قالت: أخي الصغير حبا ووقع في البئر. والكل مشغول.

خاتمة و توديع :

المذيع:

شكراً لكما على هذا اللقاء، مشاهدينا الأكارم في الحب عشنا اللقاء، وبالخير والأمل يمضي بنا موكب الزمان، وحتى لقاء جديد أشكركم، و نشكر ضيفينا الكريمين العالمين الجليلين السبتين العدلين أصحاب المعالي والفضيلة، فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور عمر عبد الكافي شكراً لفضيلتك، وصاحب المعالي و الفضيلة فضيلة الأستاذ الدكتور محمد راتب النابلسي، شكراً لكم و السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

الخاتمة : التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

المذيع :

أيها الأخوة المؤمنون؛ الأسرة المسلمة في كل التحديات الوافدة و ما أكثرها في كتاب الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾

[سورة التحريم:6]

فيه أيضاً:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾

[سورة طه:132]

و فيه أيضاً:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الحجر:92-93]

و فيه أيضاً:

﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾

[سورة الصافات:24]

في الروضة النبوية الندية قول النبي صلى الله عليه وسلم:

((الرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا))

[متفق عليه عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُمَا]

علموا أولادكم و أهليكم الخير و أدبوهم.

((أدبوا أولادكم على ثلاث خصال؛ على حب نبيكم، وعلى حب آل بيته، وتلاوة القرآن))

[أخرجه الطبراني عن علي]

ما هذه الآثار إلا غيض من فيض، و ما هذه الآثار إلا بشارات عابرات عن ذلك الذي يدعونا إليه الإسلام، أن نلتفت إلى أسرنا، إلى أبنائنا، إلى نسائنا، و زوجاتنا، حتى نحفظ هذا الحصن الذي أراده الإسلام حصناً منيعاً، و أراده الإسلام لبنة متينة في مدماك الحياة.

أيها الأخوة المؤمنون؛ أسرنا، عائلاتنا رأسمالنا، أسرنا عائلاتنا و أبناؤنا كل ما نملك و إذا فقدنا هذا الحصن المنيع فقدنا كل شيء، هذه الأسرة المسلمة تتعرض في هذه الأيام القاسيات العجاف لمؤامرات عنيفة و تحديات عديدة، كيف نواجهها؟ ما هي الوسائل التي علينا أن نتبعها حتى نحصن أنفسنا و نكون سادة الدنيا و نحفظ الأسرة لتكون فتية حية في خضم الحياة؟ هذا ما سيحدثنا عنه أستاذنا الفاضل المربي الدكتور محمد راتب النابلسي فليتفضل مشكوراً؟

أكبر مصادر سعادة الإنسان في الدنيا أن يكون أولاده قرة عين له :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

أيها الأخوة الأحباب؛ بادئ ذي بدء أشكر لكم هذه الدعوة الكريمة، و أشكر لكم هذا الترحيب و الإكرام، أرجو الله سبحانه و تعالى أن نكون في ظل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾

[سورة الحجرات:10]

و الحقيقة أنه ما لم يكن انتماؤنا إلى مجموع المؤمنين فهناك خلل خطير في حياتنا:

((عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ قَال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ....... سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ))

[الترمذي عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ]



والمتحابين فيّ على منابر من نور يغبطهم عليها النبيون يوم القيامة.

أيها الأخوة الكرام؛ موضوع المحاضرة من أخطر موضوعات الحياة الاجتماعية، ذلك أن الإنسان يسعد بسعادة أبنائه، ويشقى بشقائهم، ملمح لطيف في قوله تعالى:

﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾

[سورة طه:117]

بحسب قواعد اللغة فتشقيا، قال علماء التفسير: شقاء الزوج شقاء حكمي لزوجته، وشقاء الزوجة شقاء حكمي لزوجها، وشقاء الأولاد شقاء حكمي لآبائهم، لو تسلمت أعلى منصب في العالم، ولو جمعت أكبر ثروة في العالم، ولو حققت أكبر نجاح في العالم، ولم يكن أولادك كما تتمنى فأنت أشقى الناس، أحد أكبر مصادر سعادة الإنسان في الدنيا أن يكون أولاده وأهله قرة عين له، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً﴾

[سورة الفرقان:74]

عبادة الهوية :

أيها الأخوة الكرام؛ من مفهومات العبادة العميقة عبادة الهوية، من أنت؟ أنت غني العبادة الأولى إنفاق المال، أنت قوي العبادة الأولى إحقاق الحق، أنت عالم العبادة الأولى تعليم العلم، من أنتِ؟ امرأة؟ زوجة؟ أم؟ العبادة الأولى رعاية الزوج والأولاد، وهذه الآية التي تفضل بها الأخ الكريم جزاه الله خيراً قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ*الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ* وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[سورة البقرة :21-24]

الأبوة و الأمومة مسؤولية كبيرة :

الأبوة مسؤولية كبيرة، والأمومة مسؤولية كبيرة، وما من أحد على وجه الأرض يمكن أن ينوب عنك في تربية أولادك، هناك من يساعدك، المدارس تساعدك، الأقارب يساعدونك، لكن ما من جهة على وجه الأرض يمكن أن تنوب عنك في تربية أولادك، وهي مسؤوليتك الأولى عند الله، ولقد ورد في الأثر:

((أن فتاة تقف بين يدي ربها وتقول: يا رب لا أدخل النار حتى أدخل أبي قبلي لأنه كان السبب في شقائي))

أيها الأخوة الكرام؛ لو تساءلنا هذا التساؤل: إنسان في الجاهلية يئد ابنته، إنها جريمة ما بعدها جريمة، إنه عمل لا يوصف، ومع ذلك يئدها قبل سن التبليغ فتدخل الجنة، أما هذا الذي لا يربي بناته ويخرجن كاسيات عاريات مائلات مميلات، يرخي لهن الحبل، لا يوجه بناته توجيهاً صحيحاً، فإنه يفعل بهن أشدّ مما لو أنه وأدهن صغاراً.

أيها الأخوة الكرام؛ المشكلة أنه كما قال الله عز وجل:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

[سورة الروم:41]

إذا كان هناك لتربية الأولاد وحدات قياسية، وكان الأب يحتاج إلى خمسين وحدة في اليوم قبل خمسين عاماً، الآن يحتاج إلى ألف وحدة في اليوم من أجل تربية أولاده، وسيكون موضوع المحاضرة إن شاء الله حول هذا المحور.

ضرورة العناية بالأولاد لأنهم الورقة الرابحة الوحيدة بين أيدينا :

أيها الأخوة الكرام؛ كان الفساد فيما مضى في بؤر محدودة، في كل مدينة دار سينما، أو ملهى، والفساد في هذين الدارين، في بؤر محدودة جداً، شأن الوضع سابقاً كشأن حديقة الحيوان التقليدية، الوحوش في أقفاصها والزوار طلقاء، لكن الفساد اليوم له وضع آخر، الفساد طليق شأنه اليوم كشأن حديقة حيوان في إفريقيا، الوحوش طلقاء والزوار إن لم يلجؤوا إلى حصن حصين ينالهم افتراس هؤلاء الوحوش، فأي شيء يمكن أن يأخذ ابنك منك، أي شيء، صديق سوء، فيلم ماجن، رواية ماجنة، جلسة ماجنة، فالخطر الآن أضعاف مضاعفة عما كان من قبل .



لذلك تربية الأولاد في الإسلام يكاد يكون اليوم هو الورقة الرابحة الوحيدة بين أيدينا، لم يبقَ إلا أن نربي أولادنا كما يرضى الله عز وجل، وهذه الجهود الجبارة التي يبذلها المسلمون اليوم لتربية الأولاد هي جهود عند الله مشكورة. ورد في الأدب المفرد للإمام البخاري هذا الحديث وله استنباط لطيف، يقول عليه الصلاة والسلام:

((أول من يمسك بحلق الجنة أنا فإذا امرأة تنازعني تريد أن تدخل الجنة قبلي قلت: من هذه يا جبريل؟ قال: هي امرأة مات زوجها وترك لها أولاداً فأبت الزواج من أجلهم))

كم هو الصغير كريم عند الله؟! فهذه المرأة التي ربته لها عند الله مقام كبير، وهذا الأب قياساً الذي رعاه له عند الله مقام كبير، وهذا المعلم الذي وجهه له عند الله مقام كبير.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾

[سورة الروم:41]

نحن في طوفان من الفساد، فالورقة الرابحة الوحيدة في أيدينا أن نربي أولادنا، وما منا واحد يمكن أن يعتذر عن تربية أولاده بفساد المجتمع، ذلك أن الإنسان ملك في بيته، فإذا دخل إلى بيته من يستطيع أن ينوب عنه في تربية أولاده؟

العناية بتربية الأولاد أخلاقيّاً وإيمانيّاً واجتماعيّاً وجسميّاً :

أيها الأخوة الكرام؛ كلكم يعلم أن في الإنسان دافعاً للطعام، حاجة للطعام، هذا الدافع إلى الطعام يحقق بقاء الفرد، وفي الإنسان أيضاً دافع إلى الجنس وهذا يحقق بقاء النوع، وفي الإنسان دافع ثالث دافع إلى الذكر إلى تأكيد الذات، وهذا يحقق ما يسميه علماء النفس: تأكيد الذات، أبرز ما في تأكيد الذات أن يكون لك ولد ينفع الناس من بعدك، وقد وصف النبي عليه الصلاة والسلام هذا العمل بأنه صدقة جارية:

((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

أنت حينما تربي ولدك تربية صالحة لا تموت حكماً، الموت حق على كل إنسان، ولكن حينما يأتي من بعدك ابن صالح، هذا الابن الصالح هو استمرار لك، أي أحد أكبر مصادر السعادة في الحياة أن يكون لك ابن صالح، وأحد أكبر مصادر الشقاء في الحياة أن يكون الابن عاقاً لوالديه.

لذلك الطفل كائن بشري له عقل، وله قلب، وله جسد، فلابد من العناية بتربية أولادنا التربية الإيمانية، ولابد من أن نربي أبناءنا التربية الأخلاقية، ولابد من أن نربي أولادنا التربية النفسية، ولابد من أن نربي أبناءنا التربية الاجتماعية، ولابد من أن نربي أولادنا التربية العلمية، ولابد من أن نربي أبناءنا التربية الجسمية، ولابد من أن نربيهم التربية الجنسية، تربية أخلاقية وإيمانية وعلمية واجتماعية ونفسية وجسمية وجنسية.

أيها الأخوة الكرام؛ ورد في بعض الأحاديث:

((خير كسب الرجل ولده))

[أحمد بن حنبل]

قد يفهم الحديث على معنىً معين أن أفضل عمل تفعله في الدنيا أن يكون لك ولد صالح ينفع الناس من بعدك.

مشكلات المجتمع المعاصر مجتمع الاستهلاك :



إحدى مشكلات العصر أن المجتمعات أصبحت مستهلكة

أيها الأخوة؛ ولكن أضع يدي على بعض مشكلات المجتمع المعاصر مجتمع الاستهلاك، مرةً أحد رؤساء جمهوريات فرنسا جمع لفيفاً من كبار علماء الاجتماع وطلب منهم أن يقبعوا في مكان ليدرسوا واقع المجتمع الفرنسي، لماذا العنف في هذا المجتمع؟ فكان من إجاباتهم الرائعة أن السبب هو مجتمع الاستهلاك، ما هو مجتمع الاستهلاك؟ التنمية الاقتصادية في مجتمع الاستهلاك هي الصنم الذي يعبد من دون الله، إذاً لابد من إعلان جذاب لكل ما تنتجه المعامل، هذه الإعلانات تشاهدونها في الطرقات، وفي المجلات، وفي الصحف، وعلى شاشات التلفاز، ماذا تفعل في النفس؟ هذه الحاجات الرائعة الراقية الممتعة الجميلة هذه تعرض صباحاً ومساءً، ما موقف الإنسان منها؟ إما أن يلغي وقت فراغه ليعمل عملاً إضافياً ليكسب دخلاً إضافياً يحقق له شراء هذه الحاجات، ماذا فعل؟ ألغى إنسانيته، الإنسان الذي لا يوجد عنده وقت فراغ يربي أولاده، أو يتابع طلب العلم ليس من بني البشر، ومجتمع الاستهلاك ألغى أوقات الفراغ، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ))

[أبو داود عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو]

حينما تسعى لكسب المال فقط، ولتأمين حاجات البيت فقط، دون أن تعنى بتربية أولادك، تربيتهم التربية الإيمانية، والأخلاقية، والجسمية، والنفسية، والاجتماعية، فأنت أكبر خاسر، فحينما يلغى وقت الفراغ ليأخذ الدخل الإضافي نحن ضيعنا أهم شيء في حياتنا، هذه مشكلة من مشكلات مجتمع الاستهلاك، مشكلة ثانية أن الإنسان حينما لا يشتري هذه الحاجات هناك شعور بالحرمان مستمر، والحالة الثانية أن يمد يده إلى الحرام.

هذا مجتمع الاستهلاك يعاني منه العالم كله، صدروا إلينا هذا المجتمع، يجب أن تشتري كل شيء، يجب أن تقتني أحدث الآلات، هذا وحده جعل طاقة الإنسان منصبةً على كسب المال فقط، وإهمال الأولاد، وحينما يخسر الإنسان أولاده يشعر بخسارة لا تعوض.

أيها الأخوة الكرام؛ المشكلة الثانية، المشكلة الأولى أن مجتمع الاستهلاك يفرض على الآباء إلغاء وقت فراغهم، وإلغاء تربية أولادهم، ثم إن شيئاً آخر حلّ محل الأب في البيت، هذه الأجهزة التي يستقبلون بها ما هب ودب مما في العالم من حياة اقتصادية وفنية وما إلى ذلك.

الشيء الثالث أكبر مشكلة يعاني منها أصحاب التربية والتعليم هي أن الأب الذي يعول عليه في تربية أولاده هو لا يعرف الحقيقة، وليس ملتزماً بأمر الله ونهيه، فكيف تطالب أباً أن يربي أولاده التربية الإيمانية وحقائق الدين عنده مهزوزة؟ كيف تطالب أباً أن يحمل ابنه على الالتزام بأمر الله ونهيه وهو ليس ملتزماً لا بأمر الله ولا بنهيه؟ هذه مشكلة ثانية.

التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة :

1 . تحدي الإفقار :

في الإعلام عن هذه المحاضرة جاء موضوع التحديات التي تواجه الأسرة المسلمة، الحقيقة أول هذه التحديات هو تحدي الإفقار، العالم الغربي يريد أن يفقرنا، يريد أن يأخذ المال كله له، تحدي الإفقار يحتاج إلى أن تربي ابنك تربية يكسب من خلالها رزقه، فالفقر كما قال الإمام علي رضي الله عنه: يكاد أن يكون كفراً.



نحن بحاجة ماسة إلى أن نربي أبناءنا تربية تعينهم على كسب الرزق، ولقد ورد أنه إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت، فلابد من أن نهيئ لطلابنا فرصاً للعمل، أو أن نهيئ لهم علماً يعينهم على كسب الرزق، العلم النظري وحده يسبب بطالة ما بعدها بطالة، سمعت في بعض البلاد أن هناك نظاماً يجمع بين التعليم النظري وتعليم المهن الراقية، وسمعت أن معهداً شرعياً في بعض البلاد الإسلامية مؤلفاً من عشرة طوابق، الطوابق الثلاثة الأولى لتعليم طلاب العلم الشرعي حرفاً تعود عليهم بالرزق وتحفظ ماء وجههم.

أول شيء هناك تحدي نتحدى به من قبل الطرف الآخر، في حرب الخليج نقل إلى أمريكا سبعمئة من المليارات، هناك كساد في الشرق الأوسط واضح جداً، هذه ملامح ما ينتظر المسلمين من تحديات، لذلك في مثل هذا التحدي يعد كسب المال الحلال، وتهيئة فرص العمل للمسلمين ولأبناء المسلمين أول عبادة.

سيدنا عمر سأل أحد الولاة: ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب؟ قال: أقطع يده، قال: إذاً إذا جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك، قال: يا هذا إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد جوعتهم، ونستر عورتهم، ونوفر لهم حرفتهم، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها، إن هذه الأيدي خلقت لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية.

توفير فرص عمل لشبابنا هذا من أعظم الأعمال التي ينبغي أن نفعلها، حتى أن كسب المال الحلال كما قلت، وتأمين فرص عمل لشبابنا، هذا ما يقابل تحدي الإفقار عند الغرب، يأخذون كل ثرواتنا، يأخذون أدمغتنا، أي يأخذون أبناءنا المتفوقين، في ولاية واحدة من ولايات أمريكا خمسة آلاف طبيب قمة في الطب من بلد إسلامي، يأخذون ثرواتنا، ويأخذون أبناءنا المتفوقين، لابد من الكسب الحلال للمال، ولابد من توفير فرص للعمل، هذا رد على تحدي الإفقار.


تهيئة فرص العمل للشباب يحل مشكلات المجتمع

الحقيقة المال قوام الحياة، وأنت حينما تهيئ فرصة عمل لشاب ماذا تفعل؟ أمنت له مستقبله، لماذا يهاجر شبابنا إلى بلاد الغرب؟ من قلة فرص العمل أحياناً، فلذلك ديننا دين الإسلام دين الحياة، دين متوازن، دين متكامل، دين الفطرة، فيجب أن ينتبه المسلمون إلى أن الأموال ينبغي أن توظف في بلاد المسلمين لا في غير بلاد المسلمين، وأن توظف في مشاريع صحيحة من الوجهة الدينية، ومن الوجهة الاقتصادية، وأن يوفروا من خلال هذه المشاريع فرصاً لعمل أبنائهم، لأن الإنسان إذا كسب رزقه اطمأنت نفسه.

أيها الأخوة الكرام؛ هذا التحدي يجب أن نواجهه بهذا.

هناك شيء آخر؛ حينما قال الله عز وجل:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

[سورة الأنفال:33]

قال علماء التفسير: في حياة النبي عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليعذبهم وهو بين ظهرانيهم ولكن بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ما معنى ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم؟ أي مادامت سنة النبي صلى الله عليه وسلم مطبقةً بحياتهم، في بيوتهم، في متاجرهم، في مكتباتهم، في عيادة أطبائهم، في مكاتب محاميهم، في مدارسهم، في أفراحهم، في أتراحهم، في سفرهم، في حلهم، فهم في مأمن من عذاب الله.

إن ما ينتظر العالم الإسلامي هو هذا التحدي؛ تحدي الإفقار، قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾

[سورة الأعراف:96]

﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾

[سورة الجن :16-17]

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾

[سورة نوح :10-12]

أيها الأخوة الكرام؛ المال قوام الحياة، وحبذا المال أصون به عرضي، وأتقرب به إلى ربي، يجب أن نتعاون، يجب أن نوظف أموالنا في بلاد المسلمين، وأن ننميها كي تهيئ ما تسد رمق المسلمين وتغنيهم عن الهجرة إلى بلاد أخرى، وفساد أخلاقهم، وفساد أسرهم.

حبذا لو أن كل أب له عمل، له عمر مديد ربى أولاده ليكونوا خلفاءه من بعده في هذا العمل، هذا صون لتراث الآباء، صون لخبرات الآباء، هناك من يفكر تفكيراً آخر، هو في واد وابنه في واد آخر.

2 . تحدي الإضلال :

أيها الأخوة الكرام؛ هناك تحدٍ آخر هو تحدي الإضلال، الطرف الآخر يريد أن يضلنا، يريد أن يضعف انتماءنا إلى هذا الدين، أن يضعف إيماننا بأحقية هذا الدين، أن يضعف تصديقنا لصلاحية هذا الدين، في تحدي الإضلال العبادة الأولى ترسيخ دعائم هذا الدين، تأصيل قواعد هذا الدين، بيان حقيقة قيم هذا الدين.

أيها الأخوة الكرام؛ ما الذي يحدث في حياتنا؟ هذا الابن يأكل ويشرب، لكن كيف يغذى ثقافياً؟ يغذى بوسائل لا ترضي الله عز وجل، إما أن تغذيه أنت بالوحيين بالكتاب والسنة، وإما أن يغذى بكلام وأعمال فنية من خلال وسائل الإعلان التي فرضت علينا، هذه الوسائل قد تغذي أبناءنا تربيةً لا ترضي الله عز وجل، الطفل أحياناً من خلال عمل فني هذا العمل يتسلل إلى خطوط دفاعه، انظر ما هي الجهة التي تغذي أبناءك؟ قد تكون هذه الجهة لا تؤمن بالله أصلاً، وقد تكون هذه الجهة لا تؤمن بقيمة دينية أصلاً، فلذلك العلمانية– إن صح التعبير –الإباحية أيضاً يتعاونان على إفساد الأجيال المسلمة، والأمثلة كثيرة جداً، فإذا كانت الفتاة أو الشاب يقتبسان ثقافتهما مما يعرض على شاشات التلفاز، أو مما يقرأ في المجلات الرخيصة، ماذا يحصل؟ تغذية آثمة، تغذية فاسدة، تغذية تشير إلى أن هذه الحياة لا إله فيها، تغذية تشير إلى أن الشهوة هي الإله، افعل ما بدا لك.

فيا أيها الأخوة؛ مادام هناك تغذية تشير إلى إنكار الخالق، أو إنكار حقائق الدين بشكل أو بآخر، أو تشير إلى الإباحية بشكل أو بآخر، فكيف يكون أولادنا قرة عين لنا؟!

الأب أحياناً يكون في غفلة كبيرة جداً عما يتغذى به ابنه، لابد من توجيه سديد، لابد من أن يكون ابنك معك في مسجدك، وفي حركاتك، ومع إخوانك، لابد من أن تنتبه كيف يفكر، كيف يعتقد، من أين جاء بهذه التصورات؟

أيها الأخوة الكرام؛ تحدي الإضلال تحدٍ كبير جداً، الآن يوجد شيء يسمى العولمة، أن يعمم على البلاد الإسلامية ما يفعله الأجانب من إنكار للقيم الدينية، ومن انحراف في سلوكهم، ليس بعيداً عنكم مؤتمر السكان الذي عقد في القاهرة وفي بكين، هذا المؤتمر في مضمونه يدعو إلى الإباحية، يدعو إلى أن يسمى عقد الزواج عقد بين شخصين، لا بين رجل وامرأة، يدعو إلى ممارسة الجنس في البيوت تحت سمع الآباء وبصرهم، يدعو إلى تأخير الزواج، يدعو إلى أن يعرف الزواج بشيء، والعلاقة بشيء، والإنجاب بشيء آخر، هذه المؤتمرات التي تعقد لتدمير أخلاق العالم الثالث، هذا تحدٍ آخر تحدي الإضلال.
الأب ينبغي أن يرعى ابنه رعاية تفوق حدّ الخيال، ينبغي أن يهتم بعقيدته، ينبغي أن يهتم بعباداته، سيدنا عمر رضي الله عنه حينما طعن ماذا سأل؟ قال: هل صلى المسلمون الفجر؟ أي أب يأتي إلى البيت ويسأل زوجته: هل صلى الأولاد العشاء؟ يقول لها: هل أكلوا؟ هل كتبوا وظائفهم؟ أما هل صلوا العشاء؟ ينبغي أن يهتم الأب بعبادة ابنه، بعقيدة ابنه، لأن هناك وسائل تغذية خطيرة جداً موجودة في كل مكان.
أعيد و أكرر إذا كنت في حاجة قبل خمسين عاماً إلى وحدات معقولة لتربية الابن الآن أنت بحاجة إلى آلاف الوحدات.

التغذية الثقافية أخطر القضايا التي يعاني منها المسلمون :

أيها الأخوة الكرام؛ شيء دقيق جداً هو أن هذا الإعلام الذي غزانا من شتى بقاع الأرض يؤكد نقيصتين خطيرتين؛ الإلحاد والإباحية، لا تأكيداً نظرياً بل تأكيداً عملياً من خلال السلوك، لو إنسان شاهد مسلسلاً، ورأى في هذا المسلسل خيانات زوجية، وأن الزوجة خانت زوجها انتقاماً منه لأنه خانها، أليس هذا توجيهاً خطيراً جداً؟


الألعاب التي يعكف عليها أطفالنا لا تنتمي إلى قيم الإسلام

ماذا تفعل فتاة شابة حينما ترى مثل هذا المسلسل؟ ماذا يفعل طفل صغير حينما يرى الأم المتفلتة من كل قيد ديني هي الأم المثالية وأن الأم التي لها هوية إسلامية أم مقصرة مهملة؟ الإعلام يهتم بالصورة، والصورة أخطر ما في حياة الصغير.

الآن هذه الألعاب، وهذه أفلام الكرتون التي تأتي من الشرق ومن الغرب، هذه أيضاً تؤكد قيماً لا ترضي الله إطلاقاً.

دعيت إلى مشاهدة فيلماً كرتونياً من صنع إسلامي، والله شيء لا يصدق، أحاديث رياض الصالحين كل حديث صمم فيلماً للصغار، يؤكد القيم الدينية، ويؤكد القيم الأخلاقية، ويؤكد كل شيء يريح الأب، فقضية التغذية الثقافية قضية خطيرة جداً وهذه تعد من أخطر القضايا التي يعاني منها المسلمون، إن هؤلاء الشباب وهؤلاء الفتيات صنيعة هذه التغذية التي لا ترضي الله عز وجل.

شيء آخر أيها الأخوة؛ هو أن الأب الذي يهمل ما يتغذى به ابنه ثقافياً هو أب محاسب عند الله، فكل أخطاء الأولاد بالمنظور التربوي تعود أحياناً إلى آبائهم، إلى ضعف تربية الآباء، وإلى ضعف عناية الآباء بأبنائهم.

3 . تحدي الإفساد :

شيء آخر هو تحدي الإفساد، ذكرت عن تحدي الإفقار، وعن تحدي الإضلال، وبقي تحدي الإفساد.

كل ما يشاهده الأطفال في الطريق وفي المسرح أحياناً، وفي السينما، وفي التلفاز، هذا كله يدعو إلى الفساد الأخلاقي، فلا بد حيال هذا الفساد العريض أن يكون الابن له بيئة صالحة، وله بدائل إسلامية.

نحن بحاجة ماسة لا أن نقول للابن: هذا حرام، ما البديل؟ حينما نهيئ بديلاً لهذا الذي نسميه حراماً نكون قد فعلنا شيئاً طيباً، أما كل شيء حينما تصفه بالحرمة، ولا تقدم له بديلاً، هذه المعاهد جزى الله من أنشأها ومن يرعاها، حينما يأخذوا الطفل إلى مكان جميل، ويأكل، ويشرب، ويلعب، وتلبى حاجاته الطفلية في جو إسلامية، هذا يشده إلى الدين، الحقيقة الذي يشده إلى الدين ليست أفكاره فحسب بل ممارساته اليومية.

أيها الأخوة؛ تحدي الإفساد يحتاج إلى بدائل إسلامية، كل هذه المناشط الغير إسلامية تحتاج إلى مناشط إسلاميةأ ثم إن أثر الصديق خطير جداً في حياة أبنائنا، يجب أن تعلم من هو صديق ابنك، ابحث عن صديقه قبل كل شيء، ذلك أن الصديق بحسب بعض الإحصاءات له تأثير مضاعف جداً عن تأثير الأب والأم، هناك تجربة لطيفة جداً، جربنا أن ينشأ بين أطفال الشعبة الواحدة علاقة بين الآباء، حتى يكون الآباء على علم بأصدقاء أولادهم، فإذا عرف الأب من هو صديق ابنه، و أن ابنه مع صديق ملتزم لا يخشى عليه شيئاً هذا يدعو إلى الطمأنينة، مسؤولية الآباء في تربية الأبناء مسؤولية كبيرة تحكمها الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾

[سورة التحريم:6]

ضرورة التعاون بين المسلمين لأنه أمر إلهي :

أيها الأخوة؛ أعداؤنا كما قلت سابقاً أذكياء جداً، وأغنياء، وأقوياء، فلا بد من أن نتعاون تعاوناً لا حدود له، قال تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

[سورة المائدة:2]

والإنسان كما تعلمون بطبعه يحب الفردية، لكنه مأمور بالتعاون، فبقدر طاعته لله يتعاون، وهذا المجتمع الفاسد لا يكفي أن يقوم الفرد وحده بعمل، لابد من عمل جماعي، والتعاون أمر إلهي، كلكم يعلم أن طبع الإنسان يقتضي الفردية، أما حينما يأمره الله عز وجل بالتعاون، حينما كنت في بلاد الغرب قال بعض العلماء: المسلمون بحاجة هناك إلى تجربة حارة اليهود، كيف؟ أينما أقام اليهود في أي مكان لهم حارة خاصة بهم، والمسلمون حينما يتعاونون يقيمون في مكان واحد، يتعاونون على تربية أولادهم، وعلى تنشئة صغارهم، وعلى تأمين طعام حلال لهم، هذا من التعاون.

أي الآباء حينما يأتون إلى مدارس أبنائهم، ويتفقدون أحوال أبنائهم، هذا من التعاون، حينما نقوم برحلة جماعية نؤكد فيها القيم الإسلامية، هذا من باب التعاون، الآن العمل الفردي لا يجدي، لأنه يوجد تجمعات كبيرة جداً هدفها الإضلال، قال تعالى:

﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾

[سورة النساء: 104]

معنى ذلك أن الطرف الآخر أيضاً يسعى للإفساد بجهد كبير، قال تعالى:

﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة الأنفال: 73]

هذه الهاء تعود على من؟ على:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آَوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾

[سورة الأنفال: 72]

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

[سورة الأنفال: 73]

معنى ذلك أنه ما لم نتعاون فيما بين أبناء الحي الواحد، أبناء الأسرة الواحدة، أبناء المدرسة الواحدة على تأمين عقيدة سليمة، وعلى تأمين منهج صحيح، فخطر الأمة كبير، لأن أعداءنا لا يراهنون علينا بل على أبنائنا.

بعض العلماء في أمريكا قال: إن لم تضمن أن يكون ابن ابن ابنك مسلماً لا يجوز أن تبقى في هذه البلاد، لأن هؤلاء يقيمون في بلاد تعلم الكفر والرذيلة والانحراف.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قد قدمت شيئاً، لأنه ربما هناك أسئلة كثيرة ومداخلات أفسح المجال لهذا، ولكن قبل أن أنهي محاضرتي أذكر بقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة: 119]

إن لم تهيئ بيئةً جيدة لأولادك لن تستطيع أن تحملهم على طاعة الله، وهناك شيء آخر مما يعزز أن يكون الابن معك أن تعتني به، وأن تحترم شخصيته كما علمنا النبي صلى الله عليه وسلم.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن نوفق إلى تربية أولادنا، وأنا أنتظر أي سؤال كي أرد عليه.

أسئلة و أجوبة :

المفارقة بين بيت الداعية و بين كلامه :

س: هناك رجال يعملون في الدعوة وخدمة الإسلام ولكن تربية أولادهم لا ترضي الله فكيف يفسر هذا الأمر؟

ج: أيها الأخوة؛ صدقوا أن بيت الداعية جزء من دعوته، لو أن المدعو وجد مفارقة بين بيت الداعية وبين كلامه هناك سؤالان خطيران لا جواب لهما، هذا الذي تدعو إليه إن لم يكن واقعياً بدليل أنك لا تستطيع تطبيقه لمَ تدعو إليه؟ وإن كنت مقصراً في ذلك ينبغي ألا تكون قدوةً للناس، أنا أقول: لا يستطيع الداعية أن يحكم تأثيره في المدعوين إلا إذا كان بيته كما يدعو، ولقد ذكرت لكم من قبل أنني التقيت أحد كبار علماء مصر، فكان سؤالي الأخير له: بماذا تنصح الدعاة إلى الله؟ قال لي: فليحذر الداعية أن يراه المدعو على خلاف ما يدعو، لذلك حينما ترى الداعية طليق اللسان، فصيح البيان، قوي الحجة، ولا ترى في بيته مصداقية دعوته، فهذا الداعية لا يمكن أن يستمع إليه، ذلك أنك تنتفع من طبيب فاسق ماجن، وتنتفع من مهندس فاسق ماجن، ولكنك لن تستطيع أن تصغي إلى داعية لا ترى في بيته وفي سلوكه مصداقاً لدعوته.

مسؤولية تربية الأبناء تقع على عاتق آبائهم أولاً و أخيراً :

س: نحن في هذه الأيام العصيبة التي يعيشها العالم العربي الإسلامي بأمس الحاجة إلى علماء دين يعملون بجهد دائم بعد كل صلاة لتوجيه الشباب؟

ج: أنا ماذا ذكرت؟ أنا عندي معهد في الشام، المشكلة الأولى أن هذا الذي أناط الله به تربية أولاده، المشكلة معه الأم التي تكذب على زوجها أمام بناتها، الأب الذي يقول لابنه قل له: لست في البيت، هذه مشكلة كبيرة جداً، الأب الذي ليس قانعاً بقيم الدين، المشكلة ذكرتها في بدء المحاضرة، المشكلة الأولى مع الآباء والأمهات، فلابد إن أراد الأب أن يربي أولاده أن يكون هو سباقاً في طلب العلم، لا بد من مجلس علم، لابد من مجلس فقه، لابد من جلسة إيمانية يكون ابنه معه، فلذلك توعية الآباء مهمة جداً، وفاقد الشيء لا يعطيه، لا يمكن أن ينوب عنك إنسان في تربية ابنك، بادئ ذي بدء هناك من يعاونك، أما أن تلقي عليهم المسؤولية فهذا مستحيل.

رعاية الابن بدءاً من السنة الخامسة و عدم تركه للآخرين :

س: كيف نتغلب على أن نربي أولادنا التربية الصحيحة وهم يكسبون من الغير أكثر مما يكسبون من الأهل؟

ج: النبي عليه الصلاة والسلام قال:

((الزم ولدك))

[مصنف ابن أبي شيبة عن الشعبي]



طبعاً إذا أنت مشغول من هو اليتيم؟ الذي له أم تخلت، أو أب مشغول، أمه تخلت عنه وأبوه مشغول هذا يتيم حكماً، فحينما تدع ابنك للطريق، وتدع ابنك لأصدقائه، ولا تعنى بتربيته، سوف تفاجأ بعد حين أن ابنك قد خسرته، أما حينما ترعاه صغيراً - أنا أقول لكم كلاماً دقيقاً - فينبغي أن يرعى الابن بدءاً من السن الخامسة، أن يكون معك، أي حينما تتعب تعباً لا حدود له، وحينما ترى ابنك مؤمناً، طائعاً، محباً لله عز وجل، يغض بصره عن محارم الله، يتحرى الحلال، أنت أسعد أب في الأرض، والسعادة التي تشعر بها إذا كان ابنك كما تتمنى والله لا توصف، يكسبون من الغير، من هم الغير؟ هيئ لهم بيئةً صالحة، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة: 119]

أنا لا أنكر أن في الحياة صعوبات الآن، وأن البيئة سيئة جداً.

المنهج الذي يجب على المربي أن يتبعه :

س: ما هو دور الشباب في مواجهة هذه التحديات؟ وما هو المنهج الذي يجب على المربي أن يتبعه؟

ج: إنه منهج الله.

((إنما بعثت معلماً، إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))

[ابن ماجه عن ابن عمرو]

الوحيان الكتاب والسنة، تعليمات الصانع، وهل من جهة في الأرض أجدر من الصانع في اتباع تعليماته؟ طبعاً منهج الإسلام والله أيها الأخوة لو اطلعتم على ما في الإسلام من قواعد تربوية في الكتاب والسنة والله لذهلتم، منهج إسلامي بكامله، وهذا شيء كنت سجلته في دروس تربية الأولاد في الإسلام في ثلاثين حلقة، بعض المسلمين يضعون أبناءهم في مدارس تبشيرية أو غير إسلامية ماذا تنصحهم؟ أخطر شيء في حياة الإنسان عقيدته، فإذا فسدت فسد عمله، الخطأ في العقيدة خطأ في الميزان وهذا لا يصحح، أما الخطأ في السلوك فهو خطأ في الوزن وهو لا يتكرر، الخطأ في الميزان لا يصحح، بينما الخطأ في الوزن لا يتكرر، حينما يكون هذا الابن في مدرسة ليست إسلامية، وتسربت عقائد فاسدة في التوحيد مثلاً أو غير التوحيد إلى هذا الابن، مهما تعلم اللغة والكومبيوتر والإتيكيت واللباقة، لكنه خسر دينه، وخسر عقيدته السليمة، فأنا أنصحهم أن يضعوا أبناءهم في مدارس إسلامية، وأنصح التعليم الإسلامي أن يكون راقياً بحيث ينافس التعليم الآخر.

الأولاد مفضلون على أي عمل دعوي :

س: أخي الفاضل ما العمل إذا كان الأب داعياً ومنشغلاً في الدعوة والسفر الدائم لحضور مؤتمرات وإلقاء المحاضرات وتاركاً الحمل على الأم بحجة أنه عرف واختار المرأة الصالحة لتربية أبنائه وهل دور الأم يلغي دور الأب؟

ج: لا أبداً، كلمة دقيقة الناس أنت لهم وغيرك لهم، أولادك من لهم غيرك؟ أولادك مفضلون على أي عمل دعوي، حينما تؤدي واجبك تجاه أولادك يمكنك أن تلتفت إلى بقية الناس، أما إذا كنت مقصراً مع أولادك فهذا والله لا يغفره الله عز وجل، أقول مرة ثانية: الغرباء أنت لهم والناس لهم أما أولادك فمن لهم غيرك؟

ضوابط الحزم في التربية :

س: ما هي ضوابط الحزم في التربية؟ وما سبيل إصلاح الابن أو البنت إذا تجاوزا سن البلوغ؟

ج: ورد في الأثر أن لاعب ابنك سبعاً، وأدبه سبعاً، وراقبه سبعاً، أي في السبع السنوات الأولى لا ينفع إلا الملاعبة والتودد، وفي السبع السنوات الأخرى لابد من التأديب، وفي السبع السنوات الثالثة لابد من المراقبة، وبعدئذ اجعله صديقاً لك.

كيفية تعامل الإنسان المسلم مع أهله وهم يرفضون مبدأ الدين :

س: كيف يتعامل الإنسان المسلم مع أهله وهم يرفضون مبدأ الدين وهو يحاول أن يبرهم رغم معارضتهم؟

ج: هذا قدرك، أمك وأبوك قدرك، فلابد من أن تصبر عليهم، والله أعرف أباً في الشام كلما رأى ابنه يصلي يضربه، وهو بائع خمر، ثم عندما اهتدى الأب حمل ابنه، و كان دائماً يذكر قصة ابنه وهو يبكي، قال: كنت أضربه عندما كان يصلي، لكنه صبر على أبيه، فلما هدى الله أباه حمله.

ضرورة تثقيف الزوجة قبل إنجاب الأولاد :

س: هل مطلوب في هذه الأيام تثقيف الزوجة قبل قدوم الأولاد؟

ج: من علّم شاباً علّم واحداً، ومن علّم فتاةً علّم أسرةً .



أنا والله مؤمن الآن أن تعليم البنات من أخطر أعمال الحياة، ذلك أن هذه الفتاة أم يمكن أن تلقن ابنها كل فضيلة، يمكن أن تلقن ابنها كل عقيدة صحيحة، يوجد قصة مشهورة صيغت بأبيات من الشعر، أن ابناً سرق بيضة فأثنت عليه أمه، أصبح سارقاً كبيراً، ثم قتل، ثم حكم عليه بالإعدام، وقبل أن يشنق قال: أريد أن أرى أمي، فجيء له بأمه، فقال: مدي لسانك كي أقبله، فلما مدت لسانها قطعه بأسنانه، قال: لو لم يكن هذا اللسان مشجعاً لي في الجرائم ما فقدت حياتي.

الأم لها دور خطير، تقول لك الأم: أنا مقيدة في البيت، إذا قال الطيار: أنا مقيد بهذه الغرفة الصغيرة، معك ستمئة راكب في عنقك، أخطر مكان هذا المكان، هذا مكانك الطبيعي في كبين القيادة، بيت الأم مملكتها، قال تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾

[سورة الأحزاب: 33]

حينما تقبع المرأة المسلمة في بيتها تقوم بأخطر عمل على الإطلاق تربية الأولاد. يا رسول الله إن زوجي تزوجني وأنا شابة ذات أهل ومال، فلما كبرت سني، ونثر بطني، وتفرق أهلي، وذهب مالي، قال: أنت عليّ كظهر أمي ولي منه أولاد– الآن دقوا– إن تركتهم إليه ضاعوا– أنا أربيهم – وإن ضممتهم إليّ جاعوا – هو ينفق عليهم.–

يوجد دور تبادلي بين الأب والأم، بل إن من واجب الآباء تجاه أبنائهم أن يحسن اختيار أمهم، هناك واجب يترتب على الأب تجاه أبنائه قبل أن يتزوج أن يحسن اختيار أمهم.

الأذكار اليومية وتلاوة القرآن أهم ما يساعد الأم على تربية أبنائها :

س: ألا تعد الأذكار اليومية وتلاوة القرآن من أهم ما يساعد الأم على تربية أبنائها إضافةً إلى الفقه في الدين؟

ج: طبعاً، لأنك أنتَ أو أنتِ أيتها الأخت الكريمة عقل يدرك، وقلب يحب، فحينما يغذى العقل بالعلم، وحينما يغذى القلب بحب الله عز وجل، وتلاوة آياته، طبعاً هذه شحنة روحية كبيرة جداً، قال تعالى:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾

[سورة المزمل: 6]

الشحنة الروحية التي تكون في قيام الليل وفي أذكار الصباح هذه تعطي الإنسان الحكمة، تعطيه الطاقة، تعطيه الصبر.

الإحسان للأولاد يجعل علاقتهم وطيدة بآبائهم :

س: ما هي الطريقة التي تجعلنا نقيم علاقة وطيدة مع الآباء؟

ج: الإحسان إليهم، يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبلت على حب من أحسن إليها.

التربية الجنسية عند الأطفال الصغار :

س: كيفية التربية الجنسية عند الأطفال الصغار؟

ج: ابن يسأل سؤالاً طبيعياً جداً، الابن عنده فضول، من أين جئت؟ يوجد أب يضرب ابنه، اسكت عيب، لماذا عيب؟ قل له: انظر إلى الوردة يا بني فيها مذكر، وفيها مؤنث، يخرج منها وردة ثالثة، ممكن أن تحضر أمثلة من النبات طبيعية، وأنت مرتاح، يلهمك الله جواباً واضحاً ومريحاً وأنت مرتاح، لا تتهم ابنك أنه

عمل عملاً شائناً، هو يسأل، قد يكون سؤالاً عميقاً أو سؤالاً بقصد الإنجاب، الأب يتلقاه بهدوء، براحة نفسية، يعطيه مثلاً.

نحن نفتقد إلى القدوة في البيت، الأب والأم يتمنون أن يكون أبناؤهم صالحين، ولكن لا يأخذون بالأسباب، قال الله عز وجل:

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾

[سورة النساء: 123]

هذه التمنيات بضائع الحمقى، ما منا واحد إلا ويتمنى كل خير، لكن الله عز وجل لا يتعامل معنا إلا بالسعي، ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها، لكن لا يوجد أب على الإطلاق في العالم الإسلامي إلا ويتمنى أن يكون ابنه صالحاً، ولكن لا يفعل أسباب هذا الصلاح، فالعبرة أن تأتي بالأسباب.

أثر مصاحبة الأب لابنه :

س: قد وضع النبي الكريم قاعدة تربوية هامة عندما قال:

((لاعب ابنك سبعاً، وأدبه سبعاً، وصاحبه سبعاً، ثم اترك له الحبل على غاربه))

السؤال ما هو أثر هذه المصاحبة في تربية الولد؟

ج: أن يكون صاحبك في حلك وترحالك، في سهراتك، في ندواتك، مع أصدقائك، أنت مؤمن منضبط، وابنك معك، يتعلم منك أشياء كثيرة، ممكن أن تسمح له بأصدقاء ملتزمين، أما تتركه على غاربه من دون أن يكون معك فهذا مرفوض، ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: الزم ولدك هذا توجيه آخر.

نلاحظ وجود الكثير من الآباء الملتزمين دينياً لكن لم يعودوا يقدرون على تصرفات أبنائهم على الرغم من عدم التقصير في تربيتهم، طبعاً هناك جزاء تقصيري وهناك قدر، أحياناً بيت كله علم، ويوجد توجيه من أعلى مكان، والابن اختار طريق الانحراف، ممكن، أنا لا أتآلى على الله، لكن الأب يؤدي كل ما عليه ومع ذلك ابنه كان مقصراً، هذا قضاء وقدر، نقول: حسبي الله ونعم الوكيل.

بدائل تحاكي مغريات العصر :

س: الأجيال ضائعة بين التلفاز والكومبيوتر والانترنيت بالإضافة إلى المغريات الأخرى فهل من بدائل تحاكي هذه المغريات؟

ج: والله لابد من تأسيس مثل هذه اللقاءات، رحلات إيمانية، ينشأ بديل إسلامي وتيار روحي قوي جداً، الانحراف خطير جداً، وشيء مغر، أنا معكم وهذا كلام صحيح، التلفاز والكومبيوتر والانترنيت فيهم انحراف خطير، فلا بد من بدائل، ونحتاج إلى تعاون، رحلة إسلامية فيها صلوات، أذكار، توجيه، فيها معالجة فكر معاصر يرد على شبهات الأجانب، هذا يقوي، وإلا الأخطار كبيرة جداً، قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن ربه:

((عبادة في الهرج كهجرة إلي))

[الترمذي عن أبي هريرة]

وفي آخر الزمان المتمسك بدينه كالذي يقبض على الجمر.

ذكر الله يرقق القلوب :

س: كيف ترقق القلوب ونحن بزمن قست قلوب الجميع؟



ج: ألا بذكر الله ترقق القلوب، أنت عقل يدرك، وقلب يحب، والقلب يحتاج إلى ذكر، إتقان العبادات بادئ ذي بدء، أذكار النبي عليه الصلاة والسلام، قيام الليل، هذه كلها ترقق القلوب، وحينما تتصل بالله عز وجل وتذوق طعم القرب تصبح إنساناً آخر، إذا حملت ابنك على صلاة الفجر، وعلى طاعة الله، وعلى ذكر الله، وعلى تلاوة القرآن، هذا شيء يعطي شحنات قوية جداً، يعطي رؤية صحيحة، يعطي قراراً حكيماً، جرأة، نزاهة، عفة، قال: كنا قوماً أهل جاهلية نأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونسيء الجوار، ونقطع الرحم، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته، وصدقه، وعفافه، ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده، ونوحده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. الاتصال بالله يعطيك شحنة روحية قوية.

متى تنتهي مسؤولية الأب عن أبنائه ؟

س: إلى متى يكون الرجل مسؤولاً عن أولاده وغير مسؤول عنهم؟

ج: في بعض الأحاديث يوجد إشارة لطيفة، ربى ابنته حتى يزوجها أو يموت عنها، إلى أن بلغ علمها أمر دينها، ثم اختار لها رجلاً صالحاً انتهت مسؤوليته، والأب مع ابنه إذا رباه تربية صالحة وبلغ سن الرشد انتهت مسؤوليته، أما مسؤول دائماً فمستحيل.

دين المرأة مستقل عن دين زوجها :

س: أنا امرأة مؤمنة وعندي زوج يتلفظ بألفاظ لا ترضي الله عز وجل؟

ج: لماذا ذكر لنا الله قصة امرأة فرعون؟ أكبر طاغية في الأرض عنده صديقّة آسيا، ليعلمنا ربنا أن دين المرأة مستقل عن دين زوجها، إذا كانت الأخت كريمة وعندها زوج يتلفظ بألفاظ لا ترضي الله عز وجل ماذا تفعل؟ تصبر، طبعاً هو قدرها وهي قدره، فإن صبرت عليه فلعل الله عز وجل يهديه بعد حين، ولها بهذا أجر كبير.

س: ما رأيك في المسلسلات المكسيكية؟

ج: لا أعرفها والله...

صفات المعلم الفاضل :

س: أين نجد المعلم الفاضل ونطمئن لوجود أولادنا وذلك لكثرة الفرق الإسلامية المختلفة وربما أجد بهم مفارقات كثيرة؟

ج: الفرق الضالة تتميز بأربع خصائص؛ أولاً: تأليه الأشخاص، وتخفيف التكاليف، وثالثاً: اعتماد النصوص الضعيفة، ورابعاً: النزعة العدوانية، ما من فرقة ضالة في العالم الإسلامي إلا وهذه صفاتها، فأرجو الله أن نكون على ما كان عليه رسول الله وأصحابه.

أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون قدمت لكم شيئاً، وسامحوني بالتقصير، وإلى لقاء آخر إن شاء الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله رب العالمين

المحتويات